جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا –
كلية اللغة العربية .
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

صورة المجتمع عند شعراء الدولة الحمدانية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه
في الأدب والنقد

اعداد:
الطالب/ المعتز سعيد فرج الله عبد الله

اشراف:
البروفسور/ صالح آدم بيلو

١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

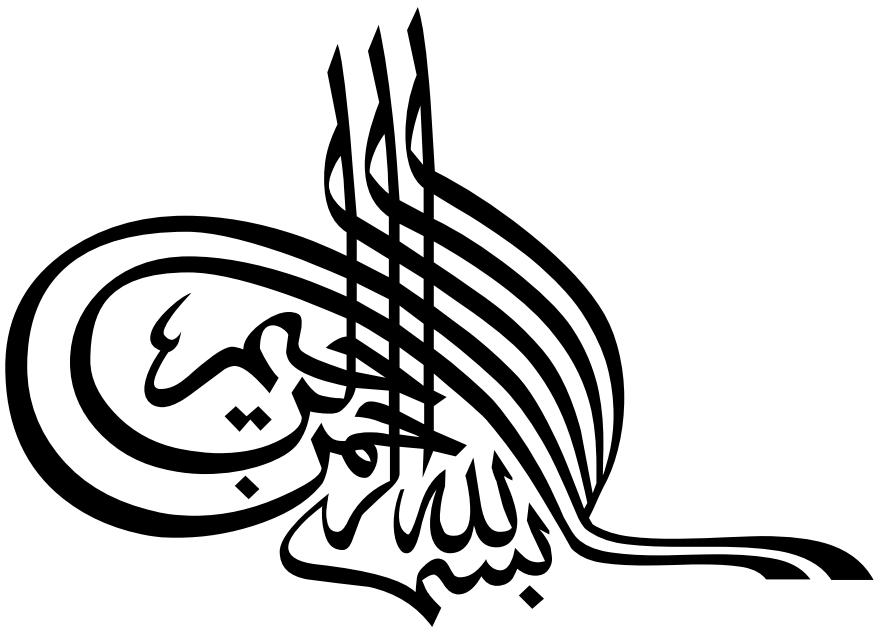
بسم الله الرحمن الرحيم

آية قرآنية

قال تعالي: فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

صدق الله العظيم

سورة: النمل ، الآية: " ١٩"

الإهداء

أُهدي هذا البحث إلي والديَّ الكريمين اللذين ربياني صغيرا

وأنا را لى الطريق

و إلي أخى في بلاد الغربة

و إلي شقيقاتى الفضليات.

و إلي كُلِّ أهلى وأحبابى وعشيرتى

و إلي كُلِّ من لهُ فضل علىَّ مِن الأساتذة و المعلمين الأجلاء

الشُّكْرُ والتَّقْديرُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين، سيدنا ومولانا وشفيعنا يوم الدين ، محمد بن عبد الله وعلي آله وصحبه أجمعين.

الشكر أولاً وأخيراً لله سبحانه وتعالي الذي مكنني من إنجاز هذا العمل ، كما أتقدم بخالص شكري وأمتنانى إلي العلامة الجليل الأستاذ الدكتور / صالح آدم بيلو ، الذي شرفني بإشرافه علي هذه الرسالة، والذي لم يبخل عليّ بعلمه الغزير ونصائحه وإرشاداته التي كان لها الأثر الكبير في إخراج هذا البحث إلي النور.

والشكر إلي الأستاذين الجليلين عضوي لجنة المناقشة والحكم، لتفضلهما بقبول تقويم هذا البحث بالملاحظات والتوجيه والإرشاد.

والشكر موصول إلي جامعة أم درمان الإسلامية، هذا الصرح العظيم، وخاصة كلية اللغة العربية، فقد كانت منارة سامقة، وبحر علم ارتوينا من فضله.

والشكر والتقدير إلي أسرة المكتبة المركزية بجامعة أم درمان الإسلامية، و إلي رجالها الأبطال الذين تعجز الكلمات أن تعبر لهم عن شكرنا وتقديرنا، والشكر إلي الأساتذة الزملاء بكلية التربية جامعة بحر الغزال، وخاصة قسم اللغة العربية والذين أعانوني بسديد آرائهم.

والشكر والتقدير والعرفان إلي كل من أعانني ووجهني للصواب ولو بشق كلمة حتى خرج هذا البحث إلي حيز الوجود.

فلهم منى جميعاً الشكر والتقدير والعرفان. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المُقَدّمة:

الحمد لله وكفي، والصلاة والسلام علي نبيه الذي أصطفي، وأمينه علي وحي السماء، القائل: ((إنّ من البيان لسحرا وإنّ من الشعر لحكمة)).

يكاد المؤرخون يجمعون علي أن القرن الرابع الهجري . العاشر الميلادي . هو العصر الذي شهد قمة التطور في المؤسسات الحضارية والثقافية الإسلامية. وعلي الرغم من ذلك نجد كثيراً من نواحي المائة الرابعة الهجرية، ما تزال حقولاً بكراً لطالبي البحث الجاد المزودين بالموهبة، والمتميزين بالقدرة علي الغوص إلي ما وراء النصوص.

والحق أن الوقائع التي دونها المؤرخون والإخباريون ، لا يمكن أن تكون وحدها مصادرنا الكاملة لدراسة تاريخ المجتمع البشري بكل فاعليته وحيويته. وهنا يأتي الشعر والأدب بصورة عامة ليكمل وثائق المؤرخين والآثار المادية التي خلفها الماضون.

ولعل فترة من فترات تاريخنا الأدبي لم تحفل بعدد وافر من الشعراء والفنانين المبدعين، كما حفلت الحقبة التي حكم إبانها الحمدانيون حلب والموصل وما حولها من أقاليم وثغور. فقد أنتج هؤلاء الشعراء تراثاً وفيراً من الشعر الإنساني والوجداني، بحيث جعلوا من فترتهم الزمنية التي عاشوها واسطة العقد بين فترات تاريخنا الأدبي الطويلة.

لذا وجدنا الإمارة الحمدانية عامرة بابنائها من الأدباء والشعراء، حافلة بالوافدين عليها من قُصّاد حلبة سيف الدولة ونجوم ندوته، تلك الندوة الفريدة في تاريخ الأدب العربي من حيث عدد الشعراء والأدباء، ومن حيث نفاسة إنتاجهم ونباهة شأنهم، من أمثال أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني والصنوبري والسّريّ الرفاء وغيرهم. هذا فضلاً عن أعلام المفكرين والكُتّاب واللُّغويين.

وهذا مما دفعنا إلي أن نُلقي مزيداً من الدراسة والبحث في هذا الميدان، فاخترناه موضوعاً لهذه الرسالة.

ولا يكاد يخلو بحث من مصاعب تواجه الباحث، وإن من مصاعب، هذا البحث، تفرق مادته في صفحات المراجع والمصادر، مما كلّف الباحث مشقة جمع المادة وتصنيفها. ومن المصاعب أيضاً عدم توافر المصادر والمراجع في المكتبات السودانية، الأمر الذي كلّف الباحث الاتصال بالأشخاص والمكتبات خارج السودان، لمد الباحث بالمراجع موضوع البحث، ومنها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، والذي أرسل للباحث عدداً مقدراً من المراجع والمقالات والدوريات، والتي أفادت الدراسة أيما إفادة. وأيضاً الاتصال ببعض الأشخاص بدولتي قطر والسعودية، حيث أفادوا الباحث ببعض المصادر والمراجع موضوع البحث، مثل كتاب الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، للدكتور فيصل السام، وأيضاً ديواني ابن نباته السعدى، وشعر أبي الفرج الببغاء، حيث مالهما من الندرة وعدم العثور عليهما بسهولة ويسر.

لقد قام الباحث بتقسيم هذه الدراسة إلي تمهيد وثلاثة أبواب وفصول ومباحث ومطالب، فكان التمهيد خاصاً بصورة المجتمع الحمداني سياسياً وثقافياً واجتماعياً. واتبع الباحث في ذلك المنهج التاريخي. في إثبات هذه الحقائق وتدوينها

وحوي الباب الأول الحياة الجادة في المجتمع الحمدانى وتصوير الشعر لهذه الحياة، حيث كان الفصل الأول خاصاً بشعر الحرب والجهاد، والفصل الثاني بالتدين والأخلاق ومظاهرهما، واختص الفصل الثالث بالعلم والمجالس الأدبية، وكان الفصل الرابع خاصاً بالعمران ومظاهر الحضارة والغذاء والألبسة والأزياء وشمل الفصل الخامس المهن والحرف ووسائل كسب العيش وتنوعها. وكان منهج هذا الباب المنهج التحليلي.

ومثَّل الباب الثاني الحياة اللاهية، فكان في فصله الأول يتحدث عن الخمر والدَّيارات، وكان الفصل الثاني منه خاصاً بالطرديات و الألعاب البريئة، وفصله الثالث اختص باللهو والمجون والغزل و الموسيقي. وكان المنهج التحليلي سمة هذا الباب أيضاً.

وكان الباب الثالث الذي خصصه الباحث للدراسة الفنية لشعراء الدولة الحمدانية، فحوي في فصوله أبنية القصائد، واللغة والأسلوب، والمعاني والأفكار والأخيلة والصور، ثم الموسيقي والأوزان والقوافي.

وفي خاتمة البحث توصل الباحث إلي النتائج التي وقف عليها من خلال سياحته بين شعراء دولة بني حمدان.

ثم بعد ذلك قائمة بالفهارس، والمصادر والمراجع التي أعانت الباحث في رحلته وإطلاعه في اكتشاف عناصر البحث وموضوعاته.

وبعد فهذا ما وسعت طاقتى وبذلته من قصارى جهدى، وكُلّ ذلك بفضل المولي العلى القدير، ثم نصيحة وتوجيهات كل الذين أعانونى في بحثى، وما توفيقي إلاّ من عند الله.

تمهيد

(صورة المجتمع الحمدانى سياسياً وثقافياً واجتماعياً)

الحياة السياسية:

قيام دولة بني العباس:

لقد هيأ العباسيون لقيام دولتهم عن طريق الدعوة السرية لإمام هاشمي يُخلّص الموالي فرساً وغير فرس من حكم بني أمية الجائر ، محققاً لهم المساواة المشروعة . بحكم الإسلام . بينهم وبين العرب في جميع الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وتحقيق هذه العدالة إمتثالاً لقوله تعالي: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** [١]. وسرعان ما أقبلت الجيوش الخرسانية مكتسحة كل ما لقيها من مقاومة للدولة الأموية حتى قضت عليها قضاءاً مبرماً. [٢].

ومما عجل بسقوط الدولة الأموية أمران رئيسيان أديا إلي قيام الدولة العباسية. وذلك الأمران هما: القسوة والشِّدة التي صُبّت علي الهاشميين . آل بيت النبي محمد صلي الله عليه وسلم ، من الطالبيين والعباسيين . والاضطهاد والإذلال الذي لقيه الموالي في هذا العصر.

فلقد بالغ الأمويون في تلك الشِّدة وأسرفوا في الإذلال ، فخرجوا في كثير من أحوالهم عما يرتضيه الإسلام من أتباعه ، وابتعدوا عما كان عليه المسلمون في صدر الإسلام إبتعاداً كثيراً. فوحد ذلك بين المصابين ، ودفع بآل البيت والموالي معاً إلي البحث عن مخرج مما هم فيه ، فإذا فريق من الطالبيين . وهم الشيعة الكيسانية . يُلقي بزمام أمره للعباسيين ، ويسلمهم قياده ، فيما يري أكثر المؤرخين [٣].

وحقاً كانت أعلي المناصب وأكثرها في أيدي الفرس ، و كان منهم أكثر الوزراء والقواد ، ونشب من جراء ذلك عداء شديد بين الفرس والعرب. فالعرب يريدون استرداد مجدهم في العصر الأموي ، والفرس لا يكتفون بما لهم من مجدٍ حادثٍ في الدولة ، وكأنهم يريدون أن يستعيدوا مجد دولتهم الساسمانية القديمة،

---

(١) سورة الحجرات: الآية :١٣

(٢) العصر العباسي الثاني: د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ،بدون تاريخ، ص٩.

(٣) تاريخ الرسل والملوك: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١م. ج٧، ص٤٢١.

ويمحقوا العرب محقاً. وفي أثناء ذلك كانت الثورات مضطرمة في شرقي الدولة، وكلما خمدت ثورة اندلعت أخري، وكان آخرها اندلاعاً ثورة بابك الخرمي في آذربيجان التي ظلت نحو عشرين عاماً، والتي كلفت الدولة كثيراً من الجيوش، إلي أن سحقها المعتصم وقواده سحقاً[١].

لقد سار النفوذ الفارسي صعوداً إلي أن جاء المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) فاحتل الأتراك هذه المنزلة علي حساب الفرس والعرب معاً ، فلقد استقدم هذا الخليفة قوماً من سمرقند وفرغانة ونواحيهما ، " وأمعن في شرائهم حتى بلغت عدتهم ثمانية آلاف مملوك ، وقيل ثمانية عشر ألفاً ، وهو الأشهر ، ولأجلهم بني مدينة سامراء "[٢].

وجعل منهم حرساً خاصاً له، ولم يألُ جهداً في أنّ يهيئ لهم مكاناً من أجهزة الدولة ومرافقها.

وركز الأتراك جهودهم لإضعاف خصومهم الرئيسين، وراحوا يوطِّدون لأنفسهم. وفي الوقت الذي كانوا يحطمون فيه الخصم، كانوا يحكمون قبضتهم علي الخلفاء أنفسهم، حتى هان شأن الخلفاء والناس هواناً، وعبر عن بعضه الشاعر دعبل الخزاعي بقوله:

قد ضاع أمرُ النَّاسِ حين يسوسهم * وصِيفٌ واشناسٌ وقد عظم الخطبُ** [٣]
وإني لأرجو أن تري من مغيبها * مطالعُ شمس قد يغَصُّ بها الشَرْابُ**
وهمُّك تركيٌّ عليه مَهانةٌ * فأنت لهُ أُمٌّ و أنت لهُ أبُ** [٤]

وتلاعبوا بالخلفاء الألاعيب، يقيمون هذا الليلة ويخلعونه بكرة. و يقسون عليهم ويمثلون بهم الواحد تلو الآخر، وقد صور لنا الشاعر عبد الله بن المعتز في

---

(١) العصر العباسي الثاني: د. شوقي ضيف ، ص ١٠.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري الأتابكي ، تحقيق د. إبراهيم علي طرخان ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر . القاهرة، بدون تاريخ ، ج٢، ص ٢٣٣.

(٣) وصيف وأشناس : غلامان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم ليستعين بهم علي العرب والفرس ، وقد صارا فيما بعد من قواده.

(٤) من الطويل ديوان دعبل الخزاعي ، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ط٣، ١٩٨٩م ، ص١٠٣.

أرجوزته التاريخية المشهورة من كانوا يتلاعبون بالخلافة الإسلامية العربية في منتصف القرن الثالث الهجري ويصف منكراتهم الفظيعة، إذا يقول:

وكلَّ يوم مَلِكٌ مقتولُ * أو خائفٌ مرَوَّعٌ ذليلُ**
أو خالعٌ للعقدِ كيما يَغْني * وذاك أدني للردي وأدني.قد نَغّصوا**
وكم أميرٍ كان رأس جيش * عليه كلَّ عيشِ**
وكل يومٍ شَغبٌ وغصبُ * وأنفسٌ مقتولة و حربُ**
وكم فتيً قد راح نهباً راكبا * إمّا جليس مَلِكٍ أو كاتبا**
فوضعوا في رأسه السياطُ * وجعلوا يردونه شطاط[1]**
وكم فتاةٍ خرجت من منزل * فغصبوها نفسها في المحفلِ**
ويطلبون كلَّ يومٍ رزقاً * يرونه دَيْناً لهم وحَقّا**
كذاك حتى أفقروا الخِلافة * وعَوّدوها الرُّعب والمخافَة [2]**

ومن خلال هذه الصورة المخزية لحكام الدولة العباسية التي ضعفت وتفككت أوصالها، مما هيأ لكثير من الحكام أن ينقلبوا علي ولاياتهم. فتصبح فارس والرى وأصبهان والجبل في أيدي بنو بويه ، وخراسان في يد نصر بن أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والموصل وديار ربيعة وبكر ومضر في أيدي بنى حمدان ، و الأهواز وواسط والبصرة في يد البريدي ، ومصر والشام في يد محمد ابن طغج الأخشيدى ، والأندلس في يد عبد الرحمن الناصر الأموي. [3].

ظهور الحَمْدانيّينَ ونسَبهم:-

يمتد تاريخ الدولة الحمدانية نحو مائة عام ، أي منذ قيام إمارتهم في الموصل عام (٢٩٣هـ . ٩٠٥م) حتى سقوط إماراتهم في حلب عام (٣٩٢هـ -

(١) يردونه: يقتلونه . الشطاط: الظلم

(٢) من الرجز ، ديوان ابن المعتز: شرح د. يوسف شكري فرحات ، دار الجيل . بيروت: ط١، ١٩٩٥م ، ص٧٦٢.

(٣) النجوم الزاهرة: ابن تغري الأتابكي، ، ج٣ ، ص ٢٩٣.

١٠٠١م) ومعني ذلك أن الدولة الحمدانية شملت أواخر القرن الثالث وكل القرن الرابع للهجرة تقريباً.

إن دراسة الحمدانيين تعني دراسة قطاع من تاريخ الخلافة العباسية من جهة ، ودراسة تاريخٍ خاص بدويلة من الدويلات المستقلة في إقليم من أقاليم الدولة العربية الإسلامية من جهة أخري.

ولعل مصدر أهمية دراسة الدولة الحمدانية لا يكمن في كونها مجرد دويلة مستقلة من تلك الدويلات الكُثر التي ظهرت إبان ضعف السلطة المركزية وضياع هيبة الخلفاء العباسيين فحسب ، ولا مجرد كونها مركزاً هاماً من مراكز الإشعاع الثقافي والجذب الفكري في تلك الحقبة الزاهرة حضارياً من تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، بل لكونها احدي الدويلات العربية القلائل بين الدويلات المستقلة التي قامت علي حساب الخلافة العباسية ، ولأنها وقفت سدّاً منيعاً في وجه الغزو البيزنطي الذي كان يستهدف مقدسات الأمة الإسلامية في بيت المقدس.

ويرتبط قيام الدولة الحمدانية اشدَّ الارتباط بحالة الضعف التي مرّت بها الخلافة العباسية في هذا القرن ، فكما أعلن الصفاريون والسامانيون استقلالهم في الأقاليم الشرقية ، وكما قامت الدولتان الأخشيدية والفاطمية في الأقاليم الغربية ، قُدِّر لقبيلة تغلب وهي صاحبة النفوذ في الجزيرة العربية، أن تتمتع بسيادة فعلية في هذا الإقليم[١].

والحق أن واجب الحمدانيين في حكم هذه البلاد ، كان شاقاً عسيراً بسبب وجود عدة قوى ذات بأس وخطر. فإذا استثنينا الخوارج الذين طالما اتخذوا الجزيرة مركزاً لنشاطاتهم ، والقرامطة الذين ظلوا يثورن هنا وهناك حتى أيام الأمير سيف الدولة الحمداني[٢]. نجد هناك قوتين عظيمتين : أولها القبائل العربية ، وثانيها القبائل الكردية.

---

(١) الدولة الحمدانية في الموصل وحلب: د. فيصل السامر: ، ، مطبعة الإيمان بغداد ط١ ، ١٩٧٠م،ج١، ص٤.

(٢) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي أبو الحسن سيف الدولة ، ولد في ميافارقين (٣٠٣هـ . ٩١٥م) نشأ شجاعاً مهذباً وملك الشام ودمشق وحلب ، وقيل ما اجتمع بباب أحد من الملوك بعد

وقد سلك الحمدانيون في سبيل إخضاع العرب مسلك اللين تارة ، والبطش تارة أخري ، ولجأوا في جذب الأتراك إليهم إلي سياسة حكيمة ، فاصهروهم وبذلك ارتبطوا معهم برابطة الخؤولة ووفروا علي أنفسهم قلاقل هذه العناصر القوية [١].

في الجانب الأخشيدي استمر الحمدانيون في مقاتلتهم وتتبع نفوذهم ، لكنهم أيام سيف الدولة خسروا أمامهم معركة في قنسرين ، وانتهي الأمر بصلح وضع حدود الصراع المستمر بين جبهتيهما.

ونجد هذه الدولة من أرفع الدول عماداً، وأثبتها أوتاداً ، وبيت أربابها من أنبه بيوت العرب ذكراً وأعلاها قدراً . وما أحسن فصلاً ذكره صاحب يتيمة الدهر في وصفهم فقال:" كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء ، أوجههم للصباحة ، وأكفهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، و ألسنتهم للفصاحة"[٢].

لقد كانت هذه التحديات التي واجهتها دولة الحمدانيين ، وقد نجحت الدولة في بعضها وأخفقت في أكثرها ، ولقد بدأ سيف الدولة الحمداني ، وكأنه الرجل الوحيد الممثل لهذا الدولة. وقد توالي علي الحكم بعد وفاة سيف الدولة ثلاثة خلفاء ضعاف حتى زالت في عهد أبي المعالي[٣]. سنة ٣٥٦هـ ، أي: أنها لم تعش بعد سيف الدولة الذي توفي سن٣٥٦هـ أكثر من أربعين سنة.

لقد تمثلت قوة الدولة الحمدانية في شخص ، وكعادة الدول التي ترتبط بأشخاص تسقط بسقوطهم. وكان أكبر عامل حضاري زحزح الدولة الحمدانية عن مكانها من التاريخ ، أنها فشلت في الاستجابة للتحدي الذي كان أقوي منها ، ولم تنتهج المنهج السليم في مقاومته عن طريق إيجاد وحدة إسلامية تتجاوز الصراعات الجزئية لتواجه الخطر الحضاري الكبير ، عندما تفشل دولة في الاستجابة للتحدي

الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر ، توفي (٣٥٦هـ .٩٦٧م)؛ خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين ، لبنان ، بيروت : ١٩٨٤م ، ج٤، ص٣٠٣.

(١) الدولة الحمدانية في الموصل وحلب: ج١ ، ص٤.

(٢) يتيمة الدهر من محاسن أهل العصر: أبي منصور الثعالبي النيسابوري: ، شرح وتحقيق:د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣م ، ج١ ، ص٣٧

(٣) هو أبو المعالي شريف بن سعيد الدولة الحمداني.

الذي يفرضه القدر عليها ، فإنها و إن قاومت قليلاً ، فإنها لابد أن تسقط من قطار التاريخ[١].

والحديث عن نسب الحمدانيين، نجد أنهم ينتسبون جدهم أبي العباس حمدان ابن حمدون ، وهو أقدم فرد في هذه الأسرة له دور في التاريخ ، فكأن الأسرة الحمدانية تبدأ به. أما قبله فمغمورون لا نعرف عنهم سوى أسمائهم وبعض قصص الفخار التي رددها الشاعر أبي فراس الحمداني [٢]. في شعره. فقال:

أنا الحارثُ المُخْتار من نَسْلِ حارثٍ[٣]*إذا لم يسُد في القوم إلا خايرُ[٤].**

وسمي أيضاً حمدان بمكابد المحل ، وذلك لأن الموصل أجدبت حتى عدم القوت بها ، فمات الناس أجمع سنتين إلي أن أغيثوا. وفيه يقول الشاعر:

ما زلتَ في قَيْظِ المعيشةِ جاهداً * حتى دُعيتَ مُكابِدَ المَحْلِ[٥].**

وبنو حمدان بطن من بطون تغلب بن وائل من العرب العدنانية ، ووائل بن قاسط بن هنب بن أقصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان[١].

---

(١) أنظر: دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية ، الدكتور عبد الحليم عويس ، القاهرة: ط٤ ، بدون تاريخ ، ص١٠٢

(٢) هو أبو فراس الحارث ابن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون ابن عم سيف الدولة كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً وكرماً ومجداً وفروسيةً وشجاعةً ، وشعره مشهور سائر ، توفي سنة ٣٥٧هـ ؛ وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ،ابن خلكان ، دار صادر . بيروت ،١٩٦٩م ، ج٢، ص٥٨.

(٣) أراد جده الأدني الحارث بن لقمان بن راشد ، فأنه أصلح بين قبيلة بني تغلب وودي قتلاهم من ماله ، وكانوا مائة قتيل ، وقال شاعرهم:

عصفت رياحُ الحارث بن ربيعة * وَجري لها بالنَحس أشأمُ طائرِ
حتى انْبري لعمُودِها فأقامه * صافي أديمِ العِرْض خيرُ أخايرِ
حمل العظيم ولم يُكلِّف قومه * جَمْعَ البعيرِ إلي البعيرِ الدّائرِ

* من الكامل . ديوان أبي فراس الحمداني – د. خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت: ط٤، ١٩٩٩م ص١٢٨.

(٤) من الطويل ، ديوان أبو فراس الحمداني ، ص١٢٨.

(٥) من الطويل . نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، الهيئة المصرية العامة للكتب ، القاهرة: ١٩٨٥م، ج٢٦، ص١٢٣.

وقد تفرعت الأسرة الحمدانية من حمدان بن حمدون هذا الذي أنجب ثمانية أولادهم: أبو اسحق إبراهيم، وأبو علي الحسين وأبو السرايا نصر وأبو الهيجاء عبد الله و أبو العلاء سعيد وأبو سليمان داؤود. وكان أشهر هؤلاء الأولاد أبو الهيجاء الذي أنجب ولدين هما الحسن الذي لُقب فيما بعد بناصر الدولة ، وهو مؤسس فرع الحمدانيين في الموصل ، وعلي الذي لُقب بسيف الدولة ، هو رأس الفرع الحمداني في حلب(٢).

غير أن هناك ولداً سابعاً ذكره ابن خالوية في شرحه لديوان أبي فراس سماه "شيح بني حمدان" ووصفه بالحرون . وولد ثامن ورد ذكره في شعر أبي فراس وهو علي(٣).

ونجد نسب الحمدانيين في تغلب ظاهراً في شعرهم ، فمن ذلك قول شاعرهم المتنبي في مدح سيف الدولة:

من تغلبَ الغالبين الناس منصبه * ومن عُدِيٍّ أعادي الجُبنِ والبُخلِ**(٤).

ويقول أيضاً في رثاء خولة أخت سيف الدولة:

وإن تكنْ تغلبُ الغلباءُ عنصرها ** فإن في الخمرِ مغني ليس في العنبِ(٥).

ويقول الشاعر أبي فراس الحمداني الذي يغالي في التغني بأمجاد تغلب ومكانتها في الجاهلية والإسلام، ويُعرّض بالأعاجم في أكثر من موضع. حيث يقول:

وقد عــلمتْ ربيعة بل نزارٌ * بأنّا الرأس والنــاسُ الذنابي**(٦).

وقوله أيضاً:

---

(١) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة، لبنان ، بيروت: ط٥ ، ١٩٨٥م، ج١، ص١٢٠

(٢) الدولة الحمدانية في الموصل وحلب: ج١، ص٤٤.

(٣) نفسه

(٤) من البسيط . ديوان أبي الطيب المتنبي: أبي البقاء العكبري: ، ضبطه وصححه مصطفي السقا و إبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت:بدون تاريخ ،ج٣، ص٨٠.

(٥)من البسيط . ديوان أبي الطيب المتنبي: أبي البقاء العكبري ، ج١، ص٩١.

(٦) من الوافر . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ٢٩٤.

تبـوّأتُ مــن فرعــي مَعَـدٍ كليهمــا * مكانــاً أرانــي كيـف تبنــي المَفـاخرُ**
ويجمعُنـــا فـــي وائـــلٍ عَشـــريةٌ * ووِدٌّ وأرحـــــامٌ هنـــــاك شـــــواجِرُ**
لنـــا أوّلٌ فـــي المكرُمـــاتِ وآخِـــرٌ * وبـــاطنُ مجـــدٍ تغلبـــي وظَـــاهرُ**[1].

ويشير الشاعر السري الرّفاء[2] إلي فخذ من أفخاذ تغلب كالأراقم ، بقوله:

حسبُ الأراقـم إذا أنتم ذوائبها * وهي الذوائب في الأحساب والقِلَلُ** [3].

وقد اشتهر من تغلب هذا كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس، فهاجت بسبب ذلك حرب البسوس [4]. بين بكر وتغلب التي دامت . كما قيل . أربعين سنة في القرن الخامس الميلادي. علي كل حال فإن تغلب أعظم قبائل ربيعة شأناً في بلاد العرب لعهدها القديم ،ويقال إن جد القبيلة اسمه دثار ، وإنّ أباه تمني له أن يغلب ، فلحق به هذا اللقب[5]. والناظر إلي دولة الحمدانين وهم من تغلب، فإنه يجد في تاريخهم السياسي ثم الأدبي، جملة من الخصائص التي تميزت بها هذه القبيلة منذ أقدم عصورها التاريخية من شجاعة حربية فائقة متوارثة ، ومن فخر بنسبها وماضيها ، وتبريز في ميادين الشعر والأدب.

---

(١) من الطويل . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ١٢٧.

(٢) هو أبو الحسن السري الكندي الرفاء الموصلي ، ويعرف بالسري الرفاء، لانه كان يرفو الثياب ويطرزها ، وهو عربي من كندة ، ولد بالموصل ، توفي ببغداد :٣٦٢هـ

(٣) من البسيط . ديوان السري الرفاء: كرم البستاني ، دار صادر ،ط٣، بيروت: ١٩٩٥م. ص٣٥٣

(٤) أنظر: الأغاني: أبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر . لبنان ، بيروت: بدون تاريخ، ج٥، ص٣٤.

(٥) فنون الشعر في مجتمع الحمداني: د. مصطفي الشكعة : ، طبعة عالم الكتب . بيروت ، ١٩٨١م ،ص٧

الحياة الثقافية والعقلية:

تميز القرن الرابع الهجري بنمو الحركة الثقافية وانتشارها ، فإن تفتت وحدة الدولة وقيام الدويلات المستقلة أديا إلي ظهور عدة بيئات ثقافية بسبب تنافس الأمراء في جذب الأدباء والمفكرين إليهم كوسيلة من وسائل الدعاية والمباهاة من جهة ، وولعاً بالثقافة ذاتها من جانب بعض الأمراء من جهة أخري. وفي هذا العصر نضج الفكر الإسلامي بما جد فيه من ثقافات نقلت إلي العربية. وقد تعددت مراكز الثقافة في الدولة الإسلامية(١).

ولقد فصل الدكتور صالح آدم بيلو القول في الثقافات التي كانت سائدة في هذا القرن وفي القرون التي سبقته، فحصرها في الثقافة الفارسية التي كانت ذات صلة وثيقة بالمجتمع العربي ، حيث اتصلت به قبل الإسلام بعدة قرون لأن: (صلة العرب بالأمة الفارسية قديمة تعود إلي ما قبل الإسلام بكثير بسبب الجوار) (٢). كما وضح تأثيرها العميق في المجتمع، و ما أنتج من أدب. وقد تمثل ذلك التأثير في تلك الموجات من اللهو المجون، والزهد المتطرف، وفي الزندقة والشعوبية، وفي القصص والحكايات.

والثقافة الأخرى التي كان لها أثرها الواضح هي الثقافة اليونانية، وصلتها بالوطن العربي قديمة أيضاً، وقد كانت مراكزها منتشرة في هذه المنطقة، ثم كان التأثير المباشر للفكر والفلسفة اليونانية عن طريق الترجمة التي تمت بصورة رسمية وبخطة واضحة في عهد المأمون (٣).

والثقافة الثالثة هي الثقافة الهندية، وصلة العرب بها قديمة، فقد كانوا علي معرفة بهم منذ جاهليتهم وعاملوهم تجارياً.

---

(١) الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ، ج١ ، ص ٣٥٩.

(٢) الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب: د. صالح آدم بيلو: ، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة: ط١ ، ١٩٨٨م ، ص٢٩.

(٣) الأغاني: أبي الفرج الأصبهاني ،ج٥، ص٣٤.

وهناك أيضاً ثقافات الأمم التي عاشت في هذه المنطقة كالسريانية و إليهودية والنصرانية[١].

علي أن العرب في هذا العصر زاد ، اقتباسهم للأفكار الفلسفية واطلعوا علي تاريخ اليونان ، فصاروا يتمثلون بأبطالهم. كقول المتنبي في ذلك:

مَـنْ مُبلـغ الأعـرابِ أنّـي بعـدها * شـاهدتُ ارسـطإليس والاسـكندرا**

وسـمعتُ بطليمـوس دَارِسَ كُتْبـه * مُتملَّكـاً مُتبـدِّياً مُتحضِّـزا**

ولقيـت كُـل الفاضـلين كأنّمـا * ردّ الإلـه نُفوسـهم والأعْصُـرا[٢].**

لقد كان الحمدانيون في مقدمة المهتمين بالثقافة في هذا العصر ، ولا غرابة فقد كان بينهم هم أنفسهم شعراء وأدباء ينظمون الشعر ويتذوقونه. و إذا استثنينا سيف الدولة الحمداني . الذي يقف في المقدمة في هذا الميدان . نجد أمراء حمدانيين كُثراً حفظت لهم كتب التاريخ والأدب ذكراً عطراً في روضة الشعر والأدب.

وكذلك قد برز كثير من الشعراء في رحاب دولة بني حمدان من أمثال السري الرفاء الذي تغني بجمال مدينة الموصل، وترك لنا صوراً اجتماعية رائعة وصف فيها الحلاقين والأطباء، والسفن وصيادي السمك، فضلاً عن وصف مشاهد الطبيعة وأزهارها واشجارها وغدرانها ، والسحب والثلج. كما أفتتن في وصف مجالس اللهو والطرب [٣].

وأيضاً برز الخالديان الأخوان الموصليان: أبو بكر وأبو عثمان محمد سعيد ابناء هاشم ، من قرية الخالدية بالموصل. وكانا شاعرين أدبيين حافظين ، غير إنهما أتهما بالسرقة الشعرية [٤]. كما تركا تصانيف منها كتاب " حماسة شعر المحدثين" ، و " أخبار أبي تمام ومحاسن شعره"، و" وأخبار الموصل" وغيرها.

---

(١) الأغاني: أبي الفرج الأصبهاني ، ج٥، ص٣٤.

(٢) من الكامل . شرح ديوان المتنبي: ، ج٢ ، ص٧٦.

(٣) الدولة الحمدانية في الموصل وحلب: ، ج١ ، ص٣٦٥.

(٤) الفهرست ابن النديم: ، علق عليه الشيخ إبراهيم رمضان ، دار المعرفة . لبنان ، بيروت: ط٢، ١٩٩٧م ، ص ١٦٩.

وكـان مـن الشـعراء أيضـاً أبـو الفـرج الببغـاء [١]. وابـن نباتـة السـعدي [٢]. والصنوبري [٣]. و أبو العباس النامي[٤]. والخباز البلدي [٥]. وغيرهما من الشعراء الذين اجتمعوا في بلاط سيف الدولة الحمداني.

وفي الميدان الثقافي اللغوي برز أبو الفتح عثمان بن جني النحوي ويصفه ابن خلكان[٦]. " بأنه كان إماماً في علم العربية، قرأ الأدب علي الشيخ أبي علي الفارسي ، وقعد للإقراء بالموصل". وكان مملوكاً لسليمان بن فهد الأزدي ، ولكن أصله لم يحل دون ظهوره وبروزه إلي القمة أسوة بكثيرين غيره من العبيد الذين أتيحت لهم فرص التعلم. حيث كان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الموصلي. ولعله يشير إلي ذلك بقوله:

وحُلْـــــو شـــــمائل الأدبِ * مُنيـــفِ مراتـــب الحَـــسبِ**
أفـــي فخـــر مـــفَاخرهُ * عقـــائلُ عُقلـــةِ الأدبِ**
فـــأن أصـــبح بـــلا نســـبِ * فعلمـــي فـــي الـــوري نســـبي**
عـــلي أنَّـــي أؤول إلـــي * قُـــرومٍ ســـادةٍ نُجُـــبِ**
قياصـــرةٍ إذا نطقـــوا * ارمَّ الدهـــرُ ذو الخطـــبِ**
أولاك دُعـــا النبـــيُّ لهـــم * كفـــي شـــرفاً دُعـــاء نبـــي[٧].**

---

(١) هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزمي من أهل نصيبين ، اتصل بسيف الدولة في شبابه،ثم انتقل إلي الموصل وبغداد.

(٢) هو أبو نصر بن نباتة بن الحجاج بن مطر بن خالد.

(٣) أبو بكر أحمد بن محمد الحسين بن مراد نشأ بحلب وقضي أكثر حياته بها . ت ٣٣٤هـ

(٤) أبو العباس أحمد بن محمد الدرامي المصيصي المعروف بالنامي . ت:٣٩٩هـ.

(٥) أبو بكر بن حمدان من شعراء الدولة الحمدانية له ديوان شعر يحمل اسمه.

(٦) وفيات الأعيان :ابن خلكان ، ج١ ، ص ٣٩٤.

(٧) من مجزو ء الوافر ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام: الخطيب البغدادي ، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت: ط١ ، ١٩٧٧م.ج١١، ص ٣١٠.

ونجد أيضاً " ابن خالويه" أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، النحوي اللغوي ، أصله من همذان ولكنه دخل بغداد وأدرك جِلَّة العلماء بها. وكانت وفاته بحلب سنة سبعين وثلاثمائة [١].

وكان أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي الأرمني الأصل معلماً لأبي تغلب بن ناصر الدولة وأخيه. ثم أصبح نديمهما. و بالإضافة إلي مصنفاته الأدبية مثل " النزه والإبتهاج " و " أخبار أبي تمام " [٢]. فإنه كان شاعراً مجيداً واسع الرواية ، ترك لنا بضع مقطوعات عذبة في وصف البنفسج والجلنار والتغني بالطبيعة[٣].

وكثرت المكتبات في هذا العصر ، في مصر والعراق والأندلس وغيرهم، تضم المكتبة مئآت الألوف من المجلدات.كما فتحت أبوابها لطلاب العلم في سائر العلوم القديمة من فقه ولغة وتاريخ وغيرها. ومن هذه المكتبات دار الحكمة أو دار العلم والحاكم لأمر الله[٤].

والحق أن هذا العصر مثل عصر النهضة في الإسلام ، تشبيها له بعصر النهضة الأوربية التي قامت علي التراث اليوناني عندما ورثته وهضمته وأضافت إليه.

---

(١) وفيات الأعيان :ج٢ ، ص١٥٤.

(٢) معجم الأدباء: ياقوت الحموي: مطبعة دار المأمون ، مصر ، القاهرة:بدون تاريخ ، ج١، ص٢٤١.

(٣) يتيمة الدهر: الثعالبي، ج١ ، ص ١٣٨.

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٣م ج٢، ص٢٣٤.

الحياة الاجتماعية:

كان مجتمع بني حمدان في القرن الرابع الهجري ، ككل المجتمعات القديمة والحديثة يتكون من ثلاث طبقات ، تتميز كل واحدة منها عن الأخرى تميزاً واضحاً في كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية سواءاً في المأكل أو المشرب، أو الملبس أو المسكن ، أو في الأخلاق والعادات ، أو وسائل اللهو والمتعة.

أمراء الحمدانيين:

هي طبقة العِلْية من القوم ، وهي الطبقة الرفيعة الغارقة في الترف الحسي، وهي التي تتمتع بكل ملذات الحياة المادية ، لأنها تملك من الثروات ما يبيح لها أن تتقلب في هذا النعيم الذي كانت تحس أنه غير مقيم.

ومما يروي أن الأميرة الحمدانية جميلة حين حجت سنة ٣٦٦هـ نثرت علي الكعبة عشرة آلاف دينار، وسقت جميع الحجيج السويق بالسكر و الثلج، وأعتقت ثلاثمائة عبد و مائتي جارية ، وفرقت المال علي المجاورين حتى أغنتهم وخلعت علي الناس خمسين ألف ثوب(١).

وكان ناصر الدولة الحمداني (٢٩٣هـ – ٣٥٦هـ) صاحب الموصل وما والاها، يرسل إلي أخيه سيف الدولة مبلغ نصف مليون دينار كل شهرين لتوزيعها علي الجند المرتزقة الأتراك بغية احتلال البصرة وتثبيت نفوذه في واسط، ومن ثم في بغداد بعد طرد البريديين وذلك في سنة ٣٣١هـ (٢).

كانت حياة الأمراء والأغنياء والخاصة رافهة ناعمة، ولذا أدركنا مقدار النعيم الذي تقلب فيه الأمراء والخاصة يومذاك.

الطبقة الوسطي:

تتكون هذه الطبقة من الكُتّاب والموظفين والقضاة والشعراء والأدباء و العلماء. ثم المعلمين الذين يختلف إليهم الناشئة ومن يرغبون في زيادة المعرفة والعلم.

---

(١) النجوم الزاهرة،ج٤، ص١٢٦.

(٢) الدولة الحمدانية في الموصل وحلب: ، ج١ ، ٣٧١.

وهذه الطبقة . فيما يري الباحث . هي التي وسمت هذا القرن بسماته التي عُرِف بها ، وهي التي كوّنت ثقافته ولونت مزاجه و حياته الاجتماعية التي كانت تموج بكل ضروب الحياة الجادة واللاهية. وذلك بسبب التمازج الاجتماعي الذي كان قد بدأ يختمر منذ القرن الثاني الهجري ، ثم اكتمل في هذا القرن ، فصار المجتمع مزيجا من الأعراق والثقافات والعقائد والعادات المختلفة، اختلطت بالمصاهرة والجوار ، التقي فيها العربي بالفارسي ، والزنجي والرومي والديلمي والهندي ، مما أدي إلي تمازج حضاري صبغ كل مجالات الحياة.

وكانت تعيش هذه الطبقة عيشة فيها كثير من السعة والخصب عندما تجود عليها الطبقة العليا بالعطايا والهبات، وتجدب هذه الموارد عندما تضطرب حياة الطبقة العليا بالمؤامرات والدسائس والخلع و المصادرات والقتل. وهي طبقة لم تكن لها نفقات كبيرة، وكان يُعدُّ من يقتني سبعمائة دينار صاحب ثروة كبيرة وكثير من الصناع والتجار لم تكن ثرواتهم تزيد علي ذلك.

عامة الشعب وأفراده:

الحديث هنا عن الطبقة العامة من الرعية، وهي التي يقع عليها عبء العمل كله في الزراعة وفي الصناعات الصغيرة، وفي خدمة ارباب القصور، فهي التي تعمل في الاقطاعات والضياع ، وهي التي تقوم علي تقديم أسباب الحياتين للطبقتين الوسطي والعليا ، عاملة تارة أو صانعة ، أو خادمة تارة ثانية. فكل ما تتغلب فيه الطبقتان من النعيم إنما هو من أيدي هذه الطبقة العامة، يسلبونه منها بطرق شتي ولا يبقون لها سوي الضنك والضيق والبؤس والشقاء[١].

(١) العصر العباسي الثاني: د. شوقي ضيف: ، ص٦٢.

وبعد هذه المقدمة لصورة المجتمع الحمداني سياسياً وثقافياً واجتماعياً، سوف نخص المجتمع الحمداني بشيءٍ من التفصيل والتحليل، من خلال تصوير الشعراء للحياة في مختلف جوانبها، من الصالح، وفي الطالح، حتى تتبيّن لنا صورة واضحة المعالم والأبعاد لذلك المجتمع. واخترنا في بحثنا هذا عناصر هذه الصور من خلال الحياة الجادة والحياة اللاهية.

أولاً: الحياة الجادة: ونقصد بها تلك الملاحم الجهادية وصور البطولة الرائعة التي خاضها المجتمع الحمداني، واستطاع الشعراء أن يرقو بوصف الجهاد وشعر الحرب، إلي أعلى مرتبة بلغها هذا الفن. وعلي رأس هؤلاء الشعراء: المتنبي وأبي فراس الحمداني.

ومن العناصر أيضاً الوقوف علي مظاهر التديّن والأخلاق وتأثيرهما علي المجتمع. ثم كان العلم ومجالسه الأدبية ، حيث كان التنافس المحموم بين أمراء الدولة الحمدانية في إجتذاب العلماء إلي مجالسهم وذلك بإجزال العطايا والهدايا لهم، فأفرزت لنا هذه المجالس بدائع الروائع، ونفائس الدرر.

أمّا في مجال العمران والحضارة، فقد تأثر المجتمع الحمداني إلي حدٍ كبيرٍ في عمرانه بالعباسيين، من بناءِ القصور الفخمة التي تحيط بها الحدائق الغناء. وهو مظهر حضاري فارسي قديم. وكأمتداد طبيعي لهذا الترف، نجد الإسراف في الأطعمة والأشربة، وأدوات الزينة.

أمّا علي مستوي العامة، فنجد أنتشار وإزدهار الكثير من المهن والحرف، نتيجة لثراء الدولة الحمدانية وإغداق أُمرائها المال علي المشاريع الإنتاجية، مثل: الزراعة وتشجيع التجارة مع الأقطار المجاورة. هذا بجانب الحرف السائدة مثل صيد الأسماك وحياكة الملابس وغيرها.

ثانياً: الحياة اللاهية: ونعني بها تلك الحياة الخاصة في المجتمع العباسي، حيث ظهرت في البيئة العباسية طبقة أثرت تأثيراً عميقاً في حياة المحدثين، تلك هي طبقة الجواري. والجارية في الأصل هي الفتاة، أو الفتية من النساء، ولكنها أصبحت تطلق علي الإماء . أي الجواري المملوكات . علي أن الجواري في العصر العباسي لم يكنّ يُمتهنّ في خدمة البيوت ، أو أننا نحن لا نعني هؤلاء منهنّ. بل كان هنالك أستاذون

وأستاذات يعلمون الجواري أصناف العلوم كالفقه والكلام، وأنواع الفنون كالغناء والرقص والشعر. حتى إنهنّ كنَّ يُتخذنَ للمباهاة والمناظرة. ورغب الناس في الزواج بالجواري فأنجبن الأولاد، وكثيراً ما كان أبناء الجواري أشهر وأقدر من أبناء الحرائر. نعد من ذلك المنصور والرشيد والمأمون والمعتصم. إلا أن كثرة الجواري في بيوت الخلفاء والأمراء ، وفي مواقع اللهو ، كان مدعاة إلي الفساد الاجتماعي الذي أنّتْ منه البيئة العباسية. ولقد زاد في الفساد نشوء طبقة الغلمان والخصيان[١].

والفرس من قديم ميالون إلي الإفراط في الشراب، والإفراط في الغناء، حتى وصفهم هيرودوت بالإمعان في ذلك، والغلو فيه ، وتصريف شؤون الدولة وهم سكارى[٢]. وقد أدي هذا بالإضافة إلي انتشار بعض العقائد والمذاهب الأجنبية التي تنادي بالتحلل من القيم الخلقية والدينية، وتدعو إلي الاستمتاع بكل ما في الحياة من شهوات، إلي أن أصبحت اللذة هي الشغل الشاغل لكثير من المترفين ، والمبهورين بالحياة الأجنبية ، فأخذوا يجرون وراء اللذة أينما كانت ، مقلدين في لهوهم وعبثهم أصحاب الحضارات الأجنبية من الفرس والروم. يقول أبو نواس:

أبحْتُ حريم الكأسِ إذ كنتُ مُثريا * و أقصرتُ عنها ما صرتُ مُعسِرا**
ولو أنّ مالي يستقّل بِلذّتي * لا نْسَيتْ أهل اللهو كسرى وقيصرا[٣]**

لقد ورث القرن الرابع الهجري مجون القرنين الثاني والثالث ، وأضاف إليه التيارات التي تدفقت إليه من الأجناس التي وفدت إلي العراق والشام ومصر، وما كان يتمتع به النصارى في هذه البلاد من حرية ، أتاحت لهم بناء الأديرة الكثيرة ، وإحاطتها بالحدائق المثمرة ، وملء أخبيتها وسراديبها بالأنبذة والخمر المعتقة ، والسقاة والساقيات.

---

(١) تاريخ الأدب العربي: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين ، لبنان ، بيروت: ط٦ ، ١٩٩٧م،ج١، ص٣٨.
(٢) ضحى الإسلام: أحمد أمين: ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٩ ، ١٩٧٧م ، ، ج١، ص١٨٢.
(٣) من الطويل . ديوان أبي نواس ، ص ٢٧٦.

البَابُ الأوَّل

الحَيْاةُ الجَادَة

الفصل الأول: شعْرُ الحرّبِ والجِّهاد

الفصل الثاني: التدينُ والأخلاقُ ومَظاهِرُهُما

الفصل الثالث: العلمُ والمجالسُ الأدبيَّة

الفصل الرابع: العُمرانُ ومظاهرُ الحضّارة، والغِذاءُ والألبسةُ والأزْيَاءُ

الفصل الخامس: المِهَنُ والحِرفُ ، ووسائل كسب العيش وتنوعها

الفَصْلُ الأوّل

شعِْرُ الحرّبِ والجِّهادْ

كانت إمارة الحمدانيين علي الحدود التي تفصل بين بلاد الإسلام وإمبراطورية الروم، ولما كانت الحرب سجالاً بين العرب والروم منذ مستهلِّ الدولة العباسية بحيث لم تكن تمرّ سنة دون أن تحدث فيها مناوشات أو وقائع بين الطرفين، الأمر الذي فرض علي بلاد الشام من التبعات الخطيرة، ما جعلها دائمة الحذر والإستعداد لكل موقعة تشهدها أو حرب تفاجئها.

ولم تكن حروب الحمدانين ناشبة مع الروم وحدهم، بل كانت هناك حروب بين ناصر الدولة ومعز الدولة بن بويه، كما كانت حروب سيف الدولة مع الأخاشدة تارة، ومع القبائل الثائرة تارة أخري، ومع الروم في أكثر الأحوال[١].

والحق أن شعر الحرب والجهاد تمثل في مدح الأمراء والقادة الذين كانوا يدافعون عن الدين، ويذودون عن ديار المسلمين ومقدساتهم، والذين كانوا يغزون الكفار في ديارهم يقتلون ويأسرون ويغنمون.

إن أكثر الأمراء الذين نالوا مدح الشعراء في هذا الاتجاه هو سيف الدولة الحمداني، فقد كان أكثر أمراء هذا القرن شجاعة ونبلاً وجوداً ، وإمعاناً في غزو الروم. حتى قيل أنه:" غزا الروم أربعين غزوة له وعليه. وعبر الفرات إلي بلد الروم ، ولم يفعله أحد قبله"[٢].

لقد استطاع الشاعر العظيم أبو الطيب المتنبي أن يرقي بوصف الجهاد إلي أعلي مرتبة بلغها هذا الفن سواءاً من حيث الصياغة الجزلة القوية التي تشعل الحماسة في القلوب، أو من حيث المعاني الرفيعة. ويظهر تصوير المتنبي لما يثور

---

(١) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، ص٥٦٩.

(٢) يتيمة الدهر ، ج١ ، ص ٥٠.

في نفس العدو من خوفٍ ووجل ، حيث يصور المتنبي ذلك أحسن تصوير و أبلغه ، فيقول عن إحدى غزوات سيف الدولة للروم:

وما الِفرارُ إلي الأجبال من أُسدٍ * تمشي النعامُ به في معقل الوَعلِ[١]**

جاز الدّروبَ إلي ما خَلْفَ خَرْشنةٍ * وزال عنها وذاك الروعُ لم يزلِ[٢]**

فكُلما حَلمتْ عذراءُ عندهمُ * فإنَّما حَلمتْ بالسّبِي والجَمَلِ[٣]**

ويخرج سيف الدولة للغزو سنة ٣٤٢هـ فيصيب أكثر من نصر ، ويفتح البلاد والحصون في حرب خاطفة ويلتقي بالروم مرات عديدة ، ويتوج إحدى وقائعه بأسر " قسطنطين برداس فوكاس "ملك الروم وجماعة من كبار القادة والبطارقة. فيصور المتنبي هذه الموقعة مع الروم، ثم يصف الخيل التي حارب بها سيف الدولة وهي في الطريق إلي المعركة ، ملتحمة تخوض بحاراً من نجيع وتدوس أشلاء من الجثث ، وهي خيول كالسهام المنطلقة في سرعتها ، وهي أصيلة معقوفة الذيول كالعقارب ، وهي مرحة طروبة لا تكف عن الصهيل. ثم أنها خيول نحيلة من كثرة الركض نشيطة لا تعرس في بلدة أو تستريح أو تقيل ، وإنما هي دائمة الانطلاق إلي المعركة ، فإذا وصلت بلدتي " دلوك" و " صنجة" من بلاد الروم ، احتلت روابيها وجبالها رغم صعوبة الطرق والتواء الدروب فيقول:

وما قبلَ سيف الدولة اثَّأرَ عاشقٌ * ولا طُلبت عند الظلام ذُحولُ[٤]**

ولكنه يأتي بكلّ غريبةٍ * تروقُ علي استغرابها وتهُولُ[٥]**

رمي الدّرب بالجُرد الجياد إلي العِدي * وما علموا أنّ السهامَ خُيولُ**

شوائلَ تشوال العقارب بالقنا * لها مرحٌ من تحته وصهيلُ[٦]**

وما هي إلا خطرةٌ عرضت لهُ * بحرّانَ لبّتهَا قنَاً و نُصولُ[٧]**

---

(١) ما: استفهام للتنبيه علي الباطل ، المراد بالأسد : سيف الدولة ، النعام : خيله ، الوعل: تيس الجبل ، معقله: الموضع الذي يمتنع فيه في رؤوس الجبال ،أي أن فرار الروم إلي الجبال لا ينفعهم ووراءهم هذا الأسد

(٢) خرشنة : بلد : أي أنه فارق الروم وخوفه لم يفارق قلوبهم.

(٣) : من البسيط . شرح ديوان المتنبي ، ج٣، ص٢٠٧.

(٤) اثأر: أدرك ثأره ، الذحول: جمع ، ذحل: الثأر

(٥) تهول: تخيف

(٦) شوائل: رافعة أذنابها كالعقارب.

(٧) حران: اسم موضع

همـامٌ إذا مـا هـمَّ أمضـي هُمومـهُ * بـأرعنَ وطءُ المـوت فيـه ثقيـلُ[١]**
وخيـلٍ براهـا الـركضُ فـي كـل بلـدةٍ * إذا عَرّسـتْ فيهـا فلـيس تقيـلُ[٢]**
فلمـا تجلـي مـن دَلُـوكٍ وصـنْجةٍ * عَلـتْ كـلّ طَـوْدٍ رايـةٌ ورعيـلُ[٣]**
علـي طُـرُق فيهـا علـي الطُـرقِ رفعـةٌ * وفـي ذكـرِها عنـد الأنـيس خُمـولُ[٤]**
فمـا شـعروا حتـى رأوْهَـا مُغيـرةً * قِباحـاً وأمّـا خلقُهـا فجميـلُ[٥]**

هذا الوصف الممتع الدقيق المتحرك الذي أفرده الشاعر للخيل ، يمضي بعده الشاعر في ذكرها مشركاً معها وصف بعض مناظر المعركة وأخبارها. فبعد أن يشبه الخيل وركيبيها من الفرسان المتمنطقين بالدروع الحاملين الأسلحة و السيوف، بالسحب التي تمطر الحديد ، ويذكر السبايا وقد شققن جيوبهن حزناً علي أوليائهن الذين ذابوا في المعركة ، ثم يذكر الخيل وقد اتجهت لخوض معركة أخرى، وقد أعمل الجنود الحريق في البلاد التي يمرون بها ، والمسالك التي يجتازونها حتى أصبحت أطلالاً.وهي صورة كأنها أمامنا مباشرة.إذ يقول المتنبي:

سـحائبُ يَمطُـرنَ الحديـد علـيهُم * فكُـلّ مكـانٍ بالسـيوفِ غسـيلُ[٦]**
وأمسـي السـبايا ينتحـبنَ بعرقـةٍ * كـأنّ جُيـوبَ الثـاكلات ذُيـولا[٧]**
وعـادتْ فظنوهـا بمـوْزار قفّـلاً * ولـيس لهـا إلا الـدخول قُفُـولُ[٨]**
فخاضـتْ نجيـع القـوم خوضـاً كأنـه * بكـلّ نجيـعٍ لـم تخضْـهُ كفيـلُ**
تُسـايرها النيـرانُ فـي كـلّ منـزلٍ * بـه القـومُ صـرعي والـديار طُلـولُ[٩].**

---

(١) الأرعن: الجيش المضطرب لكثرته.

(٢) خيل: معطوف علي أرعن ، براها: هزلها ، عرست: نزلت ليلاً، تقيل: تنزل نهاراً

(٣) دلوك: موضع وراء الفرات ، صنجة: نهر ، الرعيل: القطعة من الخيل.

(٤) علي طرق: من صلة علت في البيت السابق ، الخمول: خفاء الذكر ، أي طرق خاملة الذكر عند الناس لأنها لم تسلك من قبل.

(٥) أي بالنسبة لفعلها بهم ؛ من الطويل . شرح ديوان المتنبي ، ج٣، ص٢٢٢.

(٦) سحائب : خبر عن ضمير الخيل ، الحديد: يراد به السيوف ، أي أن السيوف تغسل الأرض من العدو كما يغسل المطر الغبار ونحوه.

(٧) عرقة: بلد بالشام.

(٨) ضمير عادت الخيل . موزار: حصن ببلاد الروم ، قفل: راجعات ، أي ر جوعها الذي ظنوه رجوعاً كان دخولاً عليهم.

(٩) من الطويل . شرح ديوان المتنبي: ، ج٣ ، ص٢٢٢.

ثم يلتفت الشاعر إلي سيف الدولة ويصفه بما يوصف به عظماء المحاربين من أن الرماح عنه قصيرة لا تصل إليه والسيوف عنه كليلة لا تؤثر فيه ، وهو جواد بماله بخيل بجنوده لا يوردهم موارد الهلاك ، وإنما يدفعهم إلي حيث مواكب النصر ومواقع الظفر. ويعرض المتنبي لأهم ما حدث في المعركة وهو أسره " قسطنطين" ابن الإمبراطور القائد ويتوعده بالعودة ويتهكم عليه في سخرية لاذعة لأنه هرب جريحاً وترك ابنه أسيراً ، حيث يقول:

فلمـــا رأوْهُ وحـــــده قبـــل جيشـــــه * دَرَوْا أنّ كـــلّ العـــالمين فُضـــــولُ**
وأنّ رمـــاحَ الحـــظ عنـــه قصـــيرةٌ * وأنّ حـــــديد الهنـــد عنـــــه كليـــلُ**
فـــأوردهم صـــدر الحصـــان وســـيفه * فتـــيً بأسُـــه مثـــلُ العطـــاء جزيـــلُ[١].**
جـــوادٌ علـــي العِـــلات بالمـــال كُلـــه * ولكـــــــنه بالـــــدَّارعينَ بخيـــــلُ[٢].**
فـــــودّع قـــــتلاهم وشـــــيع فَلَّهُـــــم * بضربٍ حُزونُ البيض فيه سهولُ[٣].**
علـــي قلـــبِ قُســـطنطين منـــه تعجـــبٌ * وإنْ كـــان فـــي ســـاقيه منـــهُ بـــولُ**
لعلـــك يومـــاً يـــا دمســـتقُ عائـــدٌ * فكـــم هـــاربٍ ممـــا إليـــه يـــؤولُ[٤]**
نجـــوتَ بأحـــدي مُهجتيـــك جريحـــةً * وخلّفـــتَ احـــدي مهجتيـــك تســـيلُ[٥].**
أتُســـــلم للخطّيـــــة ابنـــــك هاربـــــاً * ويســـكن فـــي الـــدنيا إليـــك خليـــلُ**
بوجهـــك مـــا أنســـاكهُ مـــن مُرشّـــةٍ * نصـــيرُك منهـــا رنـــةٌ وعويـــلٌ[٦].**

ويـذكر المتنبـي هـذه الحادثـة فـي موضـع آخـر ، حيـث يشـير إلـي ترهـب الدمستق ودخوله الدير حزناً علي ولده ، وتفجعاً علي هزيمة جيشه ، لعل في ذلك بعض السلوي عن مصيبته. فقد ذكر ابن العديم أن موقعة سنة ٣٤٢هـ التي حدثت بين سيف الدولة والروم ، اسفرت عن أسر قسطنطين ولد الدمستق الذي ظل في

---

(١) أوردهم: أي جعل صدر حصانه وسيفه مورداً لهم كناية عن استقباله إياهم.

(٢) علي العلات: علي كل الحال، الدارعين: الذين عليهم الدروع والمراد رجاله.

(٣) الفل: المنهزمون أي أنه تبع المنهزمين بضرب يقطع الخوذ علي رؤوسهم فيصبح مكانها مستوياً بعد أن كانت ناتئة فوقه.

(٤) من الطويل . شرح ديوان المتنبي ، ج٣ ، ص٢٢٨

(٥) المهجة: الروح ، أراد بالأولي نفسه ، وبالثانية ابنه، لأن الولد بمنزلة الروح، لأن سيف الدولة كان أسر ابنه ، وهو فرّ هارباً.

(٦) المرشة: الجراحة ترش الدم ، الرنة: الصياح ، من الطويل شرح ديوان المتنبي ، ج٣ ، ص٢٢٨.

الأسر حتى مات من علة ، وكان الدمستق قد استتر في تلك الموقعة في القناة ، ودخل فترهب ولبس المسوح [١].

ويصف الشاعر حال الدمستق وقد لبس مسموح الرهبان، وأصبح يتوكأ علي عكاز يطوف به جنبات الدير في حسرة بادية وذلة وانكسار ، بعد أن كان يتمنطق بالسيف ويتشح بالدروع مصطنعاً الكرَّ والفرَّ علي الجياد الجرد الشقراء ، ثم يذكر المتنبي أن هذا الترهب ليس بمنجيه من بطش سيف الدولة وجيوشه ، إذ يقول في ذلك:

فأصبح يجتاب المُسوح مخافةً * وقد كان يجتاب الدّلاص المُسرّدا[٢]**
ويمشي به العكاز في الدير تائباً * وما كان يرضي مشي أشقر أجردا**
وما تاب حتى غادر الكرُّ وجههُ * جريحاً و خلَّي جفنه النّقعُ أرمدا**
فلو كان يُنجي من عليٍّ ترهبٌ * ترهبتِ الأملاكُ مثني ومُوحَدا [٣].**

والمتنبي لا يكفيه من الدمستق في تلك الأبيات أن يدخل الدير حزناً وحسرةً ، ولكنه يضفي عليه صفة التوبة والندم مما دفعته إليه حماقته في حرب العرب الذين لا قبل له بقوتهم وجبروتهم ، حتى بات جريح الوجه كليم الفؤاد أرمد الجفن مريض العين.

وكان المتنبي أبرع شعراء الندوة السيفية في وصف حروب الأمير مع الروم، إذ سجل في سيفياته كل حوادث هذه الحروب ، فوصف ظفر الأمير الصاعق ، و انخذال الروم الساحق ، مَلِكهم وقوادهم ، وتشتيت جيوشهم واندحارها.

ولقد كان هذا الفن أصيلاً لديه ينبع من نفسه، إذ كان فارساً مقداماً، وشاعراً بارعاً، رافق سيف الدولة في أكثر حروبه، وشهدها معه وحارب فيها إلي جانبه ، ولقد أكثر من وصف حروب الأمير الحمداني ، وأجاد حتى قال ابن الأثير: " إذا خاض المتنبي في معركة ، كان لسانه أمضي من نحالها ، وأشجع من ابطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب . ابن العديم:تحقيق: د. سامي الدهان : دمشق:١٩٥١م ، ج١، ص١٢٣.

(٢) يجتنب: يلبس ، المسوح: ثياب من الشعر ، الدلاص : اللين البراق توصف به الدروع . المسرد: المنسوج ، يريد أنه ترهب فصار يلبس المسوح بعد الدروع.

(٣) من الطويل . شرح ديوان المتنبي ، ج٢ ، ص ٧.

تواصلا". وإن قصائد المتنبي هذه فوق ما حوته من قيمة أدبية وسحر وبيان وتحليق في فن المعاني والأسلوب ، وسمو في الصنعة ، فإنها تجمع في أبياتها قيمة تاريخية وجغرافية غالية القدر ، وتُعدّ وثائق في غاية الخطورة بكتابة التاريخ السياسي والتحقيق الأدبي عن عصر سيف الدولة [١].

في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة خرج سيف الدولة للغزو في بلاد الروم، وظفر سيف الدولة، وغنم غنيمة كبرى ، ولكنه عندما أراد الخروج من بلاد الروم أخذوا عليه الدرب ، فقتل خلق كثير من جيش سيف الدولة ، وكاد سيف الدولة نفسه يهلك ، فسميت تلك الغزاة غزاة المصيبة[٢]. فأنشد المتنبي قصيدته بالحديث عن الناس الذين لا يمكن الحكم عليهم إلا بعد التجربة، والذين يجبنون عند القتال، ويشجعون عند الحديث، فيقول:

غَيري بأكثر هذا النَّاس ينخدعُ * إنْ قاتلُوا جبنوا أو حَدَّثوا شَجُعُوا**
أهل الحفيظةِ إلاَّ أنْ تُجَرِّبهُمْ * وفي التَّجارِبِ بعد الغيَّ ما يَزَعُ[٣].**
وما الحياةُ ونفسي بعدَ ما علمتْ * أنَّ الحياة كما لا تشتهي طبعُ[٤].**
ليس الجمال لوجهٍ صَحَّ مَارِنُهُ * أنفُ العزيز بقطع العِزَّ يُجْتَدعُ[٥].**

ونلاحظ رنة الأسى والألم في حديث المتنبي ، وتعريضه بالجبناء الذين يجبنون وقت الواقعة ، ويظهرون الحمية والإقدام وهم بعيدون عنها ، ولعله بمخاطبة نفسه أراد التعريض بأصحاب سيف الدولة.

ثم يمتدح الشاعر بطولة الأمير وشجاعته، ويصف ما كان عليه من الجدّ و العزيمة في لقاء العدو ونزوله علي خَرْشَنَة ، وشقاء الروم وبيعهم وصلبانهم حيث يقول:

---

(١) شعر الحرب في أدب العرب: د. زكي المحاسني ، دار المعارف ، مصر،ط٢، ١٩٧٠ ص٢٧٤.

(٢) تجارب الأمم :أبي علي أحمد بن محمد ابن مسكويه: ، مطبوعات شركة التمدن الصناعية ، مصر ، ١٩١٥م ،ج٢، ص١٢٥.

(٣) الحفيظة: الحمية والأنفة ، الغي: الانهماك في الجهل ، خلاف الرشد ، يزع : يكف ويردع.

(٤) الطبع: الدنس

(٥) المارن ما لان من الأنف ، اجتدع أنفه: قطعه؛ من البسيط شرح ديوان المتنبي ، ج٢ ، ص٣٣٢.

بــالجيشِ تمتنــعُ السَّــاداتُ كُلُّهــمُ * والجـيشُ بـابن أبـي الهيجـاءِ يمتنـعُ[١].**
قــاد المقانِــبَ اقصــى شُــربها نَهَــلٌ * علــي الشَّـكيم وأدنــى ســيرها سِـرَعُ[٢].**
لا يعتقــي بلــدٌ مَسْــراهُ عــن بلــدٍ * كـــالموت لـــيس لـــهُ رِيٌّ ولا شِـــبَعُ**
حتــى أقــامَ علــي أربــاضِ خَرْشَــنةٍ * تشـقي بــهِ الـرُّوم والصُّـلبانُ والبِيَـعُ[٣]**

وينساب الشاعر واصفاً ما حاق بالروم من تدمير وقتل وسبي ، فيقول:

للسبي ما نكحُوا والقتل ما وَلَدوا * والنَّهبِ ما جَمَعوا والنَّار ما زرعُوا**
مُخْليً له المرْجُ منصُوباً بصارِخـهِ * لهُ المـنابر مشهوداً بها الجُمَعُ[٤].**
يُطَعِّمُ الطـيرَ فيهم طُولُ أكلهم * حـتى تكادَ علي أ حيائهم تَقَعُ [٥].**

ويستطرد المتنبي فيصف الخيل وسرعة جريها ومواصلتها السير ، والغبار الذي يملأ مناخرها لركضها السريع، وهي تختلس الماء اختلاساً لتواصل عدوها. وكأن الفرسان الذين يمتطونها يشقون لها طريقها بين صفوف الروم فتدوسهم بحوافرها. وإذا اظلمت ساحة الحرب بالغبار، هدَتْ عيون الخيل فيها نار الأسنة. إذ يقول:

تذري اللُّقانُ غُباراً في مناخِرها * وفي حناجِرها من آلِسٍ جُـرَعُ[٦].**
كأنّها تتلقَّاهُمْ لتسـلُكَهُمْ * فالطّعنُ يفتحُ في الأجوافِ ما تَسَعُ**
تهدي نواظرها والحربُ مُظلمةٌ * من الأسِنَّةِ نارٌ والقنا شَـمَعُ**
دُوانَ السِّهامِ ودونَ القُرِّ طافِحَةً * علي نُفُوسهم المُقْوَرَّةُ المزْعُ[٧].**

---

(١) ابن أبي الهيجاء : هو سيف الدولة

(٢) المقانب: جمع مقنب ، جماعة الخيل زهاء الثلاثمائة ، النهل: الشرب الأول ، الشكيم: جمع شكيمة ، الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام ، السرع: السرعة مصدر سرع

(٣) خرشنة: بلد بالروم ، الأرباض : جمع ربض ، ما حول المدينة من العمارة ، من البسيط ، شرح ديوان المتنبي ، ج٢ ص ٣٣٤.

(٤) المرج: موضع ببلاد الروم ، صارخة : مدينة من مدائنهم

(٥) من البسيط . شرح ديوان المتنبي ، ج٢ ، ص٣٣٤.

(٦) اللقان: موضع ببلاد الروم ، آلس : نهر هناك

(٧) يقال لوهج الصيف وغبراته: سهام ، بفتح السين ، والسهام: حر السموم ، المقورة: الضامرة ، المزع: السريعة ، من البسيط ، شرح ديوان المتنبي ، ج٢ ، ص٣٣٧.

ويمضي المتنبي واصفاً هزيمة الروم وصفاً رائعاً حقاً، فيصف هزيمة قائد الجيش الرومي وقتل وأسر جنده، وفرار من نجا وفي قلبه فزع يقتله ولو بعد حين حيث يقول:

إذا دعا العِلْجُ عِلْجاً حال بينهما * أظْمَي تُفارقُ منه أُختها الضِّلعُ**[1].

أجَلُّ من ولِد القُقَاسِ مُنكتِفٌ * إذ فاتَهُنَّ وأمضي منه مُنْصَرعُ**[2].

وما نجا من شِفارِ البيضِ مُنفلِتٌ * نجا ومنهنَّ في أحشائهِ فَزَعُ**

يباشرُ الأمن دهراً وهو مُختَبِلٌ * ويشربُ الخمرَ حولاً وهو ممتَقعُ**[3].

وينتقل الشاعر المتنبي إلي وصف البطارقة المقيدين بالأغلال ، وأنّ أرواحهم في ضمان القيد للسيوف، وأن القيد يعوقهم عن الخطو إن أرادوا السير ويمنعهم النوم عن الاضطجاع. فيقول:

---

(١) العلج: الرجل الغليظ من كفار العجم ، أظمي: يعني رمحاً أسمر

(٢) القفاس: جد الدمستق ، وقال ابن جني: هو الدمستق كأنه لقبه

(٣) المختبل: الذاهل المضطرب، الممتقع: المتغير اللون، من البسيط ، شرح ديوان المتنبي، ج٢ ، ص٣٣٧.

كمْ مِنْ حُشاشَةِ بطريقٍ تضمَّنَها * للباتراتِ أمـينٌ مالهُ وَرَعُ[١].**
يقاتلُ الخطْوَ عنه حين يطلبهُ * ويطردُ النّومَ عنه حين يضطجعُ**
تغدو المنـايا فلا تنفكُّ واقفةً * حتى يقولَ لها عودي فتندفعُ[٢].**

ويتحدث الشاعر عن هزيمة سيف الدولة وهو أمر خطير ودقيق ، ولكن الشاعر يجيد التعليل ويحسن التفسير ، فهو لم يصرح كيف تحول النصر إلي هزيمة ، ولكنه قال إن سبب الهزيمة مَنْ لحق بسيف الدولة من الضعفاء والجبناء ، وأن الأسري الذين وقعوا في يد الروم ، جازاهم الله علي تقاعسهم وخذلانهم للأمير. وهم كالأموات لا يأكلهم إلا الضباع. ثم يهدد الروم بأن كل معركة بعد هذه سيكون النصر فيها للأمير ، لأن جنده قد نقيت من الجبناء ولم يعد فيها إلا الأبطال ، حيث يقول:

قُلْ للدُّمُستُق إنّ المسلَمين لكُمْ * خانُوا الأمير فجازاهُمْ بما صنعُوا[٣].**
وجدتُموهُمْ نياماً في دمـائِكُمْ * كأنَّ قتلاكُمُ إياهُمْ فجعـوا**
ضعفي تعِفُّ الأيادي عن مِثالهِمِ * مِنَ الأعادي وإنْ هَمُّوا بِهِمْ نزعُوا[٤].**
لا تحسَبُوا مَنْ أسرتُمْ كان ذارَمَق * فليس يأكلُ إلاّ الميتَ الضّبعُ**
وإنّما عـرّض الله الجُنودَ بكمْ * لكي يكونوا بلا فَسْلٍ إذا رجعوا[٥].**
فكلُّ غـزوٍ إليكمْ بعد ذا فَلَهُ * وكلُّ غازٍ لسيف الدولة التَّبـعُ[٦].**

ويعد هذا التعليل الرائع للهزيمة يعزي المتنبي سيف الدولة ويهون الأمر عليه فيجعله في مكان فوق الشمس، والسيف يأتمر بأمره، وأرض الروم مصطاف ومرتبع لجنده. إذ يقول:

---

(١) الحشاشة: بقية الروح ، البطريق: الفارس من الروم أو القائد ، تضمنها: كفلها، الباترات: السيوف ، الأمين الذي لا ورع له: يراد به القيد.

(٢) من البسيط . شرح ديوان المتنبي ، ج٢ ،ص٣٣٨.

(٣) المسلَمين : بفتح اللام:الذين أسلمهم سيف الدولة للعدو لتخاذلهم عنه.

(٤) ضعفي: جمع ضعيف ، نزع عن الشيء : رغب عنه وأعرض.

(٥) الفسل: الرذل الدنيء العاجز

(٦) من البسيط . شرح ديوان المتنبي ، ج٢، ص٣٤٠.

وهل يَشِينكَ وقتٌ كنتَ فارِسَـهُ * وكان غيركَ فيه العاجزُ الضَّرَعُ[١].**

من كان فوق محلِّ الشمس موضعهُ * فليس يرفـعهُ شيءٌ ولا يضعُ**

الدهرُ متعذرٌ والسّـيفُ منتظرٌ * وأرضُهُمْ لك مُصطافٌ ومُرتبعُ[٢].**

ولعل من الملاحظ أن هذه القصيدة تُعد من عيون شعر الحرب والجهاد التي برع فيها أبو الطيب المتنبي، ووفق إلي حدٍ كبيرٍ فيما نري.

والشاعر أبو العباس أحمد بن محمد النامي، يتمني أن يكون مع سيف الدولة في جيوشه الجرارة، ومع جنوده الأبطال، ويتمني أن يتعطر بغبار تلك المعارك صباحاً ومساء، ويمني نفسه أن تكون دماء الأعداء خلوقاً له ، ويتمني الشهادة التي تدخر له إلي يوم النشور ، ويدعو له بالنصر لا سيما أن المعركة في أحد الشهور المباركة ، حيث يقول:

نــال منا يوم الفراق كمانا ل مـن الناكثين سيفُ الأميرِ

فـي خميسٍ للنّصر فيه لواءٌ عقده من لـوائه المنصـورِ

رجله كالدبا وفرسانه كــلأ سد بأساً وخيله كالصقورِ[٣].

وسجاياك يا أبا الحسن الغـ رّوإتعابهنّ شُكر الشـكورِ

لو غدا الدهر صافحاً لي عن الحـ ظّ وأعلي من جدِّ حالٍ عثـورٍ[٤].

لتعطّـرت من غبار مذاكيـ ك رواحي وكان عطري بكوري [٥].

ثم صيَّرت من دمـاء أعاديـ ك خلوقي وكان منه طـهوري[٦].

ولقيت المنون تحت عواليـ ك معدّاً ذخراً ليوم نشــوري

سرْ علي السعد تستظل من الأيَّـ ـام ظلَّيْ سـلامةٍ وحـبورِ

بين فرضـين من جهادٍ وشـهرٍ أنت في الناس مثله في الشـهورِ[٧].

---

(١) الضرع: الضعيف.

(٢) المصطاف والمرتبع: المنزل في الصيف والربيع ، من البسيط، شرح ديوان المتنبي ، ج٢ ، ص ٣٤٣.

(٣) الدبا: القرع

(٤) الجد : الحظ ، العاثر ، السيئ

(٥) المذاكي: جياد الخيل.

(٦) الخلوق: الطيب

(٧) من الخفيف . يتيمة الدهر ، ج١، ص٢٨٦.

ويقول أحد شعراء سيف الدولة أيضاً وهو أبو الفرج الببغاء أن الرحمن إدخر لسيف الدولة أمراً عظيماً لم يعطه لغيره من الملوك ، وذلك هو الجهاد في سبيل الله ، لأن الله نظر إلي سيف الدولة فرآه خير ملوك عصره شجاعة وقولاً وعملاً ، وأنه استل سيفه لجهاد الشرك ، وغيره من الملوك لاذوا بالصمت وانصرفوا إلي اللهو ، لذلك ابتهج به الدين بعد عبوس ، فقال:

كأنما ادَّخر الرحمنُ معظمة * دون الملوك لسأأيف الدولة البطلِ**
رآه أكرمهم في الخير إن ذكروا * وصفا وأفضلهم في القول والعملِ**
فهزَّه وظبا الأسيافِ مغمدةٌ * واسْتلَّهُ غير منسُوبٍ إلي الفَلَلِ[١].**
حتى غدا الدينُ من بعد العبوس به* جذلانَ يرفلُ من نعماه في حُلِلِ[٢].**
فلو تكلم في حالٍ وقيل له * مَنْ خيرُ هذا الورى لم يسمّ غير علي[٣].**

ويمدح الشاعر السري الرفاء الأمير الحمداني ناصر الدولة أبو محمد الحسن (٢٩٣هـ – ٣٥٦هـ) ويهنئه بالعيد، ثم يصفه بأنّ الله تعالي جعله ناصراً ومدافعاً عن الإسلام وعزته ، فهو صبور وحكيم وعليم ببواطن الأمور ، وذلك عندما تصدي لشغب الأتراك الذين ثاروا مرة علي حمي الدولة الحمدانية ،فيقول:

أعادَ الله عيدك بالسُّرورِ * وفي الحال الجليلةِ والحُبورِ**
ولا زالتْ سعودُكَ طالعاتٍ * بما تهواه من عيشٍ نضيرِ**
دفاعُ الله عنك أعمُّ فضلاً * وأحلي في القلوب وفي الصُّدورِ**
أناصَر دولةِ الإسلام صبراً * فإنَّ الصّبر من عزم الأمورِ**
كبا الأعداءُ إذ راموك جهلاً * فقلنا للجباهِ وللثُّغورِ [٤].**
هبوطٌ لا يُمكِّنُ من صعُودٍ* وموتٌ لا يُقرَّبُ من نُشورِ**
مُنانا أن تُعمّر ألف عامٍ * وتُصرفَ عنك أحداثُ الدُّهورِ[٥]**

---

(١) فَلل: الفل بالفتح ، واحد فلول ، السيف وهي كسور في حده.

(٢) الجذل: الفرح، الحلل: جمع حلة ، والحلة إزار ورداء، ولا تسمي حلة حتى تكون ثوبين. وقيل الحلل، برود اليمن.

(٣) علي: هو علي بن أبي الهيجاء بن عبد الله الحمداني ، الملقب بسيف الدولة، من البسيط ، شعر الببغاء ، تحقيق : د. سعود محمود عبد الجابر ، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة ، قطر ، ط١ ، ١٩٨٣م ،ص ١٣٧.

(٤) هذا دعاء عليهم ، أي : ليسقطوا للجباه وللثغور.

(٥) من الوافر . ديوان السري الرفاء، ص ٢٣١

وأن تُلقي العِدا في النّحر صرعي* بحدَّ ظُباكَ دامية النُّحـورِ**[1].

والحق أن هذا الاتجاه وصف معارك المسلمين ضد الروم، فإن الشعراء الذين كانوا يصفون تلك المعارك أبدعوا في وصفها وأشادوا بانتصار المسلمين علي أعدائهم من النصاري. ونجد هذا الاتجاه قوياً مشتعلاً في وصف المتنبي لجهاد سيف الدولة، لأنه استطاع أن يرقي بهذا الفن إلي مرتبة لم يبلغها الشعراء من قبله ، ولم يبلغها شاعر من بعده. و قد عدد طه حسين العوامل التي جعلت المتنبي يبز من قبله عندما قال: (إن الشعراء الذين سبقوا المتنبي لم يفرغوا لهذا الفن كما فرغ له ، ولم يقفوا عليه أكثر جهدهم كما وقف عليه أكثر جهده، ثم هم لم يشتركوا في الجهاد كما اشترك فيه المتنبي ، ولم يشهدوا مواقعهم كما شهدها المتنبي ، ولم ينعم كما نعم المتنبي ،ولم يشقوا كما شقي المتنبي ، بما كانت هذه المواقع تعقب من انتصار أو اندحار. ومن هنا تفهم السبب فيما تحسه من تأثر خاص حين تقرأ وصف المتنبي لهذا الجهاد بين المسلمين والروم) [2].

(١) من الوافر . ديوان السري الرفاء ، ص ٢٣١

(٢) مع المتنبي: د. طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ ،ص١٧٣.

الفَصْلُ الثَّانِي

التَدَيُّنُ والأخْلاقُ ومظاهِرُهُما

١/ تَشَيُّعُ بنّي حَمْدان:

الشيعة [١]. اسم شامل يطلق علي مجموعة كبيرة من الفرق الإسلامية المختلفة فيما بينها، وهم القائلون بأن علياً . كرّم الله وجهه . هو صاحب الحق الشرعي في الخلافة بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم.

أما في عرف الفقهاء والمتكلمين [٢]. فإن الشيعة تطلق علي أتباع علي وبنيه من بعده.

أما شعر بني حمدان الشيعي فكان بعضه تمجيداً لآل البيت ، وبعضه بكاءاً عليهم ، وبعضه يجمع بين البكاء والتمجيد ، ثم جاء بعضه هجاءاً لبني أمية تارة ، ولبني العباس تارة أخرى ، وذلك لما أنزلوا بالعترة النبوية من اضطهاد و مطاردة وتعذيب. وبعضه يقصد منه الشفاعة والتوسل إلي الله بآل بيت رسول الله صلي الله عليه وسلم.

ويظهر التشيع جلياً عند شعراء بني حمدان ، فنجد أبو فراس الحمداني يذكر الأئمة من آل البيت. فهو يتوسل بهم إلي الله راجياً النجاة من عذابه وعقابه يوم تعرض أعمال العباد علي رب العالمين ، ويوم تقوم الموازين بالقسط والعدل. حيث يقول في ذلك:

---

(١) الشيعة: الصحب والإتباع ، وشيعة الرجل بالكسر إتباعه وأنصاره ، وغلب هذا الاسم علي من تولي علياً رضي الله عنه ؛ الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، مادة ش. ي.ع

(٢) تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،طبعة ١٩٥٨م،ج١، ص١٩٤.

شـــافِعي " أحمـــدُ" النبـــيُّ ومـــولا * ي "علـيٌّ" و" البنـتُ" و"السِّبطانِ"[١].**
و" علـيٌّ" و" بـاقرُ العلـم" و" الصـا * دقُ" ثـم " الأمـــينُ" ذو التبيـانِ[٢].**
و" علـــيٌّ" و" محمـــد بـــن علـــي" * و" علـيٌّ" و" العســكريُّ" الـدّاني[٣].**
والإمـامُ " المهـديُّ" فـي يـوم لا ينـــ * ـــفعُ إلاّ غفـــران ذي الغُفـــرانِ[٤].**

ويذكر الشاعر ما جري لآل عليٍّ علي أيدي العباسيين من اضطهاد وظلم وتعذيب وشتم، وينعي عليهم أنهم لم يرعوا في آل البيت مما رعاه النبي صلي الله عليه وسلم. في أسراهم يوم بدر ، فقال:

بـئس الجـزاءُ جـزيتم فـي بنـي " حسـن" * أبـــوهمُ العـــلمُ الهـــادي وأُمهُـــمُ**
لأبيعـــةٌ ردعـــتكُم عـــن دمـــائِهم * ولا يمـــينٌ ولا قـــربي ولا ذِمـــمُ**
هـلاّ كففـتم عـن " الـدِّيباج" سـوطَكمُ * وعـن بنـات " رسـول الله" شـتمكمُ[٥].**
مـا نُزِّهـتْ لـــ " رسـول الله" مهجـتهُ * عـــن الســـياط فهـــلاّ نُـــزِّه الحـــرمُ**
ما نـالَ منهم " بنـو حربٍ" وإن عَظُمتْ * تلـــك الجـــرائر إلا دون نـــيلكمُ**
كـم غـدرةٍ لكـــم فـــي الـــدين واضـــحةٍ * و كـــم دمٍ لـــ" رسـول الله" عنـــدكمُ**
هـلاَ صـفحتم عـن الأسـري بـلا سـببٍ * للصـافحين ب" بـدرٍ"عن أسـيركمُ[٦].**

وتعلو نبرة أبي فراس في عذل العباسيين حيث يقول:

---

(١) البنت: فاطمة بنت الرسول صلي الله عليه وسلم . الإمامان: الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٢)عليٌّ:هو زين العابدين بن الحسين الإمام الرابع، باقر العلم: هو محمد الباقر بن زين العابدين الإمام الخامس، الصادق: جعفر بن محمد الباقر الإمام السادس، الأمين: موسي الكاظم بن جعفر الصادق الإمام السابع.

(٣) عليّ: هو الرضا علي بن موسي الكاظم الإمام الثامن ، محمد بن علي الرضا الإمام التاسع. علي: هو علي بن محمد الإمام العاشر ، العسكري : هو حسن بن علي الإمام الحادي عشر.

(٤) المهدي : هو أبو القاسم محمد المهدي بن العسكري الإمام الثاني عشر ، رضي الله عنهم أجمعين ، من الخفيف ، ديون أبي فراس الحمداني ، ص٣٣٧.

(٥)الديباج: هو محمد بن عبد الله، ودعي بالدّيباج لحُسنه. وكان المنصور قد أمر بجلده ثمانين جلدة، وبشتمه.

(٦) من البسيط . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٣٠٢.

أأنتـمُ آلـهُ فيمـا تـرونَ وفـي * أظفـاركُمْ مـن بنيـه الطَّـاهرين دمُ**
هيهـات لا قرّبـتْ قربـي ولا رحِـمٌ * يومـاً إذا أقْصـتِ الأخـلاقُ والشّـيمُ[1].**

أما الشاعر الشيعي الآخر فهو السريَّ الرفاء، وهو يعتقد أن آل البيت وارثوا النبي . صلي الله عليه وسلم . والقرآن الكريم يشهد بذلك، وهم أهل الخير، و هذا من طبيعة أصلهم وشرف نجارهم ، فيقول:

ورُبَّ غـراءَ لـم تُـنظم قلائـدُها * إلاّ ليُحمـد فيهـا الفاطميونـا**
الوارثـون كتـاب الله يمـنحهُم * إرثَ النبـيّ علـي رُغـم المُعادينـا**
والسابقون إلـي الخيرات ينجدُهم * عِتـقُ النَّجـار إذا كـلَّ المجارُونـا[2].**

ويخص أبو بكر الصنوبري مأساة الحسين بكثير من العناية، والتفصيل، فيصور يوم كربلاء تصويراً حزيناً ويذكر مصار آل البيت من الرجال، وبكاء ذرية الرسول من النساء، حيث يقول:

والمـنطوينَ بطونـا * والمنحنـينَ ظُهـورا**
والمـطعمينَ يتيمـاً * والمطعمـينَ أسـيرا**
لهفـي علـيهم ليوثـاً * لهفـي علـيهمْ صـقورا**
بغـي علـيهم حمـارٌ * بـاغٍ يسـوسُ حميـرا**
يـوم الحسـين علـي الديـ * ـن كنـت يومـاً عسـير**
مـلأت والله كـرباً * يـا كـربلاءُ الصُّـدورا**
كـأنني برحـي الحـر * ـب أو شـكتْ أن تـدورا**
والفاطمـيون تقريـ * ـهم السـيوفُ الطيـورا**
والفاطميـاتُ ينحـر * نَ بالـدُّموع النُّحـورا[3].**

وكشاجم(محمود بن الحسين) ت:٣٠٦هـ ، من شعراء الحمدانيين الذين تعلقوا بالتشيع و قالوا فيه ، فهو ينسب محبة سيدنا علي إلي البر والطهارة والعلم، ورأي أن التشيع في خيرة الناس ، وعدم التشيع في الأرزال والسفلة إذ يقول:

---

(١) من البسيط . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٣٠٢.

(٢) عتق النجار: كرم الأصل ، من البسيط ، ديوان السري الرفاء، ص٤٥٤.

(٣) من المجتث ، ديوان الصنوبري: د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، بيروت: ١٩٧٠م ، ص٩٥

حــبُّ الوصــيِّ مبــرَّةٌ وصــلَة * وطهـــــارةٌ بالأصـــــل مُكتَفلـــــةْ**
والنَّـــاسُ عـــالمِهُمْ يـــدينُ بـــهِ * حُبّـــاً ويجهـــلُ حَقّـــه الجهَلـــهْ**
ونـــري التشـــيع فـــي سَـــراتهُم * والنَّصـبَ فـي الأرذال والسِّفْلَـة[1].**

والخباز البلدي كان يتشيع ، ويتمثل في شعره بما يدل علي مذهبه. حيث يقول:

وحمـــــــــائمٍ نبهننـــــــــي * والليـــل داجـــي المشـــرقينِ**
شـــــبهتهنّ وقـــــد بكيـــــ * ـن ومـا ذرفـن دمـوع عـينِ**
بنســـــــــاء آل محمـــــــدٍ * لمـا بكـين علـي الحسـينِ [2].**

والناظر إلي شعر التشيع عند الحمدانيين، يجد أن الصنعة لم تكن ملتزمة فيه إلا بقدر يسير ، تظهر في بعض الجناس الخفيف أو الطباق القليل ، أو الاقتباس في بعض الحالات من القرآن الكريم والحديث الشريف. وذلك لأن هذا اللون من الشعر كانت العاطفة الحارة الجافة من سماته المميزة. وهذه العاطفة لا تحتاج إلي زخرف من القول. لذا نري هذا اللون وقوراً حزيناً غير منمنم ولا مبهرج، شأنه في ذلك شأن الرثاء في أغلب الأحيان.

---

(١) من الكامل . ديوان كشاجم: تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان: ، مكتبة الخانجي ، القاهرة: ط١ ، ١٩٩٧م ، ص٣٢٥.

(٢) من مجزوء الكامل . شعر الخباز البلدي: جمع وتحقيق: صبيح رديف ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٣م ، ص٣٧.

٢/ الزُّهدُ و التّصَوفْ:

ينشأ الزهد عادة بسبب ما يكتنف الحياة من تعقد لا يستطيع مواجهته بعض الناس ، لذلك يلجأ إليه في محاولة للهرب والتخلص من المتاعب التي تنتظر من ينغمر بمثل هذه الحياة الصعبة مغطياً بذلك علي هربه أو معلناً عن سخطه.

وفي الزهد الإسلامي برز سبب آخر لوجوده ، هو الإيمان المطلق بالله وبعقابه وثوابه ، ولهذا أراد الزُهاد أن يبتعدوا عن الحياة ، كي لا تصيبهم شرورها أو تتوشهم آثامها ، فيأخذونها معهم إلي الدار الأخرى وينالون جزاءها نار الله الكبرى[١].

أما الاتجاه الصوفي قال فيه ابن خلدون: (هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، واصلها العكوف علي العبادة والانقطاع إلي الله سبحانه وتعالي ، والإعراض عن زخرف الدنيا ، و الإنفراد للعبادة. وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال علي الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلي مخالطة الدنيا، اختص المقبلون علي العبادة باسم الصوفية والمتصوفة[٢].

فالصنوبري ينبه الناس إلي أن الدنيا تنذرهم صباح مساء بمن يودعون من إخوة وأحباب يذهبون ولا يعودون. ويذكرهم بأناس كانوا يبيتون علي الوسائد الناعمة ، فأصبحوا يتوسدون التراب في ظلام القبور. وينبههم إلي من كان ينتسب إلي الأسرة ذات العراقة والاسم البراق، فأصبح اليوم من أهل القبور وسكانها. إنّ حكم المنايا لا يفرق بين عظيم وحقير ،ويرسم صورة مفزعة لما يصير إليه الإنسان ذو البزة والشارة . في القبر- عندما يصير عظاماً نخرة ، ثم يخاطب الإنسان قائلاً له:

---

(١) المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة ،عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي: ، مكتبة النهضة ، بغداد: ١٩٧٤م ، ص٢١٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ابن خلدون) ، دار الشعب ، القاهرة : بدون تاريخ، ص٤٣٩.

إنهما حالتان لا ثالث لهما إما نعيم دائم مقيم ، أو عذاب وحريق وسعير. فيقول في ذلك:

ألم ترَ كيف تُذِرُ كلّ يومٍ * وتغدُر في الرّواح وفي البكورِ**
كم اختطفَ الردى من فوقَ * كم انتزع الردى مَنْ خلف سورِ**
حصنٍ * وباتَ مُغيِّباً تحت الصخورِ**
وكم ممّنْ غدا فوق الحشايا * بني هلكي إلي يوم النُّشُورِ**
إلي موتي بني موتي وهلكي * علي المأمور منهم والأميرِ**
ألم يكُ نافذاً أمرُ المنايا * وما آل السرورُ إلي سرورِ**
فما آل النعيمُ إلي نعيمٍ * علي مرِّ السنينِ أو الشهورِ**
أما أبصرتَ قوماً قطَّ ماتوا * وأبصرتُ الجلود بلا شُعُورِ**
فأبصرتَ العظامَ بلا جلودٍ * خُلوداً في النعيم أو السّعيرِ[1].**
ولا دارٌ سوى دارينِ فاخترْ

وهناك زهد ينشأ بفعل عوامل ذاتية ونفسية وخارجية ، دفعت المتنعمين في الحياة إلي التشبث بأذيال الزهد بعد أن اشتد بأس هذا التسلط وأخذ بخناق هؤلاء الناس وضرب مصالحهم وترفهم. إنه زهد وقتي يزول بزوال مسبباته. ونلحظ ذلك عند ابن نباتة السعدي من رؤية مجتمعه وهو نائم لا يحس بوطأة المآسي التي تهبط عليه كل يوم. فيقول:

وتأخذُ من جوانبنا الليالي * كما أخَذَ المساءُ من الصّباحِ**
أما في أهلها رجلٌ لبيبٌ * يحسُّ فيشتكي ألم الجراحِ**
أري التشمير فيها كالتّواني * وحِرمانَ العطِيّةِ كالنجاحِ**
ومَنْ لبس التُرابَ كمن علاه * فلا تَغْرُرْك أنفاسُ الرّياحِ**
وكيف يَكِدُ مُهجتهُ حريصٌ * يري الأرزاق في ضرب القِداح [2].**

وأبو فراس الحمداني يتزهد ويقول رأيه في الموت، ويُحثُّ أصحاب العقول علي الاتعاظ ، كي يردعوا من غيهم وغوايتهم. وينادي من يلهو في هذه الدنيا وهو آمن ،

---

(١) من الوافر . ديوان الصنوبري ، ص٩١.

(٢) من الوافر . ديوان ابن نباتة السعدي : عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، بغداد: ١٩٧٧م، ج٢، ص٧٥.

بأن الموت سيأتيه مسرعاً ، فهو قريب علي بعد خطوات منه ، فهذا اللاهي يسر بالدنيا وكأن الموت مضي وتركه ، ويعيش في أمان كأن الموت جاءه وانتهي منه ، ويطلب منا أن نأخذ الموعظة من أهل القبور ، فحينما نزورهم نتأكد أننا نصير إلي ما صاروا إليه قريباً. وهناك يتساوى العزيز والذليل ، فهما سواء في البلى ، وغريبان هناك فلا يوجد من يبعد عنهما الوحشة تحت الثرى ، وليس لهما من أمل إلا أن يعفو الله عنهما وعن أعمالهما التي مضت ، وسيكون ثوابهم وعقابهم علي قدر ما قدموا من أعمال في دنياهم. حيث يقول في ذلك:

أمَا يِردعَ الموتُ أهل النُّهي * ويمنعُ عن غَيّهِ من غَوى**
أما عَالِمٌ عارفٌ بالزّمانِ * يروحُ ويغدُو قصيرَ الخُطا**
فيا لاهياً آمِناً والحِمامُ * إليه سريعٌ قريبُ المدى(١).**
يُسَرُّ بشيءٍ كأنْ قد مضي * ويأمن شيئاً كأنْ قد أتي**
إذا ما مررتُ بأهل القُبورِ * تيقنتَ أنَّك منهُمْ غدا**
وأنَّ العزيز بها والذليلَ * سواءٌ إذا أُسلما لِلْبلي(٢).**
غريبينِ ما لهُما مؤنسٌ * وحيدينِ تحت طباق الثّرى**
فلا أملٌ غيرُ عفو إلا لهُ * ولا عملٌ غير ما قد مضي**
فإن كان خيراً فخيراً يَنالُ * وإنْ كان شرّاً فشرّاً يَري(٣).**

ولعل من الملاحظ أن شعر الزهد والتصوف ، هو امتزاج المعاني الصوفية بالموعظة والحكمة ، وهي تدل علي إيمان عميق بالله سبحانه وتعالي ، وكل شيء مقدر ومسطر بإرادته.

---

(١) الحِمام: الموت.

(٢) البِلي: الفناء.

(٣) من المتقارب . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٢٢.

٣/ شِعْرُ الحِكْمَةِ:

يراد بالحكمة تجربة الإنسان في الحياة مصنوعة في عبارة موجزة لتلك التجربة ،، وتمنحها الدوام والاستمرار علي ألسنة الناس، وهي موجودة في كل العصور وفي كل الأمم. و هي ما يمتاز به الجنس البشري عن غيره من الأحياء، لأنها تنقل تجارب السلف إلي الخلف، وينقلها الخلف . الذي سيصير سلفاً . إلي من يأتي بعده من الأجيال. ٠ وبتأمل الإنسان وإعمال عقله تجاه تلك الأشياء والحقائق، تتكون لديه وجهة نظر معينة) [١].

ولعل من أثر الثقافات الأجنبية في الحكمة الاستدلال علي الفكرة ، والاستدلال أسلوب منطقي فلسفي. ويظهر هذا الاستدلال في الحكمة التي أرسلها عبد العزيز ابن نباتة السعدي. فهو يقول:

وإذا عَجزت عن العدُوِّ فدارِه * وامزج له إنّ المزاجَ وِفاقُ**
فالنارُ ماءٍ الذي هو ضِدَّها * تُعطي النضاجِ وطبُعها الإحراقُ**[٢]

ووضح أن المداراة ضد الوفاق ، ولكنها مع ذلك يصل بها الإنسان إلي ما يريد ، فهذا دليل منطقي.

والحكمة في شعر المتنبي هي سر ذيوعه وشيوعه، وهي التي جعلت الناس يتمثلون بأبياته في كل زمان ومكان ومناسبة. لقد جمع العكبري قدراً من حكمة وقال عنها: (وقد أجمع الحُذاق بمعرفة الشعر والنقاد ، إن لأبي الطيب نوادر لم تأت في شعر غيره ، وهي مما تخرق العقول ، ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء) [٣].

ومن حكم المتنبي التي تداولها الناس في زمانه وفي غير زمانه، حديثه عن فضل العقل علي الشجاعة ، وما أعظمها حين يجتمعان . فيقول:

---

(١) الثقافات الأجنبية في العصر العباسي ، ص ٣٠٥.

(٢) من الكامل . ديوان ابن نباتة السعدي ، ج٢، ص٢٧٣.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي ، "التبيان في شرح الديوان" ، ج١ ، ص١٦١

الـرأيُ قبـل شـجاعةِ الشُّـجعانِ * هـو أوَّلٌ وهـي المَحَـلُّ الثَّـاني**
وإذا همـا اجتمعـا لـنفسٍ مِـرَّةٍ * بلغـتْ مـن العليـاء كُـلّ مكـانِ [1]**
ولربمـا طعـنّ الفتـي أقرانـهُ * بـالرأي قبـل تطـاعُنِ الأقـران**
لـو لا العقـولُ لكـان أدنـي ضـيغمٍ * أدنـي إلـي شـرفٍ مـن الإنسـانِ [2]**
ولمـا تفاضـلتِ النُّفـوسُ ودَبّـرتْ * أيـدي الُكمـاة عـوإلي المُـرّانِ[3]**
إنَّ السـيوفَ مـع الـذين قُلـوبهُمْ * كقِلُـوبهِنَّ إذا التقَـي الجمعـانِ**
تلقـي الحسـامَ علـي جـراءةِ حَـدِّهِ * مَثـلَ الجبـانِ بكـفِّ كُـلَّ جَبـان[4]**

والحكمـة عنـد أبـي فـراس الحمـداني توضـح أن الإرادة لله فـي كـل أمـر مـن الأمـور ، ولا يستطيع الإنسـان لهـا دفعاً ، ويـرفض مـا تقولـه النجـوم والمنجمـون مـن النحس والسعادة. فـالمؤمن يعتقد أنـه لا يعلـم الغيـب إلا الله ، والشـاعر مؤمن ، لـذا يرفض قول النجوم فيقول:

يـــا مُعجبـــاً بنجُومـــهِ * لا الـــنَّحسُ مِنـــك ولا الســـعادةْ**
الله يـــنقصُ مـــا يرُيـــ * ـــدُ وفـــي يـــد الله الزّيـــادةْ**
دعْ مـــا أُريـــدُ ومـــا تريـــ * ـــدُ فـــإنَّ لله الإرادةْ [5]**

ثم يتحدث عن الدنيا فيصفها بأنها دنيا غرور فهي كالمطية ، وراكبها علا ظهر مطية اعوج أي قد تسبب في أذاه ، إنها كالشموس تظن أنها ضحكت لك وأعطتك باختيارها زمامها ، ولكن طبعها الغدر فتوقع أن تؤذيك. هذه الصورة للدنيا ومكائدها لا شك صورة جيدة حيث جعلها مطية ، فيقول:

---

(١) المِرة ن بكسر الميم: القوة والشدة ، والمراد الإباء وعزة النفس.

(٢) الضيغم: الأسد.

(٣) العوالي : صدور الرماح ، المران: الرماح اللينة.

(٤) من الكامل . شرح ديوان المتنبي ، ج٤، ص٣١٧.

(٥) من الكامل . شرح ديوان أبي فراس الحمداني، ص٨٩.

ألا إنّمـــا الـــدُّنيا مطيّـــةُ راكـــبٍ * عـلا راكبوهـا ظهَـر أعـوّج أحـدبا**
شَمُوسٌ متى أعطتكَ طوعاً زِمامها * فكـنْ لـلأذي مـن عَقّهـا مترقيـا[١]**

ومن حكم السري الرفاء في الدهر وتحوله والعمر وزواله قوله:

خُـذا مـن العـيش فالأعمـارُ فانيـةٌ * والـدّهرُ مُنصـرفٌ والعيشُ منقـرضُ[٢]**

واللهو عنده لا يسمع الناس ولا يستجيب لمطالبهم، ولكنه يفعل ما يشاء حسب أهوائه ورغباته. كلما أردنا أن يسير بنا سيرة حسنة، كان متثاقلاً بطيئاً كمن يكبله القيود، فلا يستطيع أن يتحرك علي عكس ما تريد حوادثه و خطوبة ، التي تثب وثباً عند الإساءة إلينا والإيقاع بنا. حيث يقول:

تبلَّـد هـذا الـدهرُ فيمـا نرومـهُ * علـي أنّـهُ فيمـا نحـاذرُه نَـدبُ**
فسـيرُ الـذي يرجـوه سَـيْرُ مُقيـدٍ * وسـيرُ الـذي يخشـى غوائلـه وَثـبُ[٣]**

والحكمة التي جرت علي ألسنة الشعراء ، إنما هي تجارب ومواقف عبرت عما حدث بأسلوب سلس جميل.

---

(١) الشموس من الخيل: الذي لا يستقر ولا يمكِّن أحدا من ركوبه . العقّ :العصيان . من الطويل ، ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٣٠.

(٢) من البسيط . ديوان السري الرفاء، ص٢٦٨.

(٣) من الطويل . ديوان السري الرفاء ، ص٦٠.

الفصلُ الثّالثْ

العلمُ و المجالسُ الأدبيّةْ

لقد كان الحمدانيون في مقدمة المهتمين بالثقافة في هذا العصر، ولا غرابة فقد كان بينهم هم أنفسهم شعراء وأدباء ينظمون الشعر ويتذوقونه.

وجدير بنا أن نقف قليلاً عند حركة علمية وأدبية باهرة ، دفع إليها سيف الدولة الحمداني حين أظل لواءه حلب وإقليمها ومادان لحكمه من أنطاكيا وحماة وغيرها من بلاد الشام. فقد كان راعياً عظيماً للعلوم والآداب والفنون في زمنه. (ولم يجتمع قط بباب أحد من الملوك . بعد الخلفاء . ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر ، وإنما للسلطان سوق يجلبِ إليها ما ينفق لديها) [١].

وحكي ابن لبيب غلام أبي الفرج الببغاء أن سيف الدولة كان قد أمر بضرب دنانير للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته ، فأمر يوماً لأبي الفرج منها بعشرة دنانير [٢]. فقال ارتجالاً:

نحن بجُودِ الأمير في حَرمٍ * نرتعُ بين السّعودِ والنّعمِ [٣]**
أبدعُ من هذه الدّنانير لم * يَجْرِ قديماً في خاطرِ الكرمِ**
فقد غدتْ باسمهِ وصورتهِ * في دهرنا عُوذَةً من العَدمِ [٤]**

فزاده الأمير عشرة أخري.

ومن جميل شعر سيف الدولة وغزله ، يحكي أنه كانت له جارية من بنات ملوك الروم ، لا يري الدنيا إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها ، فحسدتها ،

---

(١) يتيمة الدهر: ، الثعالبي ، ج١ ، ص٣٧

(٢) نفسه

(٣) رتع: رتعت الماشية ترتع رتوعاً ، أي أكلت ما شاءت.

(٤) العُوذة: بضم العين ما يُعلق علي الصبي من التمائم ليقيه العين ، من المنسرح . شعر الببغاء ، ص١٥٧.

سائر حظاياه علي لطف محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره ، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمر بنقلها إلي بعض الحصون احتياطاً علي روحها. وقال:

راقبتني العيون فيك فأشفقت * ت ولم أخلُ قطُّ من إشفاقِ**
ورأيتُ العذول يحسدني فيـ * ـك مجداً يا أنفس الأعلاقِ** (١)
فتمنّيتُ أن تكوني بعيداً * والذي بيننا من الودِّ باقِ**
ربَّ هجرٍ يكون من خوف هجرٍ * وفراقٍ يكون خوف فراقِ** (٢)

ولم يتوقف الأمير سيف الدولة الحمداني علي نظم الشعر فقط، بل كانت له عين ناقدة فاحصة للشعر وألفاظه وأساليبه. ومن عجيب النقد علي الشعراء نقد سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان ملك العواصم الديارين ، وهو أحد ملوك الإسلام جلالة ونبلاً وشرفاً وشجاعة وكرماً وحلماً وحزماً وعزماً ، علي أبي الطيب المتنبي لما أنشده قصيدته التي أولها:

علي قدرِ أهْلِ العزم تأتي العزائمُ * وتأتي علي قدرِ الكرام المكارمُ** (٣)

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب ينشدها ، فلما بلغ قوله فيها:

وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ * كأنك في جفنِ الرّدى وهو نائمُ** (٤)
تمرُّ بكَ الأبطالُ كلمي هزيمةً * ووجهُكَ وضاحٌ وثغرُكَ باسمُ** (٥)

قال: قد انتقدنا عليك هذين البيتين، كما انتقدنا علي أمريءُ القيس بيتاه:

---

(١) الأعلاق: جمع علق وهو من العقود.

(٢) من الخفيف . يتيمة الدهر ، ج١ ، ص٥٥.

(٣) من الطويل . شرح ديوان المتنبي ، ج٤ ، ص٩٤

(٤) يعني أنك وقفت في ساحة القتال في أقرب مواضع الخطر ، وكأن الردى أي الهلاك كأنه غافل عنك بالنوم فسلمت.

(٥) من الطويل . شرح ديوان المتنبي ، ج٤ ، ص١٠٢.

كـأنّي لـم أركـبْ جـواداً للـذّةٍ * ولـم أتـبطنْ كاعبـاً ذات خلخـالِ** [1]

ولـم أسـبأ الـزقَّ الـرويّ ولـم اقـلْ * لخيلـي كـرّي كـرّةً بعـد إجفـالِ** [2]

فما كان ينبغي لأمرئ القيس أن يركب القسم الأخير من بيته الثاني علي القسم الأول من بيته الأول ، وتركيب القسم الآخر من بيته الأول علي القسم الأول من بيته الثاني ، فيقول:

كـأنّي لـم أركـبْ جـواداً ولـم أقـل * لخيلـي كُـرِّي كـرّةً بعـد إجفـالِ**

ولـم أسـبأ الـزقَّ الـرويّ للـذةٍ * ولـم أتـبطنْ كاعبـاً ذات خلخـالِ**[3]

فيقرن لذة الشرب بلذة النكاح ، وركوبه الجفال بأمره خيله بالكر. فكذلك كان ينبغي لك يا ابا الطيب أن تركب هذين البيتين فتقول:

وقفتَ ومـا فـي المـوت شكٌّ لواقـفٍ * ووجهُـك وضـاحٌ وثغـرك باسـمُ**

تمـرْ بـك الأبطـالُ كلمـي هزيمـةً * كأنّـك فـي جفـنِ الـرّدى وهـو نـائمُ**[4]

فقال: أيد الله مولانا، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت اتبعته بذكر الردى . وهو الموت . ليجانسه، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية ، فقلت: " ووجهك وضاح وثغرك باسم" لأجمع بين الأضداد في المعني ، وإن لم يتسع اللفظ لجمعها ، فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات، وفيها خمسمائة دينار [5]. ومن ألمع العلماء وأقربهم ، إلي قلب سيف الدولة ، أبا عبد الله الحسين ابن خالويه، و هو القائل: دخلت يوماً علي سيف الدولة بن حمدان ، فلما مثلت بين يديه قال لي :" أقعد ، ولم يقل اجلس فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب ، وإطلاعه علي أسرار كلام العرب ، وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم:

---

(١) أتبطن: أعلو ، الكاعب: الفتاة الناهد.

(٢) أسبأ: أشتري . الروى : المملؤ. الأجفال : الانهزام في سرعة ، من الطويل . ديوان امرئ القيس ، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م، ص٦٥.

(٣) من الطويل . الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني: د. سعود محمد عبد الجبار : ، مؤسسة الرسالة ،بدون تاريخ، ص٥١.

(٤) نفسه

(٥) يتيمة الدهر ، ج١ ، ٤٤.

أقعد ، وللنائم أو الساجد: أجلس ، وعلَّله بعضهم بأن القعود وهو الانتقال من العِلْو إلي السِّفْل ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد[١].

ومما مدح به ابن خالويه ما ذكره ياقوت الحموي بقوله:

إن غـاب عنّـا شـخصُ سـيبويه * وثعلـــبٍ أو فـــادَ نفطويـــه**
فـــنحن نَعنَـــي بـــابن خالويـــه * زمـــامُ هـــذا الأمـــر فـــي يديـــهِ**
ومرجـــعُ الحكـــمُ بنـــا إليـــه * أُثنـــي بمـــا أعلمـــه عليـــهِ[٢]**

لم يكن سيف الدولة وحيداً بين أمراء قومه في مقدار تذوقه للشعر ن بل كان أكثر أمراء بني حمدان يقرضون الشعر الجميل.

فقد كان أبو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، وأبو العشائر (الذي قصده المتنبي قبل أن يتصل بسيف الدولة) وأبو وائل تغلب بن داؤود بن حمدان ، وأبو المطاع شعراء.

وكان أبو تغلب بن ناصر الدولة (٣٥٦. ٣٦٩هـ) أديباً شاعراً ومحباً للثقافة ، فقد وجدت له أبيات شعرية منقوشة علي حائط قصر العباس بن عمرو الغنوي ، بين سنجار ونصيبين بخطه[٣]. وذكر له الثعالبي مقطوعة في الغزل بقوله:

لا والـــــذي جعـــــل المـــــوا * لـــي فـــي الهـــوى خـــدم العبيـــدِ**
و أصـــار فـــي أيـــدي الظبـــا * ء قيـــــاد أعنـــــاق الأســـــودِ**
وأقـــــام ألويـــــة المنيـــــ * ـــة بـــين أفنيـــة الصّـــدودِ [٤]**
مـــا الـــورد أحســـن منظـــراً * مـــن حســـن توريـــد الخـــدودِ[٥]**

وكان أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة، شاعراً طريفاً حسن السبك جميل المقاصد. ومن شعره:

---

(١) وفيات الأعيان ، ج٢ ص ١٤٥.

(٢) من السريع . معجم الأدباء: ياقوت الحمودي : ، تحقيق: د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، بيروت: ط١ ، ١٩٩٣م ،ج٣، ص١٠٣٤.

(٣) فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاكر الكتبي: ، تحقيق: د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت:ج٢، ص٢٤٢.

(٤) أفنية : جمع فناء ، وهو الساحة والمتسع من المكان.

(٥) من الكامل . يتيمة الدهر ، ج١ ، ص ١١٧.

إنّي لأحسد "لا" في أسطر الصحف * إذا رأيــتُ إعتنــاق الــلام للألــفِ**
ومــا أظنُّهمــا طــال اجتماعهمــا * إلاّ لمــا لقيــا مــن شــدّة الشــغفِ[1]**

وخلاصة القول ما يراه الدكتور شوقي ضيف في أنه لم تكن هناك مراحل للتعليم كما عهدنا اليوم، من مدارس وجامعات ومعاهد متخصصة. بل كان الكتاب يحل محل تعليمنا الابتدائي والإعدادي، ومن يريد أن يكمل تعليمه بعد ذلك يذهب إلي حلقات المساجد، وكانت أشبه بمعاهد عليا، فلم تكن فقط دوراً للعبادة، بل قل جامعات للعلم والعلماء، إذ كان لكل عالم في كل فرع من فروع العلم حلقة كبرى، يختلف فيها طلابه من حوله. وكان عادة ما يستند إلي اسطوانة في المسجد، ثم يملئ محاضراته والطلاب يكتبون. فكانت المساجد حينئذ أشبه بالجامعات الحرة، فالطلاب يختلفون إلي من يشاءون الاستماع إليه بدون أي شرط. فمنهم من يأخذ الفقه أو الكلام أو الحديث النبوي ، أو التفسير أو النحو أو الشعر[2].

(١) من البسيط . يتيمة الدهر ، ج١ ، ص١١٨.

(٢) العصر العباسي الثاني ، ص١٣٢.

الفصّلُ الرّابعْ

العُمرانُ ومظاهرُ الحضّارةِ والغِذاءُ والألبسةُ والأزْيَاءُ

المبحثُ الأوّلْ: العُمرانُ ومظاهِرُ الحضّارةِ:

الناظر إلي فن الوصف يجد أنه كان معرفاً عند العرب، لكنهم كانوا يتناولون فيه ما يتصل بالبادية من وصف الأطلال ورمال الصحراء والسراب، والخيل والحمر الوحشية، وثور الوحش والنعامة. ولكن الذي استحدث في العصر العباسي هو وصف أشياء استحدثتها الحضارة المترفة. والترف العباسي منقول عن بيئات أجنبية أقتدي فيه العرب الفرس والروم، ثم الصور الحضرية والخيال المدني المترف(١).

ونجد من ترف العباسيين الأجنبي ، وصفهم لقصور الخلفاء العباسيين ، التي تأثرت هندستها المعمارية بمؤثرات فارسية وبيزنطية (٢).

وللحضارة العباسية أثر مباشر في قصائد الخالديين ، فما وصف القصور الماثلة جمالاً مبهراً ، يعانق قمة المعمار الفاتنة ، فأبو بكر الخالدي يلتفت إلي دار سيف الدولة ، ويرسمها بريشة بارعة بقيت لنا صورة تاريخية خالدة لقصر الأمير الحمداني فهي مجزية جميلة تغني عن التاريخ.

فأبي بكر الخالدي يلتفت إلي هذه الدار، ويشبهها بالجنان في الحُسن والعلو والاتساع ، فالحدائق التي تحيط بها فهي ناضرة متدانية ، والذي يسكنها يتمتع برغد العيش ، ويحصل علي الصبوح والغبوق بلا إشارة أو دعوة ، فالخشخاش علي أوراقها اللدنة كأنه سوالف الغانيات ، وشقائق النعمان بلونها الياقوتي وضُعت بدقة متناهية، والخدود تكسيها الراح ثوباً أرجوانياً ، ثم يلتفت إلي المنثور والآذاريون ، مثل

---

(١) التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري: د. عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،ط٣ ، ١٩٩٥م ، ص٣٣٢.

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: آدم متز، نقله للعربية: محمد الهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة: ط٣ ، ١٩٥٧م ، ج٣، ص ١٥٤.

كأس من عقيق ، ثم يصور لنا الخالدي حركة هذه الأزهار والغصون في التمايل في أثناء الرياح ، بجيشان يشتد بهم القتال في ساحات الوغى ، فالقصيدة قوامها البراعة والدقة في رسم التفاصيل رسماً حسياً يجعلك تلمس وتؤثر في العين. ونجد قافية القصيدة أغنية من أغاني الموسيقي الحالمة في تلاحم المعاني والصور. حيث يقول:

غـدتْ دارُ الأميـر كمـا روينـا * مـن الأخبـارِ عـن حسـن الجنـانِ**
علـت جُـدرانُها حتـى لقُلنـا * سيقصـر عـن مـداها الفرقـدانِ**
وجـال الطّـرفُ فـي ميـدان صَـحْنٍ * يُـردُّ الطّـرفَ دون مـداه وانِ**
تـري فيـه حـدائق ناضـراتٍ * تشـبههن أقـداح الغـواني**
تشـير إلـي الصّـبوح بغيـر طـرفٍ * وتسـتدعي الغبـوق بـلا لسـانِ**
كـأنّ تفـتُح الخشـخاش فيـه * علـي أوراقـه الخضـر اللّـدان[١]**
سـوالفُ غنيـات فاتنـات * علـت قمـص الفريـد الخسـرواني[٢]**
وصـبغ شـقائق النعمـان تحكـي * يواقيتـاً نظمـن علـي اقتـرانِ[٣]**
وأحيانـاً تشـبّهها خـدوداً * كسـتها الـرّاح ثـوب الأرجـوانِ[٤]**
علـي أنّـا سـننعتُ ذا وهـذا * بنسـبتهنَّ مـا يتغيـرانِ**
همـا فـي صـحةٍ ويـديع لفـظٍ * كمـا قُـرن الجُمـانِ مـع الجمـانِ**
شـقائق مثـل أقـداح مِـلاءٍ * وخشـخاش كفارغـة القنـاني**
ولمـا غازَلتهـا الـريحُ خِلنـا * بهـا جيشـي وغـىً يتقـاتلانِ**
غـدتْ رايـاتُهم بيضـاً وحمـراً * تُميلُهـا الفـوارسُ للطّعـانِ**
وللمنثـور أنـوارٌ تراهـا * كمـا أبصـرت أثـواب القيـانِ**
تخـالُ بـه ثغـوراً باسـماتٍ * إذا مـا افتـرَّ نـورُ الأقحـوانِ[٥]**
وآذر يونـه قـد شـبهُوه * بتشـبيهٍ صـحيحٍ فـي المعـاني[٦]**

---

(١) الخشخاش: نبات يحمل أكوازاً بيضاً ، وهو منّوم مخدر.

(٢) الفريد: المتفرد ، المحلّي ، الخسرواني: الكسرويّ الملكي ، الجميل.

(٣) اقتران: اتصال والتصاق

(٤) الأرجواني: الأحمر القاني.

(٥) الاقحوان: نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء، وأوراق زهره مفلَّجة يشبهون بها الأسنان؛ من الوافر . ديوان الخالديين ، تحقيق: د. سامي الدهان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق: بدون تاريخ ، ص ٩٩

(٦) أذريون: زهر أصفر وسطه خمل أسود ، وليس بطيب الرائحة.

ككـأسٍ مــن عقيــقٍ فيــه مسـكُ * وهــذا الحــقُّ أيِّــد بالبيــانِ**[١]

ومن أجمل قصور الحمدانيين بالموصل القصر الذي بناه أبو تغلب بن ناصر الدولة علي ضفة نهر دجلة ،فوصفه السَّريّ الرَّفّاء ووصف ما يحيط به من جنان تبتسم ومن ماء منسكب ، ومن سواقٍ تشق الخضرة ، فتظهر بيضاء ، كالسيوف ، ومن دولاب كثير الأنين كأنما هو إنسان مغترب يحن إلي وطنه ، وهو يطلب الماء لأنه أب حدب علي أبنائه من الأزهار إذا ما عقها الغيث ، فيقول فيه:

أنشـأتَه منـزلاً فـي قلـب دجلـةً لا * تمتــاحُ جَنّتــهُ الغُــدران والقُلُبــا** [٢]
صـفا الهـواءُ بـه والمـاءِ فشـتبها * كــأنّ بينهمــا مــن رِقّــةٍ نَسَــبا**
وأصـبح الغيـثُ مخلـوعَ العِذار بِـهِ * فلـيس يخلــعُ أبــرادَ الحيــا القُشُــبا**
فمـن جنـانِ تُريـك النَّـوْرَ مبتسـما * فــي غيــر إبَّانِــه والمــاءَ منسـكبا**[٣]
ومـن سواقٍ علـي خضراء تحسبُها * مُخضـرّةَ البُسـطِ سَلُّوا فوقهـا القُضُـبا**
كــأنّ دولابهــا إذ حَــنَّ مغتــربٌ * نــأي فحــنَّ إلــي أوطانــه طربــا**[٤]
بـاكٍ إذا عـقَّ زهـرُ الـرّوض والـدَه * مـن الغمـام غـدا فيـه أبـاً حَـدبا**[٥]
مُشـمّرٌ فـي مسـير لـيس يُبعـده * عــن المحــلِّ ولا يُهــدي لــه تَعبــا**
مـازال يطلـبُ رِفـدَ البحـر مُجتهـداً * للبَـرِّ حتـى ارتـدي النُّـوارَ والعُشـبا**[٦]

ثم ينتقل الشاعر السري الرفاء إلي وصف القصر بقوله:

والقصرُ يبسمُ فـي وجـه الضُّحى فتري * وجـه الضُّـحى عنـدما أبـدي لنـا شَـحَبا**
يبيــتُ أعــلاهُ بــالجوزاء منتَطِقــاً * ويَغتــدي بــرداء الغَــيمِ مُحتَجِبــا**
إذا القصــورُ إلــي أربابهــا انتســبتْ * أضـحي إلـي القمـة العليـاءِ مُنتسـبا**[٧]
حصــــباؤُه لؤلــــؤٌ نَثْــــرٌ وتُربتــــه * مسـكٌ ذكـيٌ فلـو لـم تحمـه أنتُهِبـا**

---

(١) من الوافر . ديوان الخالديين ، ص٩٩.

(٢) القُلُب ، مفردها قليب: البئر

(٣) النَّوار: الزهر الأبيض.

(٤) الطرب هنا: الحزن.

(٥) الحدب : من حدب عليه: تعطَّف

(٦) من البسيط . ديوان السري الرفاء ، ص ٥٨.

(٧) نفسه

وكـــلُّ ناحيـــةٍ منـــه زَبْرَجَـــدَةٌ * أجري اللُّجينُ عليها جدولاً سَربا**[1]

ومن مظاهر حضارة المجتمع العباسي بصفة عامة ، ومجتمع بن حمدان بصفة خاصة ، وصف البرك الصناعية ، والتي كانت تقام أحياناً داخل القصور ، وأحياناً خارجها وسط بعض الحدائق والبساتين ، وكان يجلب إليها أنواع مختلفة من الأسماك والحيوانات البحرية ، ويستنبت داخلها عديد من النباتات والزهور.

فنجد الشاعر أبو بكر الصنوبري يصف البركة وصفاً غاية في الروعة والجمال ، حيث جعل الريح تنسج من مائها دروعاً ، وشبهها بالجو لصفائها ، غير أن السمك يطير بها مكان الطيور ، وشبه الزهر علي جانبيها بالنجوم في السماء، إذ يقول:

ســـقي حلبـــاً ســـافكٌ دمعُـــهُ * بطـــئُ الرقـــوءِ إذا مـــا ســـفكْ**
ميادينـــهُ بُسْـــطهنَّ الريـــاضُ * وســـــاحاتهُ بيـــــنهن البِـــــركْ**
تـــري الـــريح تنســـجُ مـــن مائـــه * دروعـــــاً مضـــــاعفةً أو شـــــبكْ**
كـــأنّ الزجـــاج عليهـــا أُذيـــب * ومـــاء اللجـــين بهـــا قـــد سُـــبِكْ**
هـــي الجـــوُّ مـــن رقـــةٍ غيـــر أن * مكـــان الطيـــور يطيـــرُ الســـمكْ**
وقـــد نُظـــم الزهـــر نظـــم النجـــومِ * فمغتـــــرقُ الـــــنظم أو مشـــــتبكْ**
كمـــا درَّج المـــاء مـــرُّ الصَـــبا * ودبَّـــج وجـــه الســـماء الحبـــكُ**
يبـــاهين أعـــلام قُمْـــصِ القيـــانِ * ونقـــشَ عصـــائبها والتِـَكَـــكْ**[2]

وكما كانت هذه البرك مرتعاً للأسماك ، كانت أيضاً مرتعاًُ لطير الماء ، يسكن صفحتها ، آمناً مطمئناً لا يعكر صفوه إنسان ولا يطارده صياد ، ولا يفترسه نسر أو صقر. فكان رتاع هذه الأسراب في هدوء وأمان وانتظامها علي صفحات الماء في تشكيلاتها البديعة وحْياً للشعراء ، فسجل لنا السري الرفاء ، ذلك في شعره ، وشبهها لاختلاف ألوانها بالخمائل التي حوت أنواعاً من الزهر الملون البهيج ، فقال في ذلك:

---

(١) من البسيط . ديوان السري الرفاء ، ص ٥٨.

(٢) من المتقارب . ديوان الصنوبري ، ص٤٨٤.

وآمنـــةٍ لا الـــوحشُ تـــذعرُ سِـــربَها * ولا الطيـــرُ منهـــا داميـــاتُ المخالـــبِ**
هـي الـرّوضُ لـم تَـنشَ الخوامـلُ زهـرة * ولا اخضلَّ عن دمعٍ من المُزن ساكبِ [١]**
إذا انبعثـــتْ بـــين الخمائـــلِ خِلْتهـــا * زَرابـــيَّ كســـري بثّهـــا فـــي الملاعـــبِ[٢]**

لقد برع شعراء الحمدانيين في وصف الأدوات الهندسية كمظهر من مظاهر الحضارة والرقي. فالشاعر كشاجم يصف " البركار"[٣] وصفاً عجيباً يذكر دقائق صنعه وطبيعة وظيفته ومختلف أجزائه، ويعمد إلي التظرف أحياناً، فيذكر أكثر من تشبيه حيث يشبهه بشخصين في شكل واحد، أو بصديقين دائمي الصحبة كما يشبه فرعيه بحبيب موله ضم إليه محبوبه. فيقول:

جُد لـي ببـر كـاركَ الـذي صـنعتْ * فيـــه يـــدا قَيْنِهـــةِ الأعاجيبـــا**
مُلْتـــئمُ الشّـــفرتين معتـــدلٌ * مـــا شِـــينَ مـــن جانـــبٍ ولا عِيبـــا**
شخصـــان فـــي شـــكل واحـــدٍ قُـــدرا * وَرُكِّبـــا بـــالعُقول تركيبـــا**
أشـــبه بشـــيئين فـــي اشـــتباكهما * بصـــاحب مـــا يُمـــلُّ مصـــحُوبا**
أُوثِـــقَ مسْـــمارهُ وغُيِّـــبَ عـــن * نـــواظر النّاقـــدين تغييبـــا**
فعـــينُ مـــن تجتليـــه تحســـبه * فـــي قالـــبِ الإعتـــدال مصْـــبُوبا**
وضَـــمُّ شـــطريه مُحْكِـــمٌ لهمـــا * ضَـــمَّ محـــبٍّ إليـــه محبوبـــا**
لـــولاه مـــا صـــحَّ شـــكلُ دائـــرةٍ * ولا وجـدنا الحِسـاب محسُـوبا [٤]**

والمروحة منتشرة علي نطاق واسع في الشرق والغرب ، وهي تلطف الجو وتحرك الريح. فيصفها السري الرفاء بقوله:

---

(١) لم تنشَ : لم تَشُمَّ . الخوامل : مفردها خاملة: التي لا نباهة لها.

(٢) الذرابيَّ، مفردها زرْبِية: ما بسط واتكئ عليه ، من الطويل ، ديوان السري الرفاء ، ص ٨٣.

(٣) البركار: هو البرجل ، آلة مركبة من ساقين متصلين تثبت إحداهما وتدور الأخري حولها ترسم بها الدوائر والأقواس. ويقولون له أيضا بركار وفرجار بالفارسية ؛ المعجم والوسيط: د. إبراهيم أنيس وآخرون ،ط٣ ،مطبعة مصر ، القاهرة: ١٩٦١م ، ج١، ص٤٨.

(٤) من المنسرح . ديوان كشاجم ، ص٢٣.

ومبثوثةٍ في كلّ شرقٍ ومغربٍ * لها أمّهات بالعراقِ قواطنُ**
يحرّك أنفاس الرياح حراكها * كأنَّ نسيم الريح فيهنَّ كامِنُ** (١)

ويعتبر وصف الشموع التي كانت تضئ قصور الخلفاء والأمراء، مظهراً من مظاهر الترف الاجتماعي ، وتناول الشعراء وصف الشموع في شعر مترف يوائم طبيعة هذه الموصوفات.

فالشاعر أبو الفرج الببغاء يصف الشمعة وصفاً أدق وأبرع ، وأكثر تصرفاً وأوسع مدى ، فيشبه قدودها بأطراف الرماح وقد لبست غلائل ذهبية من شمس الأصيل ، وهي العرائس المجلوة لكي تزف إلي الموت. فإذا بكت بدموعها التي تشبه التبر، صحت وعادت إليها الحياة. ولعل ألطف ما قصد إليه الببغاء من معني ، هو تشبيه الضياء بالنسبة إلي الشمعة بالأيام بالنسبة إلي الإنسان، فكما يعجل الضياء بحياة الشمعة ، كذلك تعجِّل الأيام بعمر الإنسان. حيث يقول:

وصُفْرٍ كأطراف العوالي قدُودُها * قيامٌ علي أعلي كراسي من الصِّفْرِ** (٢)
تلّبسن من شمس الأصيل غلائلاً * فأشرقن في الظلماء بالخلع الصُفْرِ**(٣)
عرائس يجلوها الدّجى لمماتها * وتحيا إذا أذرت دموعاً من التبرِ**
إذا ضربت أعناقها في رضي الدجى * أعارته من أنوارها خِلَع الفجرِ**
تبكي علي أحشائها بجسومها * فأدْمُعُها أجسامها أبداً تجري**
علاها ضياءٌ عاملٌ في حياتها * كما تعمل الأيامُ في قصر العمرِ**(٤)

ومن ينظر إلي جزيرة العرب والشام ، يجد أنهما في فصل الشتاء قمة في البرد القارس ، فنجد الشعراء تناولوا وصف الكانون والنار ، وقياساً بالمجتمع الحديث ، يمثل الكانون والنار المدفأة الحديثة التي تكون داخل بيوت الأثرياء وقصورهم ، والتي تمنحهم فيها الشعور بالدفء والراحة.

---

(١) من الطويل . يتيمة الدهر ، ج٢، ص٢١٠.
(٢) الصفر: النحاس . العوالي : الرماح
(٣) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً.
(٤) من الطويل . شعر الببغاء، ص١٠٠.

فأبو فراس الحمداني يشكو البرد ، ويعجب بمنظر النار المنبعثة من الفحم الذي يشبه الحُلي محترقاً ، والندّ المشعّب مُنطفئاً . فيقول:

لله بَـــــرْدٌ مـــــا أشـــــــ * ـــدَّ ومنظـــرٌ مـــا كـــان أعجـــبْ**
جـــــاء الغـــــلامُ بنـــــارهِ * حمـــــراءَ فـــــي جمـــــرٍ تلهّـــــبْ**
فكأنمـــــا جُمـــــع الحُلـــــ * ـــى فَمُحـــرقٌ منهـــا ومُـــذْهبْ [١]**
ثـــــمَّ انطفـــــتْ فكأنّهـــــا * مـــــا بيننـــــا نَـــــدٌّ مُشَـــــعَّبْ[٢]**

وهذا مما كان من ترف وحضارة المجتمع الحمداني.

(١) مذهب : منطفئ

(٢) الندَ : العود يُتبخر به ، المشعّب : المفرّق ، من مجزوء الكامل ، ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ٢٦.

المبحثُ الثّاني: الغِذاءُ والألْبِسَةُ والأَزياءُ:

المطلب الأول:الغِذَاءُ:

أسرف المسلمون في الطعام وتفننوا في ألوانه، واهتم به الخلفاء حتى أنهم أجازوا للشعراء وصفه.

لقد اهتم شعراء بني حمدان بوصف الأطعمة وطريقة طهيها. وكشاجم معنِيٌّ كل العناية بوصف الأطعمة وطريقة طهيها ، ولعل له من صناعته الأولي وهي الطهي ، أثرٌ في ذلك الاتجاه ، فهو يصف الأطعمة بدقة خبير.

ومن بديع وصفه ، يصف لنا دجاجة ، ويُفصّل الأمر فيها ، منذ إعمال السكين في عنقها ، وندف ريشها ، وحشوها بالتوابل ، وتزيينها باللوز ، وتجيهزها بالزبد وماء الورد ، حتى تصير لذة الآكلين ، حيث يقول:

دَجاجةٌ في شَبَهِ السَّمنْدِ * نبيلةٌ وفخرُها بالهِنْدِ** [1]
عظيمةٌ الزَّورِ بصدرٍ نَهْدِ * أجريتُ منها في مجاري العِقدِ**
مُرهفةً ذات شياً وَحَدِّ * لغير ما ذَخْلٍ وغير حِقدِ**
بل رغبةً فيها شبيه الزُّهدِ * ولم تزل بالماء كفُّ العبدِ**
تَفرِقُ بين ريشها والجلدِ * وفُصّلَتْ أعضاؤُها من بَعْدِ**
مع لُبٍّ أُترجٍّ بلون الشّهدِ * بل طَعمهُ عن طَعْمِه ذا بُعدِ**
حتى إذا أسرعَها بالوقدِ * صَبَّ عليها اللّوزَ مثل الزُّبدِ**
وعُلِّيَتْ بَعدُ بماءِ وَردِ * ثمَّ أتي يسعي بها كالمُهدي**
كأنّها قد بُخِّرتْ بالنَّدِّ [2]

ومن قول كشاجم أيضاً يصف " الزلابياء" بأشكالها المشبكة والمفصلة علي أشكال جميلة ، مترعة في عسل النحل الصافي ، حتى أصبحت كالقضبان المذهبة الرائعة المنظر. إذ يقول:

---

(١) السَّمَند: الفرس " فارسية"

(٢): من الرجز. ديوان كشاجم ، ص٣٤٣.

أطيبُ ما نلتُ من اللّذَّاتِ *** ومن سُرُورٍ مُعْجِبِ الأوقاتِ
مُشبَّكاتٌ ومُفصّلاتٌ *** في عَسل النَّحل مُشَرَّباتِ
كأنَّ ما صُفِّفَ في الجامات *** إذا تراءت لي ماثِلاتِ
قُضبانُ تِبْرٍ مُتَراكباتِ *** مُعَنْبراتٍ ومُكفَّرَاتِ[1]

وكذلك عمد شعراء الدولة الحمدانية إلي وصف الأدوات البيتية التي يُطبخ عليها ، فالسّريّ الرفاء يصف قدره التي يطبخ فيها، حيث نظر إليها خلال الطبخ ، ورأي النار حولها والدخان ، أعجبه المنظر. فقال:

سوداءُ لم تنتسبِ لِحامٍ *** ولم ترْمُ ساحة الكرامِ
كأنما تحتها ثلاثٌ *** مُقرِّباتٌ من الحِمامِ[2]
يلعبُ في جسمها لهيبٌ *** لِعْبَ سَنا البرقِ في الظّلامِ
لها كلامٌ إذا تناهت *** غَيرُ فصيحٍ من الكلامِ
وهي وإن لم تذُق طَعاماً *** مملوءةُ البطن من طعامِ
لم يخلُ من رِفدِها نديمٌ *** يوم خُمارٍ ولا نِدامِ[3]
عظيمةٌ إن غلت أذابت *** بغليها يابسَ العِظامِ
لها دُخانٌ تضِلُّ فيه *** عجاجةُ الجحفل اللُّهامِ[4]
كأنما النارُ ألبستها *** مُعصفراتٍ من الضِّرامِ[5]

وكان الشعراء فضلاً عن تمتعهم بتلك المأكولات الشهية ، يأكلون أنواعاً من الفاكهة والخضروات. فقد عمد الشعراء إلي وصف بعض أنواع الفاكهة وخاصة ما كان بديع المنظر طيب الشذا. ولعمري إنَّ منظر الفاكهة وقد تدلت من أغصانها بين البساتين النضرة والحدائق العطرة ، لجدير أن يفتن تلك المجموعة من شعراء بني حمدان ، كيف لا وهم شعراء الفتنة والجمال.

---

(١) من الرجز . ديوان كشاجم ، ص٤٨.

(٢) أراد بالثلاث : الأثافي

(٣) الخُمار: كثرة الناس وازدحامهم.

(٤) اللُّهام: الجيش العظيم كأنه يلتهم كل شيء.

(٥) من مخلع البسيط . ديوان السّريّ الرفاء ، ص٣٩٨.

فثمرة " النارنج"[١] تمثل عند الوأواء الدمشقي [٢] وهي تميل بالغصون كالصولجان ، ويشبهها أيضاً بالثدايا الناهدات. حيث يقول:

ونارنْجٍ تميلُ به غُصُونٌ * فيغدُو مَيْلُها كالصَّولجانِ**
أُشبِّهُهُ ثدايا نَاهداتٍ * غلائِلُها صُبغْنَ بِزعفَرانِ[٣]**

وأبو بكر الصنوبري يصف لنا ثمار " الخوخ" وصفاً جميلاً، حيث أنه يعتبر هذا الخوخ هدية الزمان إليه ، وذلك لجماله وألوانه الصفراء والحمراء التي هي كالذهب ، والأحجار الكريمة الغانية اللون ، إذ يقول:

أهدي إلينا الزمانُ خوخاً * منظره منظرٌ أنيقُ**
من كلِّ مخصوصةٍ بحُسنٍ * معناهُ في مثلها دقيقُ**
ملساءُ مصبوغةٌ تولّي * صباغَها صباغٌ رفيقٌ**
صفراءُ حمراءُ مستفيدٌ * بهجتها التبرُ والعقيقُ**
كوجنةٍ أُلبست خلوقاً * وزال عن بعضها الخَلوقُ[٤]**

ومن قول كشاجم يصف نبات " الباقلاء" [٥] بأنها زرعت في أرض جيدة ، حيث صارت تلك الأرض بفعل هذا النبات كالممسكة ، وإن أوراقه مرطبة تشفي من الحر والشمس ، وهي كالعقد في فصوصه ، وهي كحبات الدُّر في شكل الهلال ، حيث يقول:

---

(١) النارنج : ضرب من الليمون.

(٢) محمد بن أحمد أبو الفرج الوأواء الغساني الدمشقي: شاعر مطبوع منسجم الألفاظ ، عذب العبارة حسن الاستعارة ، جيد التشبيه ، ت: ٣٩٠هـ؛ محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ، حققه : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة: ط١ ، ١٩٥١م،ج١، ص٣٠١.

(٣) من الوافر . ديوان الوأواء ، ص٢٢٨.

(٤) من مخلع البسيط . ديوان الصنوبري ، ص ٤٢٦.

(٥) الباقلاء : نبات عشبي حولي من الفصيلة القرنية ، تؤكل قرونه مطبوخة ، وكذلك بذوره ومنها الباقلي؛ المعجم الوسيط ص٦٦.

وبـــــاقلاءٍ حَســـــنِ المُجـــــرَّدِ *** ببـــاغِ مســـعُود الأغـــرِّ الأسْـــعدِ[١]
مسْكِ الثري شُهْد الجنـي غضٍّ نـديٍ *** ذي وَرقٍ يَكْحـــلُ عـــين الأرمَـــدِ
وَرقّـــــةٍ تشـــــفي أوارَ المُكمـــــدِ *** وموقـعٍ يبْـرِدُ مـن حـرِّ الصَّـدي[٢]
ريّـان مـن نَـوْءِ السّـماك الأجـودِ *** كالعقـــــد إلاّ أنّـــــه يُعْقـــــدِ
أو كالفصُـوص فـي أُكـفِّ الخُـرّدِ *** أو كبنـــاتِ اللُؤلُـــؤ المُنضّـــدِ[٣]
فـي طـيِّ أصـدافٍ مـن الزّبرجـد *** مفرُوشـــة بالكُرْسُـــف المُزَبّـــدِ[٤]
حَبّـــاتُ دُرٍّ قُمِّعَـــتْ بأثمـــــدِ *** مُبطنـــاتٌ كـــالهلال المُبتـــدي[٥]
يَقتَـرُّ عـن فيـروزجٍ رطـبٍ نـدي *** علـــي قـــوام كقـــوام اغيـــدِ
جَنـــيّ يـــوم لـــمْ يـــؤخَّر لغـــدِ *** ولـمْ يُنقّـلْ مـن يـدٍ إلـي يـدِ[٦]

ومجمل القول أن وصف المأكولات والطيبات التي أزدانت بها موائد ذلك العصر ، يعتبر بدوره لوناً جديداً من ألوان الاتجاهات في فنون الشعر، الذي يصور الحياة في أخص حالاتها ودقائق أمرها.

---

(١) باغ: قرية بمرو
(٢) الأوار: حرّ النار والشمس والعطش والدخان واللهب.
(٣) الخُرَّد: المرأة الحبيبة ، والبكر لم تمس
(٤) الكُرْسُف: القطن . المُزبّد : المنّور
(٥) قمعت: خصبت. أو دهنت . الإثمد: حجر الكحل.
(٦) من الرجز . ديوان كشاجم ، ص١١٦.

المطلب الثاني:الألبِسةُ والأزياءُ:

لقد كان الناس في القرن الرابع يهتمون بمظهرهم الخارجي ، لينالوا الحظوة و الوجاهة عند أصحاب السلطة. والاحترام والتقدير عند العامة.

وكان الشعراء يلبسون الوشي والمقطَّعات [١] الحريرية ، والأردية السود ، وكل ثوب مشهر[٢] ويلبس المغنون قطوع الديباج والخزِّ [٣] وقد حفظ لنا الشعر الحمداني الكثير من ملابس القوم آنذاك.

فنجد " العمامة" التي تختلف باختلاف مركز الشخص الرسمي ، أو الاجتماعي. فهناك العمامة الجميلة المطرزة التي يقول فيها السلامي:

حسناءَ صافية بيضاءَ ضافية * كأن رونقها في صارمٍ ذكر**

يزين أطرافها طرزٌ كما رقمت * علي المجرّة طرز الأنجم الزهر** [٤]

وعن الألبسة الأخرى الدّراعة ، التي تلبس معها عمامة الخزِّ لزيادة الأبهة والوجاهة. وفي ذلك يقول السلامي بعد أن ارتطم بالأرض وتلوثت ملابسه . فيقول:

جملة أمري أني ركبت إلي * دارك . لما أتيتها . الخطرا**

لبست درّاعتي وعمّتي الـ * خزِّ فصارا كما تري حبرا**

أصبحت في الطين عقعقاً بلقاً * وإن تعرَّيت خلتني نمرا** [٥]

ويبدو أن الصنوبري قليل الحظ مع الثياب ، وأيضاً مع رداءٍ كان له ،حيث احترق ذلك الرداء وترك في نفسه لوعةً وحسرةً ، وكان إذا لبس هذه الرداء كانت في غاية البهاء والجمال ، وأيضاً في الليل له مآرب أخرى. حيث يستعمل كغطاءٍ واقٍ في إثناء الليل، وأحياناً يستعمل كالإزار. لذا كان يحافظ الصنوبري علي هذا الرداء

---

(١) المقطعات من الثياب: شبه الجلباب ونحوها من الخز، وقيل كل ما يفصل ويخاط ، من قميص وجباب وسراويلات.

(٢) البيان والتبيّن: الجاحظ، تحقيق محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: ط٤ ، ١٩٧٥م،ج٣، ص١١٥.

(٣) الأغاني ، ج٦ ، ص ٢٩٣.

(٤) من البسيط يتيمة الدهر ، ج٢، ص٤٩٤.

(٥) العقعق: طائر كالغراب ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب ، البلق: ما كان في لونه سواد وبياض ، من المنسرح . يتيمة الدهر . الثعالبي ج٢ ، ص٤٩٣.

ويضعه في حدقات العيون، ولكنها المشيئة في أنه ذهب و احترق. فيقول الصنوبري في ذلك وقد ملأت نفسه حسرة وألماً:

كان ردائي أجلَّ أعلاقي * من جُددٍ كُنَّ لي وأخلاقٍ**
كان بهائي إذا ارتديتُ به * وكان نوري وكان أحداقي**
كنتُ به أحبتي وكنتُ به * أعتمُّ في ثروتي وإملاقي**
كان رفيقي صَدر النّهارِ ولي * في الليل منه صنوفُ ارفاقِ[1]**
مقْرمةً كان لي ومنشفةً * ومئزراً فاضلاً عن الساقِ[2]**
بل دبَّ منه الإحراقُ في جسدٍ * سيّانِ إحراقه وإحراقي**
فليس وجدي فيه بمنصرمٍ * وليس دمعي عليه بالراقي[3]**

ومثلما تفنن الناس في ألبستهم وأقمشتهم ، تفننوا أيضاً بزينتهم وعطورهم فاستعملوا مختلف أنواع الطِيب وأدوات الزينة.

ولعل امرأة لم تبلغ من التأنق ما بلغته زبيدة زوجة الرشيد ، وفيها يقول المسعودي:(إنها أول من أتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجواهر، وضع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الوشي الذي اتخذ لها خمسين ألف دينار. وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والابنوس والصندل. ملبسة بالوشي والسمور " الفراء" والديباج وأنواع الحرير. واتخذت الخفاف " النعال" المرصعة بالجواهر، وشمع العنبر، وتشبه الناس بها) [4]

وقد أمر عضد الدولة أن تنقش علي خواتيم الجواري أبيات السلامي التي يقول فيها:

---

(١) أرفاق : مآرب

(٢) المقرفة: الستر

(٣) رقأ الدمع: كفّ وانقطع ، من المنسرح ، ديوان الصنوبري ، ص٤٣٣.

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر:تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ،ط٤ ، ١٩٦٤م ،ج٤، ص٣١٧.

مرقومـــة الجنبـــات بالبـــدع التـــي * لـــم يهـــدها قـــط الربيـــع لروضـــةِ**
كتمـــت روائحهـــا فلمـــا عـــذّبتْ * بالنـــار فـــاح نســـيمها فـــأقرّتِ**
وكأنّمـــا الملـــك الأجّـــل الســـيد ألـــ * منصـور عضـد الملـك تـاج الدولـةِ**
أذكـــي مجامرهـــا بنـــار ذكائـــه * وغـدا الـدخان علـي علـوّ الهمّـةِ[١]**

وفي الكحل يقول السلامي:

يفـــضُّ الغـــزال جفـــون الغـــزل * وقـد فضـح الكحـل فيهـا الكحـلْ[٢]**
ولا وجنـــي الـــورد فـــي وجنتيـــ * ـه مـا أوجـب اللـثم ذاك الخجـلْ[٣]**

ويقول السّريّ الرفاء في قوارير العطر البلورية التي كانت تهدي إليه من أصدقائه، وقد أبدع في وصف قوارير جاءته من مدينة " جور" الإيرانية إذ يقول:

ومخطفـــاتٌ كالعـــذاري الحُـــورِ * مُشـــمّراتُ القُمْـــصِ كـــالمنثورِ [٤]**
كـــلُّ فتـــاةٍ نشـــأت بجُـــورِ * تختـــالُ فـــي مِـــدرَعِها القصـــيرِ[٥]**
حاســـرةٍ عـــن أرَجٍ حَســـيرِ * مثـــل نســـيمِ الزَهـــر الممطـــورِ**
تُبـــرِدُ منـــه غُلَـــلَ الصُّـــدورِ * أشهي من الوصلِ إلي المهجورِ[٦]**

لقد وصف الشعراء لنا ما كان من أمر الملابس والحُلي ، ونجد بهما تأنقاً بديعاً ، ومظهراً يدل علي ما كان عليه المجتمع الحمداني.

---

(١) المجامر: المواقد التي يوضع فيها الطيب والبخور ، من الكامل ، يتيمة الدهر ، الثعالبي ، ج٢ ، ص ٤٩٢.

(٢) يفض: يفت

(٣) من المتقارب . يتيمة الدهر ، ج٢ ، ص ٤٧٨.

(٤) المخطفات: أراد قوارير ماء الورد ، المنثور : نبات ذو زهر ذكي الرائحة

(٥) المدرع: ضرب من ثياب النساء ، جُور: مدينة في إيران.

(٦) من الرجز . ديوان السّريّ الرفاء ، ص ٢٢٦.

الفَصْلُ الخَامِسُ

المِهَنُ والحِرفُ ووسائلُ كسبُ العيشِ وتنوعُها

لقد عمد الأمراء الحمدانيون إلي توفير المال اللازم للإنفاق علي مشاريعهم العمرانية وحياتهم الخاصة وحروبهم الداخلية والخارجية. ولما كانت الدولة الحمدانية دولة إسلامية ، فقد سارت علي نفس الأسس الإسلامية في الضرائب ، أي فرض الزكاة علي المسلمين وفق الشروط الشرعية ، والجزية علي أهل الذمة من أهل الكتاب من الرجال القادرين ، والخراج علي الأرض المزروعة التي استولي عليها المسلمون من المشركين عنوة أو صلحاً [١] .

وأدت المعاملات إلي قيام محيط تجاري راقٍ في بلاد الحمدانيين، وقد أفاد الأمراء من العشور والضرائب المختلفة التي فرضوها علي التجار. فنشأت الأسواق والخانات لسكن التجار وخزن بضائعهم. ومدت الطرق البرية التي عُين فيها شرطة خيالة ورجالة لحماية القوافل. وقام الصيارفة . وهم الذين مثلوا المصارف في ذلك العصر . بمهمة الإيداع والصرف والتحويل. وترتب علي ذلك أن يصدر الحمدانيون عملة خاصة بدولتهم ، ما دامت السكة مظهراً من مظاهر السيادة والاستقلال ، وعاملاً مهماً في قيام التجارة والتبادل[٢] .

ونجد أن بلاد الشام وأرض الرافدين، معروفة منذ القدم بخصوبة أرضها، وكثرة أنهارها ، لذلك اهتم السكان بالزراعة ، وقد تحدث القلقشندي عن الزراعة في بلاد الشام قائلاً:" فغالبها علي المطر ، ومنها ما يروي بواسطة الأنهار"[٣] .

---

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية: أبي الحسن البغدادي الماوردي : ، دار الكتب العلمية ، بيروت: ١٩٧٨م ، ص٢٤٥

(٢) الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج١ ، ص٣٤٣.

(٣) صبح الأعشي في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشندي: ، شرح: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت: ط١، ١٩٨٧م ، ج٢، ص٩٠

وقد قام النشاط الاقتصادي علي التجارة والزراعة وبعض الصناعات الصغيرة من الخزف والخشب الملون، والمعادن والأسلحة، والأقمشة، وغيرها من الصناعات مما أتاح لكثير من تجارها وأرباباها علي مرِّ الأزمنة الثراء الطائل[١] .

وهناك طبقة من أصحاب المهن والحرف في المجتمع الحمداني ، لم تجد حظها في الثراء ، إلا أنها تعمل وتكد بسواعد أبنائها ، وهي الطبقة التي يقع عليها عبء العمل في المجتمع كله.

فالسّريّ الرفاء أُولع بحرفة صيد الأسماك ووصفها . ولعلها حرفة كانت سائدة لوجود الأنهار في الشام وما حولها . وفي كثير من أبيات شعره نراه يرسم لنفسه صورة الفتي الفقير المعدم الشاحب الأعضاء واللباس ، الذي يعد عهده بالرخاء والغني. فهو أشعث أغبر لكثرة ما خرج بحثاً عن الرزق، يحاول الحصول علي قوته بشبكة غبراء عتيقة ، مخاطراً بنفسه ليسعد بما حاز من هذه الأسماك الفضية التي يدفع بها شقاءه وبؤسه علي نحو ما نري من هذه الأبيات:

وشـــاحبِ اللّبســـةِ والأعضـــاءِ * أشـعثَ نـائي العهـد بالرخـاءِ[٢]**
أفضـي بـه العُـدْمُ إلـي الفضـاءِ * فوجهـــهُ للضَّـــحِّ والهـــواءِ[٣]**
أغبـر يحـوي الـرزقَ مـن غبـراءِ * خفيفـــةٍ ثقيلـــة الأرجـــاءِ[٤]**
كأنّهـــا هلهلـــةُ الـــرِّداءِ * كلَّفهَـــا لحـــظَ بنـــاتِ المـــاءِ**
وأقبلـــتْ تمـــلأُ عـــين الرائـــي * بكـل صـافي المـتن والأحشـاءِ [٥]**
فحـــاز إذ خـــاطرَ بالحوبـــاءِ * ســعادة الجّــدِّ مــن الشــقاءِ[٦]**

---

(١) تاريخ الأدب العربي " الشام ومصر" : د. شوقي ضيف، ص ٥٢١.

(٢) يصف صائد السمك

(٣) الضّحّ: الشمس

(٤) يصف في هذا البيت الشبكة ، مصدر رزق الصائد

(٥) أقبلت: أي الأسماك

(٦) الحوباء : النفس ، الجّدّ : الحظ ، من الرجز . ديوان السري الرفاء ،ص١٢.

والشبكة لديه أداة من أدوات الرزق التي تخصب المنزل المجدب ، فتملأه خيراً وبركة وزرقاً ، لها عيون تنوب عن عين الصياد تحت الماء ، حيث السيل الدافق والتيار الزاخر ، فيقول:

عنـدي إذا مـا ارتاحـتِ القلـوبُ * وحـنَّ للصّـيدِ الفتـي الطَّـروبُ**
أداةُ رزقٍ شـأنُها عجيـبُ * يُخصِـبُ منهـا المنـزلُ الجـديبُ**
كالـدِّرع أصـداها الحيـا السّـكوبُ * يبعثُهـا رامٍ بهـا مُصـيبُ [١]**
عيونُهـا عـن عينـه تَنـوبُ * فـي زاخـرٍ تيّـارُه صَـخوبُ**
لـه مجـالٌ فيـه أو سُـروبُ * إذا ابتغي الـرِّزقَ بهـا الطَّلـوبُ [٢]**

أعطته ما يذكو وما يطيبُ[٣]

ونري في أبيات أخري يصف لنا السّريّ الرفاء مهنته التي اشتهر بها . حيث كان يرفو الملابس ويحيكها . وذلك عندما سأله صديق له عن خبره وحاله وحرفته. فقال هذه الأبيات يبين فيها وضعه وضيق رزقه ، و ما كان عليه. إذ يقول:

يَنبيـكَ عـن صِـحَّة أخبـاري * عُسـري مـن العشـقِ وإيسـاري**
وسُـوقَةٌ أفضـلُهم مُرتَـدٍ * نقصـاً ففخـري بيـنهم عـاري**
وكانـت الإبـرةُ فيمـا مضـي * صـائنةً وجهـي وأشـعاري**
فأصـبحَ الـرِّزقُ بهـا ضـيِّقاً * كأنـه مـن ثُقبهـا جـاري [٤]**

واختلاط الشعراء بالناس، جعلهم يلتقون ببعض أصحاب المهن كالأطباء والحلاقين ويصادقونهم. فوصفوا مهنهم وأشادوا بمهارتهم. فنجد الشاعر محمود بن الحسين كشاجم ، يصف طبيباً بارعاً في مهنته بأنه وحيد عصره وزمانه ، بل هو حاذق كالمنجم الذي يفعل فعل السحر في الشخص المريض ، فهو حنين وعطوف ، كالوالد المحب لأطفاله ، وله قلب يدله علي مكان العلة والمرض دون عناء أو مشقة ، وهو إذا قصد مكان الداء يصيبه دون غيره من أجزاء الجسم ، وحتى من مبالغته

---

(١) أصداها: مخففة عن أصدأها ، أي سبب لها الصدأ

(٢) الطّلوب: الطالب.

(٣) يذكو: تسطع رائحته ، من الرجز . ديوان السّريّ الرفاء ، ص ١٠٥

(٤) من السريع . ديوان السّريّ الرفاء ، ص ٢٣٥.

في أداء مهنته، أنه يخرج الدم الفاسد بمقدار ، حتى لا يخرج الدم الجيد من الجسم. وهو شخص مبارك جعل الله الشفاء من بين يديه ، حيث يقول:

الحمـــدُ لله قـــد وجـــدتُ أخـــاً * لسـتُ مـدى الـدهر مثلـهُ واجـدْ**
أسـكنُ فـي صِـحَّتي إليـه فـإنْ * مرضـتُ كـان الطبيـبَ والعائـدْ**
طَبائعيّـــاً مُنَجَّمـــاَ جَـــدِلاً * يُجمـعُ منـه الكثيـرُ فـي واحـدْ**
ينظـرُ فـي الجُـزءِ والخطُـوط ولا * ينتقـدُ النُّطـقَ مثلـهُ ناقـدْ**
أحْنـي عـي كُـلِّ مـن يُعالِجـهُ * مـن الشَّـقيق الشَّـفيقِ والوالـدْ**
يعلـمُ مـن قبـل أنْ يُخاطبـهُ * مـا هـوَ مـن كـلّ عِلَّـةٍ واجـدْ**
كأنمـا تحـت مـا يجـسُّ لـهُ * قلـبٌ دليـلٌ ونـاظرٌ زائـدْ**
تـري الشـرايينَ منـه آمنـةٌ * لأنَّـه عـن طريقهـا حائـدْ**
يُبقـي علينـا دم الحيـاة ولا * يخـرجُ إلا المُختـلَّ والفاسـدْ**
يخـرجُ مقـدار مـا يُريـد علـي الـ * قيـاسِ لا ناقصـاً ولا زائـدْ**
مبـاركُ الشّـخصِ حـين تُبصـرهُ * تُـوقنُ بـالبُرءِ أنَّـهُ واردْ** (١)

ويصف السّريّ الرفاء مزيناً حاذقاً يدعي " عبد الكريم"(٢). فينعته بالحذق و الفضل لما يفيضه علي الوجه من النعيم الذي يأتي إثر موساه ، فإذا مرّت راحته علي الرأس ، مرّت رقيقة كالنسيم ، وإلي غير ذلك من الأوصاف التي يمكن أن تتوفر في مزين حاذق. وكيف لا يكون عبد الكريم حاذقاً من مهنته ، وقد ورثها عن أبيه وربما عن جده ، فيقول:

هـل الحـذقُ إلا لعبـدِ الكـريم * حـوى فضـلَه حادثـاً عـن قـديمِ**
إذا لمـعَ البـرقُ فـي كفّـهِ * أفـاضَ علـي الوجـهِ مـاء النّعيمِ**(٣)
جهـولُ الحُسـام ولكنّـه * يـروحُ ويغـدو بكفـي حلـيمِ**
لـه راحـةٌ سـيُرها راحـةٌ * تمُـرُّ علـي الوجـه مـرّ النّسـيمِ**(٤)
فلـو كـان مـن قُبحِـه اربـداً * لعـاد مـن الحُسـن صـافي الأديـمِ**
نعمنـا بخدمتـه مُـذْ نَشـا * فـنحنُ بـه فـي نعـيمٍ مُقـيمِ**

---

(١) من المنسرح : ديوان كشاجم ، ص ١٢٥.

(٢) لم أعثر له علي ترجمة.

(٣) أراد بالبرق: الموس

(٤) من المتقارب . ديوان السري الرّفاء ، ص٤١٣.

وكـــم قـــد ســـكنّا إلـــي غيـــره * فكنّـــا بـــه فـــي عـــذابٍ ألـــيمِ**[1]

ومن الملاحظات التي تبين مقدار الانهيار الأخلاقي والاجتماعي في ذلك العصر ، انتشار الرشوة. وهي نتيجة لظلم اجتماعي حادث. وفي ذلك يقول كشاجم:

رأيـــتُ تتـــابعَ الأعمـــال أجْـــدَي * علـي العُمّـالِ مـن فّضْلِ الصَّنَاعهْ**
فمـــنْ يـــكُ أكثـــرَ العُمّـــال بَـــذلاً * لِمَـــالٍ فَهْـــوَ أو جَهُهُـــم شَـــفَاعهْ**
فإمّـــا كُنـــتَ فـــي عَمـــلِ فصـــانعْ * بِمِرْفِقِـــــةِ وإنْ ثَلّـــــمَ إرتفاعَـــــهْ**
ووفِّـــرْ حِصَّـــةَ الأتبـــاع تـــأمَنْ * بـــذاك مـــن الملامـــةِ والشَّـــنَاعَهْ**[2]

ونجد فيما سبق أن حالة الرضاء والعيش الهادي في ظلال الملوك والأمراء ووجهاء القوم. أما الصُناع وأصحاب المهن والحرف، كانوا يمثلون غالبية في ذلك المجتمع الذي حكمته في بعض حالاته الطبقية الظاهرة.

---

(١) من المتقارب ، ديوان السّريّ الرفاء ، ص٤١٣.

(٢) من الوافر . ديوان كشاجم ، ص٢٦١.

البَابُ الثّانِي

الحَياةُ اللاّهِيَةُ

الفصلُ الأوّل: الخمرُ والدّياراتُ

الفصلُ الثّاني: الطرديّاتُ والألْعابُ البريئةْ

الفصلُ الثّالثُ: اللّهو والمجُون والغزلُ و المُوسيقَي.

الفَصْلُ الأوَّلُ

الخَمْرُ والدَّيَاراتُ

لقد أغرم الشعراء بوصف الخمر منذ العصر الجاهلي لكلفهم بها ، ولما تضفي علي قلوبهم من سرور ، وما تفئ علي نفوسهم من متعة يغرقون فيها همومهم وينشدون فيها البهجة، فتنقلهم إلي عالم من الأخيلة السعيدة.

ولقد ورث القرن الرابع مجون القرنين الثاني والثالث وأضاف إليه التيارات التي تدفقت إليه من الأجناس التي وفدت إلي العراق و الشام ومصر ، وما كان يتمتع به النصارى في هذه البلاد من حرية أتاحت لهم بناء الأديرة الكثيرة ، وأحاطتها بالحدائق المثمرة ، وملء أخبيتها وسراديبها بالأنبذة والخمر المعتقة ، والسقاة والساقيات.

فكان لهذه الأديرة أثر واضح في أدب المجانة في هذا القرن. حتى لقد أُلِفت عشرات الكتب عن الأديرة المنتشرة في مصر والشام والعراق. ومما يدل علي ما كان يمارس فيها من مجون ، ما ذكره الشابشاتي عن دير " الخوات" بقوله: (هذه الدير بعكبرا ، وهو دير كبير عامر ، يسكنه نساء مترهبات متبتلات فيه. وهو سط البساتين والكروم ، حسن الموقع ، نزه الموضع ، وعيده الأحد الأول من الصوم. يجتمع إليه كل من يقرب منه من النصارى والمسلمين ، فيعيّد هؤلاء ، ويتنزه هؤلاء. وفي هذا العيد ليلة (الماشوش) وهي ليلة تختلط فيها النساء بالرجال ، فلا يرد أحد يده عن شيء ، ولا يرد أحد أحداً عن شيء ، وهو من معادن الشراب ومنازل القصف ، ومواطن اللّهو) [١].

ومن قول أبو بكر الخالدي يصف دير " سعيد" الذي ذكره ياقوت الحموي بقوله: " أنه يقع غربي الموصل قريب من دجلة ، حسن البناء ، واسع الغناء ،

---

(١) الديارات: أبي الحسن علي بن محمد الشاباشتي:تحقيق: كوركيس عواد ، مكتبة المثني ، بغداد ط٢ ، ١٩٦٦م ، ص٩٣.

وحوله قلالي كثيرة للرهبان ، وهو إلي جانب تل يقال له تل " بادع" يكتسي أيام الربيع ظرائف الزهر .وهو منسوب إلي الأمير سعيد بن عبد الملك بن مروان" [١]. والشاعر أبو بكر الخالدي يتناول كأساً من الخمر في هذا الجو البديع ، علي بساط من زهر البنفسج ، حيث يقول:

قـدْ طَفَـحَ القلـبُ بـالهُمومِ فـإنْ * طُفْـتَ بكـأسٍ فهاتِهـا تَطْفَـحْ**
فـي جُـنْح ليـلٍ تُـري كواكبـهُ * وهـي إلـي الغَـرب كلُّهـا جُـنَّحْ**
نـراك تنسـي سـرور يومـك فـي * "دَيْـرِ سـعيد" و ظِلِّـهِ الأفْـيحْ**
علـي باسـطٍ مـن البنفسـجِ قـد * ألقـي مـن الـوردِ فوقـهُ مَطـرحْ**
وكـأس راحٍ يُـديرُها قمـرٌ * لحاظُـه فـي قلُوبنـا تَجـرحْ**
قـد كـان فيمـا مضـي يُعَـرضُ بالـ * ـوصْل ولكـن أراهُ قـد صَـرَّحْ[٢]**

ولا يوجد عند أهل ذلك العصر مكاناً أو زماناً محددين لشرب الخمر ن فأبو بكر الخالدي يجلس للشراب قرب مطلع الفجر. ويصف الخمر بالمعتقة البابلية ، فيجعلها بكراً لقوة فعلها، وعدم إفتضاض دنها من قبل ، ويجعلها شمطاء لقدمها ، ويصف لونها في الكأس بالتبر ، وفعلها في الخد بالورد. إذ يقول في ذلك:

رَقَّ ثـوب الـدُّجى وطـاب الهـواءُ * وتَـدلَّتْ للمغْـربِ الجـوزاءُ[٣]**
والصَّـباح المنيـرُ قـد نُشـرت منـ * ـهُ علـي الأرض رَيْطـةٌ بيضـاءُ[٤]**
فاسْقِنيها حتـى تـري الشمس فـي الـ * ـغرب عليهـا غِلالـةٌ صـفراءُ[٥]**
قهـوة بابليـة كـدم الشَّـا * دنٍ بكـراً لكنّهـا شـمطاءُ[٦]**
قـد كسـتها الـدُّهورُ أرديـةَ الرِّقّـ * ـة حتـىَّ جَفـا لـديها الهـواءُ**
فهـي فـي خَـدِّ كأسـها صُـفْرَةُ التِّبـ * ـر وفـي الخـدِّ وردةٌ حمـراءُ**
سَـبجٌ يَسـتحيل منـهُ عقيـقٌ * وظـلامُ ينسـلُّ منـه ضِـياءُ[٧]**

---

(١) معجم البلدان: ياقوت الحموي ، تحقيق: د. إحسان عباس ،ج٢، ص ٥١٥.

(٢) المنسرح . ديوان الخالديين ، ص ٤١

(٣) الجوزاء: برج من بروج السماء

(٤)الريطة: كل ملاءة ليست ذات لفقين أي قطعتين متضامتين ، كلها نسج واحد قطعة واحدة جمعها ريط ورياط.

(٥) الغلالة: (بالكسر): شعار يلبس تحت الثوب والدرع.

(٦) شمط : خلط والأشمط من خالط بياض رأسه سواد.

(٧) السَّبج الخرز الأسود ، فارسي معرّب ، العقيق: خرز أحمر ، من الخفيف ، ديوان الخالديين ، ص١٠.

ومن مظاهر ذلك العصر التنادي إلي مجالس الخمر، فلم يقتصر السري الرفاء علي معاقرة الخمر في الحانة أو الدير، ولكنه كان يشربها في بيته ، و يهيئ كل ما يحتاجه من آلاتها ، فيدعو أصدقاءه لزيارته ويغريهم بشتى صنوف اللّهو والأُنس. وعله كان أمراً مألوفاً في تلك الفترة. فقد كتب الشاعر الرفاء إلي صديق له يدعوه إلي زيارته فقال:

لـــم ألْـــقَ رَيحانـــةً ولا راحـــاً * إلاّ ثَنَتْـــي إليـــك مُرتاحـــا**
وقـــد أضـــاءت نجـــومُ مجلسِـــنا * حتـــى اكتســـي غُـــرَّةً وأوضَـــاحا [١]**
لـــو جَمَـــدتْ راحُنـــا غـــدتْ ذهبـــاً * اوذابَ تُفَّاحُنـــا اغتـــدي راحـــا**
عِصـــابةٌ لـــو شَـــهِدْتَ مجلســـهم * كنـــت شِـــهاباً لهـــم ومِصـــباحا**
أُغلِـــقْ بـــابُ السُّـــرورِ دُوَنهـــمُ * حتـــىَّ جَفـــا لـــديها الهـــواءُ[٢]**

ومن أجمل الأوصاف للخمر، ما قاله الشاعر الوأواء الدمشقي ، فهي عنده مشعشعة أي أنها مزجت بالماء لشدتها، وهي في كأسها نجوم تهوي لتغوير، وهي كعقد الدر ، وهي مقدمة من ساقٍ كأنه قمر في حسنه، يتمايل كأنه يمشي علي زجاج ، فنجده يقول:

قـــم يـــاغلام اســـقني مشعشـــعةً * تســـيرُ فـــي الكـــأسِ بالتباشـــيرِ**
تجـــــردتْ والزمـــــانُ يحجُبهـــــا * كظُلمـــــةٍ أطبقـــتْ علـــي نـــورِ**
تُظـــنُّ فـــي كأســـها إذا مُزجـــتْ * نجُـــومَ ليـــلٍ تهـــوى لتغـــويرِ**
أو بـــــرداً قـــــدْ أُديـــــر دائـــــرةً * مـــن فـــوق نـــارٍ بغيـــر تســـعِيرِ**
أو عقـــــدَ دُرٍّ وهـــــتْ معاقِـــــده * علـــي عقيـــقٍ فـــي صـــرحْ بلُّـــورِ**
كـــمْ حـــثَّ شُـــربي لكأســـها قمـــرٌ * بقـــدٍّ غصـــنٍ وخصـــرِ زنبـــورِ**
يجذبـــــهُ رِدْفُـــــهُ فأحْســـــبهُ * يـــرُومُ مشـــياً علـــي قـــوارِيرِ [٣]**

ووصف لنا شعراء بني حمدان أدوات وآلات الخمر أيضاً ، فيولد لنا أبو الفرج الببغاء المعاني الكثيرة الطريفة في وصفه للكأس ، بالعرض والنور والوهم. ويصفه بالنفاق لتلونه بلون الخمر، وإذاعة السر ، وذلك لإذاعته سر الخمر التي في حشاه ،

---

(١) الأوضاح: الحُلِي من الفضة.

(٢) من المنسرح . ديوان السري الرفاء ، ص ١٢٤

(٣) من المنسرح . ديوان الوأواء الدمشقي ، ص١٠٧.

وهو لجين فارغاً، وذهباً مليئاً. كما يشبه الخمر في الكأس بالبدر والهالة، ويشبه الكف التي حملت الكأس بالأفق، ويشبه الحبب بالنجوم. إذ يقول:

دارت نجوم السرور في فلكٍ * منه له من فتوَتي قطبُ**
من كلِّ جسمٍ كأنهُ عَرَضٌ * يكاد لُطفاً باللحظ يُنْتَهبُ**
نورٌ وإنْ لم يغبْ ووهمٌ وإن * صحّ وماءٌ لو كان ينسكبُ**
لا عيب فيه سوى إذاعته الـ * ـسّر الذي في حشاه يحتجبُ**
كأنما صاغه النِّفاقُ فما * يخلص منه صِدْقٌ ولا كذِبُ**
فهو إلي لون ما يجاوره * علي اختلاف الطباع ينتسبُ**
إذا دّعاه اللجينُ أكْذَبَهُ * بالراح في صبغ جسمه الذهبُ**
جلت عروس المدام حِاليةً * فيه علينا الأوتارُ و النخبُ**
فالراحُ بدرٌ والجام هالته * والأفق كفي والأنجمُ الحببُ**[1]

ويصف لنا كشاجم " الراووق" وهي المصفاة يروّق بها الخمر ، مشبهاً لها بخرطوم الفيل الذي سقطت أنيابه ، وأيضاً مشبها لها بالغيث المنهمر ولكن من الخمر وليس من المطر ، وهي كالضرع الذي يجود عن ما بداخله ، حتى يسيل لنا خمر لذيذ طعمه تحلو به الدنيا ولا سبيل للعيش بدونها. فيقول:

---

(١) الجام: إناء الخمر ، من المنسرح ، شعر الببغاء ،ص٤٧

كأنّمـــا الـــرَّاوُوق وانتصـــابهُ *** خُرطـــومُ فيـــلٍ ســـقطتْ أنيابُـــهُ
طُفنـــا بـــهِ وكُلُّنـــا نَهابُـــهُ *** وهـــو كَظِـــيْظٌ مُتْـــأقٌ إهَابـــهُ[١]
مُخضَـــبٌ وحبّـــذا خِضَـــابهُ *** مَـــجَّ الرّحيـــق الرّائـــقَ انتِقابـــهُ
غيـــثُ مُـــدامٍ خـــرقٌ ســـحابةُ *** كالضَّـــرْع يَكفـــي حَلْبـــهُ انجلابُـــهُ
فالبيـــتُ منـــهُ عَبـــقٌ تُرابـــهُ *** كـــأنّ عِطـــراً فُتقـــتْ عِيابـــهُ[٢]
فيـــه فكُـــلٌّ همُّـــه انتهـــا بـــهُ *** فَغْـــمٌ إذا مـــا اتّصـــل انســـكابُهُ[٣]
ســـال بـــراحٍ قَرْقـــفٍ لُعابـــهُ *** رُضـــابُ مـــن اعْشَـــقُهُ رُضـــابُهُ[٤]
مـــن لـــم يَـــرُق بمثلِـــهِ شَـــرابهُ *** لـم يَـدْرِ كيـف العـيشُ واكتسـابُهُ[٥]

ونري في البيت الثاني يقول كشاجم وقد فعل الخمر برأسه ، أنه يطوف بهذه المصفاة ، كطواف الزهاد والعباد ببيت الله الحرام ، وهو فرق واضح وبين.

ونلحظ قمة الخلاعة والمجون في استخدام بعض الألفاظ الدينية المقدسة في هذه المواضع المجانة. فأبو بكر الصنوبري يصف الخمر التي أصبحت كل حياتهم حتى أنهم يتنادون فيما بينهم " أنْ حيّ علي السُكر" والعياذ بالله . فيقول:

مـــا ســـاعةٌ تمضـــي بـــلا وِزرِ *** بســـاعةٍ تُحســـبُ مـــن عمـــري
قـــمْ بـــاكرِ الفجـــر إلـــي شَـــرْبةٍ *** يغنـــي بهـــا الشّـــربُ عـــن الفجـــرِ
لا تســـقني خمـــراً وهـــاتِ اســـقنا *** أن كنـــتَ ســـاقينا أخـــا الخمـــرِ
آنَ لأصـــــحابي أن يســـــكروا *** فنـــادهمُ حـــيَّ علـــي السُـــكرِ [٦]

والناظر إلي شعر الخمريات في الشعر الحمداني، يجد أنهم تعلقوا بالخمر ووصفوها تنادوا إلي مجالس الخمر، ووصفوها ، بأوصاف جديدة مبتكرة.

---

(١) الكظيظ والمتأق: الممتلئ

(٢) العياب جمع عيبة: وهي وعاء من أدم يكون فيها المتاع

(٣) الفغم والفعم: الأمتلاء أي أمتلأ المكان بالرائحة . ويقال فغمة الطيب: رائحته

(٤) القرقف: الخمر

(٥) من الرجز ، ديوان كشاجم ، ص٤١.

(٦) من السريع . ديوان الصنوبري ، ص ٤٠.

ونحن نري أن شيوع الخمر لم يكن عاماً وعلي الإطلاق ، وأيضاً تلك الديارات لم تكن مواضع للمجون فقط. بل حوت في أغلبها خزانات للكتب يجد فيها الرهبان ما ينشدون من التأليف التي تتناول موضوعات دينية وأدبية وعلمية مختلفة ، أي أن في تلك الأماكن كثير من أصحاب الديانات غير الإسلام ، مما أدي إلي انتشار هذه الظاهرة.

الفَصْلُ الثّانِي

الطّرِدِيَاتُ والأَلْعابُ البرئيةْ

أولع العرب منذ قديم الزمان بالصيد والطرد ، فتوافروا علي هذه الرياضة ودرسوا كل ما يتعلق بها من تدريب الحيوانات والطيور وتربيتها و تطبيبها. ولم يكن الصيد قاصراً علي الملوك والمترفين فحسب، وإنما كان شائعاً بين جميع الطبقات ، حتى أن البعض جعله مصدراً لرزقه ومعاشه ، ويستوي في لذة الصيد الغني والفقير ، والأمير ، والحقير. وفي ذلك يقول كشاجم: :" ويغدو للصيد اثنان متفاوتان ، صعلوك متشح بالأطمار ، وملك جبار ، فينكفئ الصعلوك غانماً ، وينكفئ الملك غارماً ، وهما مشتركان في لذة الظفر ، ولا مؤونة علي ذي المروءة أغلظ من تكلف آلات الصيد ، لأنها خيل وفهود وبزاة وكلاب. و يحتاج في كل قليل إلي تحديد. ومن هنا قيل لا يشغف بالصيد إلا سخي"[١]

ونري أن الصيد أصبح فناً ينشد فيه الشعر ، وتؤلف فيه الكتب. و إلي ذلك يشير آدم متز فيقول:" علي انه بالرغم من أنواع الرياضة الكثيرة التي انتشرت في القرن الرابع، فقد بقي الصيد محتفظاً بكل ماله من شأن ، بل ظهرت في تمجيده قصائد خاصة ، إلا أن معظمها يدور حول مدح كلاب الصيد ووصفها[٢].

والصيد له فوائده الكثيرة التي تعوّد الإنسان علي الصبر والمثابرة ، وتنشيط الأجسام ، وتزيل السأم من النفوس ، بما يجنيه الصاحب من متع الأوقات الجميلة التي يقضيها مع أصدقاء له في مضارب ينصبونها في الصحراء حيناً ، وعلي مشارف الغابات والأحراج حيناً آخراً.

لقد شغف الأمراء الحمدانيون بالصيد والطرديات ، واقبلوا علي مزاولة هذه الهواية. وكان الشعراء الحمدانيون يكثرون القول في الطرديات ، وكان أكثرهم قولاً

---

(١) المصايد والمطارد: أبي الفتح محمود كشاجم ، تحقيق:د. محمد أسعد طلس ، دار اليقظة ، بغداد: ١٩٥٤م ، ص٤

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع: آدم متز: نقله إلي العربية: محمد الهادي أبو ريدة، ج٢، ص٢٥٨.

في هذا الفن: أبو فراس ، والسّريّ الرفاء ،و المتنبي ، والببغاء ، وكشاجم. فقد وجد هذا الفن اهتماماً كبيراً من شعراء تلك الفترة ، فألف كشاجم كتاب " المصايد والمطارد " ، حيث أصبح الصيد فنّاً ينشد فيه الشعر ، وتؤلف فيه الكتب.

ولأبي فراس الحمداني أرجوزة في وصف الصيد، تفردت بطولها ، فقد بلغت سبعة وثلاثين ومائه بيت ، وهي تميل إلي الأسلوب القصصي الممتع ، وفيها الحديث عن الصيد وأدواته. فيستهل أبو فراس قصيدته بالحكمة ومطالعها:

ما العمرُ ما طالتْ به الدُّهورُ * العُمرُ ما تمَّ به السُّرورُ**[١]

وقد وصف أبو فراس الاستعداد للرحلة، ودعوة الصياد والفهّاد والبازيارين لاختيار الجوارح الحاذقة في الصيد، فيقول:

دعـــوتُ بالصـــقَّار ذات يـــوم * عند انتباهي سَحَراً من نومي**[٢]
قلـــتُ لـــهُ اختـــرْ ســـبعةً كِبَـــارا * كـــلُّ نجيـــبٌ يَـــردُ العُبـــارا**
يكـــونُ للأرنـــبِ منهـــا اثنـــانِ * وخمســـــةٌ تُفـــرَدُ للغِـــزلانِ**
واجعـــلْ كـــلاب الصَّـــيد نـــوبتينِ * ترسلُ منها اثنين بعد اثنينِ**[٣]
ثـــمَّ تقـــدَّمتُ إلـــي الفَهَّـــادِ * و البازيـــارين بالاســـتعدادِ**[٤]

ويختار الشاعر مجموعة من الرفاق ، الذين يعهد بهم الفضل والنجابة، ويصف صحبه في الرحلة ، فهم عشرون من الأصدقاء أو ما يزيد ، وكلهم يتصفون بصفة الروح والطيب والفضل . إذ يقول:

---

(١) من الرجز . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ٣٥٩.

(٢) الصقّار: مربي الصقور للصيد.

(٣) نوبتان : مرحلتان.

(٤) الفهّاد: مدرب الفهود البازيار: (فارسية) صاحب الباز ، أي الصقر ، من الرجز . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٣٦٠.

بـــــالله لا تستصـــــحبوا ثقـــيلا *** واجتنبـــــوا الكثـــــرةَ والفُضُـــــولا
رُدُّوا فلانـــــاً وخـــــذوا فُلانـــــا *** وضـــــمِّنوني صـــــيدكم ضَـــــمَانا
فـــاخترتُ لمَّـــا وقفـــوا طـــويلا *** عِشـــرينَ أو فويقهَـــا قلـــيلا [١]
عِصـــابةٌ اكـــرِمْ بهـــا عِصـــابهْ *** معروفـــةٌ بالفضـــل والنَجَابـــهْ[٢]

ويستطرد أبو فراس فيصور عملية الصيد تصويراً بارعاً، ويصف مطاردة شاهينين أرسلهما لمطاردة الطير المنتصر بأعداد كبيرة، حيث يقول:

دَارا علينـــــــا دورةً وحلَّقَـــــــا كلاهُمـــــا حتـــــى إذا تعلَّقَـــــا
تَوازَيـــــــا واطَّردَا اطِّـــــــرادا كالفارســـــينِ التقيـــــا أوْكـــــادا
ثمَّـــــت شَـــــدَّا فأصـــــابا أرْبَعـــــا ثلاثـــةً خُضْـــراً أو طيـــراً أبْقَعـــا [٣]

ويختم أبو فراس قصيدته فيصف المحصول الوافر من الصيد ، الذي جنوه من هذه الرحلة ، والشراب الكثير الذي أقبل عليه رفاقه ، فيقول:

ثُـــمَّ انصـــرفنا والبغـــالُ مُـــوقِرهْ *** فـــي ليلـــةٍ مثـــل الصّـــباحِ مُسْـــفِرةْ
حتـــــى أتينـــــا رحْلَنَـــــا بليـــــلِ *** وقـــــد سُـــــبقتا بجيـــــادِ الخيـــــلِ
ثُـــمَّ نزلنـــــا وطرحنـــــا الصَّـــــيْدا *** حتـــــى عـــــددنا مِئـــــةً وَزَيْـــــدا
فلـــم نـــزلْ نَقْلِـــي ونشـــوي وَنصُـــبْ *** حتـــى طلبنـــا صـــاحياً فلـــم نُصِـــبْ
شُـــرباً كمـــا عَـــنَّ مـــن الزِّقـــاقِ *** بغيـــــر ترتيـــــبٍ وغيـــــر ســـــاقِ
فلـــم نـــزلْ ســـبعَ ليـــالٍ عَـــدَدا *** اسعد مَنْ راحَ وأحظي مَنْ غَدا [٤]

وبرغم طول القصيدة، وما حوت من ألوان الوصف المختلفة ، فهي أقرب إلي قصة منظومة منها إلي الشعر العذب ، الذي عرف به أبو فراس بين سائر الشعراء بني حمدان.

والسّريّ الرفاء من شعراء الحمدانيين الذين قالوا في الطرد ، فهذا كلب من كلاب الصيد يصفه الشاعر الرفاء ، فينعته بسوء الأخلاق والعادات والأعمال التي

---

(١) فويق : تصغير فوق ، من الرجز . ديوان أبي فراس الحمداني ص ٣٦٠.
(٢) النجابة: الفطنة ، من الرجز . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٣٠٦
(٣) الابقع: خالط بياضه سواد ، من الرجز . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٣٦٤
(٤) من الرجز . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٣٦٦.

تعود بالنقمة علي الوحش ، وبالنعمة والكرم علي أصحابه ، وينسبه إلي السرعة المتناهية ، فيقول:

أبـيضَ مُسـوَدَّ الخِـلالِ والشِّـيمْ * لـه علـي الصَّـحْبِ أيـادٍ وكَـرِمْ**
ونِعَـمٌ هُـنَّ علـي الـوحش نقَـمْ * أسـرعُ قبـلَ الشَّـدِ مـن سَـيْلِ العَـرِمْ**
يَقـدُمُنا إلـي الكِنـاسِ المُكْتَـتَمْ * مُسـائلا عنـه الصَّـبا وهـي تَـنُمْ(١)**

والشَرَك آله من آلات الصيد التي وصفها الرفاء، فهو يشكل في الأرض بعد أن يُخفي، وتبقي حلقاته ظاهرة لا تشعر بها الطير، فتسقط فوقها لالتقاط ما حولها من الحب فتصاد. وقد أحاط السري نوعاً ما بوصفه. فالشرك من الحبال التي شدّت بأوتاد خفية غير ظاهرة، واحتوي علي هذه الحلق الصغيرة التي سرعان ما تقبض علي الطير فتثقلها، ولا تستطيع معها الطيران، حيث يقول:

وربّمـا مِلْنـا علـي الطَّـير وقـد وافـتْ حِـزَقْ(٢)
كـلُّ غريـبٍ نُقِشـتْ * حُلَّتُـه نَقْـشَ السَّـرَقْ(٣)**
ننصـبُ فـي الأرض لهـا * عِقـالَ حَتـفٍ كـالوَهَقْ(٤)**
خَفيـةً أوتـادُه * ظـاهرةً منـه الحلَـقْ**
يكَـادُ يخفـي شحصُـه * ضـؤولةً إذا رَمَـقْ**
حُـفَّ بـرزقٍ ربّمـا * أردي الـذي منـه رُزقْ**
فـالطيرُ مـن حُـرٍّ دُجـىً * مَلَكـةٌ ومُسـتَرَقْ(٥)**
وحـائرٍ يفـرى السـكا * كـينَ إذا قيـل عَلِـقْ(٦)**
وذي سـكونٍ قـد قضـي * وخـافقٍ فيـه رمَـقْ**
كـذلك الأرزاقُ مـن * صَـفْوٍ حميـدٍ ورَنَـقْ(٧)**

---

(١) من الرجز . ديوان السري الرفاء ، ص ٤١٧.

(٢) حزق: جماعات

(٣) السرق: الحرير المُوَشَّى

(٤)الوهق: حبل في طرفه أنشوطة يطرح في عنق الدابة حتى تؤخذ

(٥) الحر: الصقر والبازيّ . ملكة : مملوك

(٦) الحائر: المتحير: . يفري : يقطع ، علق: أي علق بالشرك

(٧) من مجزوء الرجز. ديوان السري الرفاء ،ص٣٢٢

ومن شعراء الحمدانيين الذين أولعوا بطيور الطرد ، أبو الفرج الببغاء ، وكان ولعه بالجوارح العنيفة العنيدة مثل (العقاب) و(الزمج) [١]، فكلاهما يصيد في الجو كما يصيد علي الأرض. حتى أن العقاب ربما صادت حمار الوحش علي قوة جسمه ، وضخامة هيئته. كما أن هذه الجوارح إذا رأت سباع الطير قد صادت شيئاً ، انقضت عليها فتتركه لها وتنجو بنفسها. و متى جاعت العقاب لا يمتنع عليها الذئب. ويصف الببغاء العقاب و صفتها وتفضيلها علي غيرها ، فيقول:

مـــا كـــلُّ ذاتِ مَخْلَـــبٍ ونـــابِ * مـــن ســـائر الجـــارحِ والكـــلابِ**
بمُـــدْرِكٍ فـــي الجـــدِّ والطِّـــلابِ * أيســـرَ مـــا يُـــدرك بالعُقـــابِ**
شـــريفةُ الصِّـــبغةِ والأنســـابِ * تطيـــرُ مـــن جَناحهـــا فـــي غـــابِ**
وتســـترُ الأرض عـــن السَّـــحابِ * وتحجـــبُ الشـــمس بـــلا حجـــابِ**
يظـلَ منهـا الجـوُّ فـي اغتـرابِ * مُستوحشـــاً للطيـــر كالمُرتـــابِ**
ذكيـــةٌ تنظـــرُ مـــن شـــهابِ * ذاتُ جِـــرانٍ واســـع الجِلْبـــابِ[٢]**
ومنكـــبٍ ضـــخْمٍ أثيـــثٍ رابـــي * ومنْسِـــرٍ مُوَثـــقَّ النِّصـــابِ[٣]**
وراحتـــى ليـــثِ شـــري غِـــلاّبِ * نيطـــتْ إلـــي بـــراثنٍ صِـــلابِ**
مُرْهَفـــةٍ أمضـــي مـــن الحِـــرابِ * وكـــلُّ مـــا حلُّـــق فـــي الضَّـــبابِ**
لمُلْكِها خِاضـعةُ الرِّقابِ[٤].

كان الشاعر محمود بن الحسين كشاجم ، من أكثر شعراء بني حمدان قولاً في الطرد ، وأدقهم وصفاً لجوارح الطير ، فقد كان عالماً بها، خبيراً بأحوالها وأنواعها وأمراضها ، ملماً بطريقة تدريبها ، فألف في ذلك كتاب" المصايد والمطارد" والذي يعتبر درة فريدة اختصت بالطرديات والصيد.

ومن جوارح الصيد التي وصفها كشاجم " الباشق"[٥]. وهو صغير المنظر ثقيل المحمل ، طويل الساقين والفخذين ، عظيم السلاح بالنسبة إلي جسمه.

---

(١) الزمج: طائر يصطاد به ، يميل لونه إلي الحمرة.

(٢) جران ، جران البعير: مقدم عنقه من مذبحة إلي منحرة والجمع جرن . وكذلك من الفرس الجلباب: الملحفة.

(٣) الأثيث: الكثير والعظيم من كل شيٍّ

(٤) من الرجز: شعر الببغاء ، ص ٥٧.

(٥) الباشَقُ: اسم طائر ، أعجمي مُعَرَّب؛ لسان العرب: ابن منظور ، مادة: ب . ش . ق ، ج٢ ، دار صادر ، بيروت: ط١ ، ٢٠٠٠م.

والشاعر حين يصف الباشق لا يكاد يخلو بيت من أبياته من تشبيه لطيف. حيث يقول:

يـا ابـن الخلائـقِ مـن ذُؤابـةِ هاشـمِ * فـي ذروةِ الحسـبِ المُنيـف الشـاهِّقِ**
يسـمُو فيخفـي فـي الهـواءِ وينكفـي * عَجْـلاً فينقضُّ انقضـاض الطّـارقِ**
وكــأنّ جُؤجُــؤهُ وريــشَ جناحــهِ * خُضِـبَا بـنقشِ يـدٍ الفتـاةِ العـاتقِ**
وكأنّمــا ســكن الهــوى أعضــاءهُ * فأعــارهُنَّ نُحُــولَ جسـمِ العَاشــقِ**
ذامُقلــــةٍ ذهبيــــةٍ فــــي هَامــــةٍ * محفُوفَــةٍ مــن ريشــها بحــدائقِ**
ومخالــبٍ مثــل الأهِلّــةِ طالمــا * ادْمَــين كــفَّ البازيــارِ الحــاذِقِ**
وإذا انبــرى نحــو الطّريــدة خِلْتَــهُ * كـالرّيحِ فـي الإسـراع أو كالبـارقِ**
وإذا دعــــاهُ البازيــــارُ رأيتَــــهُ * أدنــى وأطـوعَ مـن مُحِـبٍّ و أمِـقِ**
وإذا القطــاةُ تَحّــلَقتْ مــن خوفــهِ * لم تَعْدُ أن يَهْوى بها من حَالقِ[1].**

ولعل من أهم ما يلاحظ في شعر المطارد عند الحمدانيين ، أنه كان متفاعلاً مع البيئة التي عاش فيها ، وأنه كان لون من ألوان الترف الشعري ، وكانت تغلب عيه الصبغة القصصية. وكان يصاغ في اغلب الأوقات علي بحر الرجز الذي يتفق مع السرعة والعجلة المطلوبة. وكثرت فيه التشبيهات لأن طبيعة الوصف كانت غالبة عليه. وأخيراً فإن أكثر الجوارح المطاردة تكاد تكون جميعها وصفت عند الشعراء الحمدانيين، وقد تفوقوا في ذلك علي سواهم ممن سبقوهم من شعراء العصور الخالية.

(١) من الكامل . ديوان كشاجم ، ص ٢٩٢.

أما الرياضات والألعاب البريئة فكانت كثيرة ، فمن ذلك سباق الخيل [١]. وسباق الحمام الزاجل [٢]. ولعبة الصولجان. ونجد من اهتمام الحمدانيين بالخيل ، حمل بديع الزمان الهمداني علي وضع " المقامة الحمدانية " بيّن بها كلف سيف الدولة بالخيل ، وأنه قُدم إليه فرسٌ جميلٌ، وقال لجلسائه: " أيكم أحسن صفته جعلته صلته". فذكروا له أبا الفتح الأسكندري ، فأحسن صفته وأعطاه الفرس[٣].

ومن أنواع الرياضات العقلية لعبة الشطرنج، والمشهور أنها اختراع هندي [٤]. وهي رياضة عقلية شبه عسكرية. ولقد وصف السري الرفاء الشطرنج وأدواته، وبين أن هذه الأدوات تشبه كتيبتين متخاصمتين قد أشعلتا حرباً بينهما، وشبه الأدوات السود منه بالزنج، والأدوات البيض منه بالروم. وشبه تبديل أداة بأداة بشجاعين يختل الواحد منهما الآخر، ويلتمس منه مقتلاً، كأنهما صاح ونشوان. فيقول:

وكتيبتـــا زَنْـــجٍ وروم أذْكَتـــا * حَرباً يَسُلُّ بها الذّكاءُ مَناصِلا[٥].**
فـي مَعـركٍ قسَـم الـنِّـزالُ بقاعـه * بـــينُ الكُمـــاةِ المُعلمـــين منـــازلا**
لـــم يَســـفَحا فيـــه دمـــاً وكأنّمـــا * رَشَـــحا الـــدِّماءَ أعإليـــاً وأســـافِلا**
يبـــدي لعينـــك كلّمـــا عِاينتـــه * قِـــرَنين جَـــالا مُقـــدِماً ومخـــاتلا**
فكـــأنَّ ذا صـــاحٍ يســـيرُ مُقَوَّمـــاً * وكـــأنّ ذا نشـــوانْ يخطـــرُ مـــائلا**
أعجبْ بهـا حربـاً تُثيـرُ إذا التظـت * فضَـل الرَّجـال ولا تُثيـرُ قسـاطِلا[٦]**

وانتشرت لعبة النرد (الطاولة) بين محبذ ومتذمر منها. ويقال أن واضعه أراد بـه تمثيل الحياة، فرقعته تقابل الأرض المبسوطة لسكانها، ومنازله الأربع تقابل الطبائع الأربع، وخطوطها وهي أربعة وعشرون تقابل ساعات الليل والنهار، وبيادقه (حجارته) الثلاثون تقابل عدد أيام الشهر ، واختلاف ألوانها بين البياض والسواد

---

(١) الوزراء والكتاب: الجهشياري، تحقيق: مصطفي السقا وآخرون ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، بدون تاريخ، ص٢٠٧.

(٢) الأغاني ، ج١٤ ، ٣٤.

(٣) تاريخ الموصل: سعيد الديوحي : مطبوعات المجمع العلمي العراقي ،بغداد: ١٩٨٢م ، ج١،ص ٢٣٤.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: د. حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط١٣، القاهرة ، ١٩٩١م ، ج٣، ص٤٦٠.

(٥) يصف الشطرنج بحربٍ ، سلاح اللاعبين فيها ذكاؤهم ، المناصل: السيوف.

(٦) من الكامل . ديوان السري الرفاء ، ص ٣٦٠.

تقابل اختلاف الليل والنهار ، وفَصَّاه (الزهر) يقابلان القضاء [١]. وهو من اختراع الفرس[٢].

فنجد الشاعر الحمداني كشاجم يكتب إلي صديق له يذم النرد بقوله:

أيُّهـــا المُعجـــب المُفـــاخرُ بـــالنَّر * ـــد ليُزهـــي بـــه علـــي الإخـــوانِ**
قـد لعمـري حرصـتُ جُهـدي علـي قَمْـ * ـــركَ لـــو لـــمْ تُواتـــكَ الفَصّـــانِ**
غيـــر أنّ الأريـــبِ يَكذبـــهُ الظَّنْـــ * ـــنُ وُيْمنَـــي بشـــدّة الحرمـــانِ**
ولعمـــري مـــا كنـــتُ أوّل إنســـا * ـــن تمنّـــي وأخلفتـــهُ الأمـــاني**
وإذا جـــاءت القضـــاةُ بحُكـــمٍ * لم يحدْ عن قُضاتها الخَصْمانِ[٣]**

ومجمل القول أن أهل العصر الحمداني نالوا حظاً من المسرات واللهو البريء ، ومثلت الطرديات والألعاب البريئة جزءاً منها ، كما كانت هناك ألعابٌ ذهنية وأخرى بدنية تصور الحضارة والمدنية والرقي لمجتمع بني حمدان.

---

(١) الديارات . الشابشتي ، ص١٩٩.

(٢) تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص ٤٦٠.

(٣) من الخفيف ، ديوان كشاجم ، ص ٤٩٧.

الفَصْلُ الثّالِثُ

اللّهو و المُجُون والْغَزلُ والمُوسِيْقَي

اللهو والخلاعة ضروباً ليس للعرب بها سابق معرفة، ولا سالف ممارسة، فعرفوا الخمر ومجالسها، وتفننوا في ذلك . كما رأينا في فصل الخمر والديارات . وعرفوا حب المرأة وتغزلوا فيها غزلاً مكشوفاً مفضوحاً ، وعرفوا غزل الغلمان ومحبة الذكران . مما لم يكن للعرب به علم . ثم كانت ثالثة الأثافي الزندقة والإلحاد والاستخفاف بالدين والقيم الدينية يمزجون ذلك باللهو والمجون [١].

ونجد هذا من تأثير ثقافة الفرس في الحياة العربية والإسلامية. ورأينا اشتهار الفرس بالمجون وحبهم لحياة اللهو، وحرصهم علي إقامة الموائد المبالغ فيها للأكل والشراب واللهو والسماع في جميع الأوقات حتى وهم يمارسون الأمور والشؤون الجادة كالحرب والقتال [٢].

وشعر الغزل عند الحمدانيين ممتع ورقيق، وقال الشعراء فيه أبياتاً رائعة جميلة ، وصاغوه أبياتاً تصور تصويراً حسناً ، مقرونة بالصنعة اللفظية والمعنوية يقول أبو فراس الحمداني في ذلك:

قَمـــــرُ دونَ حُسْـــــنةِ الأقمـــــارُ * وكَثِيـــبٌ مِـــنْ النّقـــا مُســـتعارُ**[٣]

وغـــــزالٌ فيـــــه نِفـــــارٌ ولابِـــــدْ * عَ فَمِـــنْ شِـــيمَةِ الظّبَـــاء النّفَـــارُ**

لا أُعاصـــيه فـــي اجتـــراحِ المعاصـــي * فـــي هـــوى مِثلـــهِ تطِيـــبُ النّـــارُ**

قـــد حَـــذِرْتُ المِـــلاحَ دهْـــراً ولكـــن * ســـاقني نحـــو حُبّـــهِ المِقْـــدارُ**[٤]

---

(١) الثقافات الأجنبية في العصر العباسي، ص ٢٤٢.

(٢) نفسه ، ص ٢٤٣.

(٣) كثيب من النقا: كثيب الرمل المتهدل ، وفي قوله كناية عن الردفين

(٤) من الخفيف . ديوان أبي فراس الحمداني: د. يوسف شكري فرحات:، دار الجيل، لبنان ، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٦١.

والسري الرفاء لم يفته أن يتغزل بالراهبات، فيسير إلي الأديار التي كانت بظاهر حلب والرِّقّة، ويسترق البصر إلي هؤلاء المتبتلات الجميلات، فمن قوله في راهبة:

قامت تَثَنَّي بين أترابها * وفائحُ العنبرِ منها يَفوحْ**
راهبةٌ لله في نُسوَةٍ * قد أُلبستْ قُضبَ اللُّجينِ المُسُوحْ[1]**
كأنّها إذ سَفرتْ روضَةٌ * ألبسَها الزَّهد صبيحاً مَليحْ[2]**
لو لاك لم أمشِ إلي بِيعةٍ * ولو مشَى حوْلاً إليَّ المَسيحْ[3]**

ومن أبيات الغزل التي ضمنها الوأواء الدمشقي الشكوى الرقيقة واللوعة المبرحة، في روح خفيفة وحوار ممتع في قوله:

باللهِ ربِّكُما عُوجا علي سكَني * وعاتباهُ لَعلَّ العتبَ يَعْطِفُهُ**
وعرِّضا بي وقُولا في كلامِكُما * ما بالُ عبدِك بالهجران تُتلِفُهُ**
فإنْ تَبسَّم قُولا عن مُلاطَفةٍ * ما ضرَّ لوْ بوصالٍ منك تُسْعِفُهُ**
وإنْ بدا لكُما مِنْ سيِّدي غَضَبٌ * فَغالِطاه وقُولا:ليس نَعرفُهُ[4]**

ونجد هذا الغزل غزلاً طبيعياً، وهو التغني بجمال المرأة، وعشقها ، وهو نابع من هذه الغريزة الإنسانية ، في حُبّ الرجل للمرأة ، وحُبِّ المرأة للرجل والهُيام به. وفي القرن الرابع الهجري، ازدهرت الموسيقي ، وابتكرت بعض آلاتها ، وذاع العزف والرقص بين النساء والرجال ، وإقامة مجالس الرقص في منازل العامة ، بعد أن كانت مقصورة علي قصور الخلفاء والأمراء.

وظهر نوع من المجون والخلاعة في هذه المجالس، لم تكن المرآة العربية الحرة، هي موضوعه ، وإنما كانت هي الأمة والجارية والقينة ، هندية أو رومية أو فارسية، أو غير أولئك من الأجناس الكثيرة التي كان تعجّ بها دار الإسلام آنذاك [5].

---

(١) المُسُوح ، مفردها مِسْح ، كِساء من الشَّعر يُلبس تقشُّفاً وقهراً للجسد.

(٢) الصبيح: الوضئ الوجه

(٣) البيعة: المعبد للنصارى واليهود، من السريع . ديوان السري الرفاء ، ص١٢٤

(٤) من البسيط . ديوان الوأواء الدمشقي ، ص ١٤٧.

(٥) الثقافات الأجنبية في العصر العباسي ، ص٢٥٦.

ولم تزل القيان عند الملوك من العرب والعجم علي وجه الدهر. وكانت فارس تعد الغناء أدباً ، والروم فلسفة [١].

ولقد سجل لنا الشعر الحمداني تلك الظاهرة الاجتماعية الجديدة ، ومن ذلك قول ابن نباته السعدي مضمناً في مُغنٍّ عوّاد:

غَنـي علـي العـودِ شـادٍ سـهمُ نـاظرِهِ * أمسـي بـه قلبـي المُضْنـي علـي خَطرِ**
دنـــا إلـــي وجســـتْ كفـــه وتـــراً * فراحـت الـروحُ بـين السـهمِ والـوترِ[٢]**

ويصف لنا الشاعر كشاجم مجلساً من هذه المجالس المرحة في منزل قينة من ربات الموسيقي والفن ، ويصف القيان العازفات ، فهذه تشدو علي عودها ، وتلك تعزف علي قيثارتها ، وثالثة تداعب ربابتها ، ورابعة تهمس بشفاهها إلي نايها ، فيكتمل الأنس ويعّم السرور ، وتسود البهجة المنبعثة من العزف والعازفات، حيث يقول:

ومنـــزلِ قينـــةٍ ســـهل الجنـــاب * تضـــمّنَ كُـــلَّ آنســـةٍ كَعـــابِ**
غـــذتها نعمـــةٌ ولذيـــذُ عـــيشٍ * فأنبـــتَ صـــدرها ثمـــرَ الشـــبابِ**
فمـــن عَـــوادةٍ تشـــدُو وأخـــرى * بمعزفـــــةٍ وأخـــــرى بالرَّبـــــابِ**
ومُحســـــنةٍ مُوَقِّعـــــةٍ بطبـــــلٍ * كَصـوت الرعـد مـن خَلَـلِ السّـحابِ**
وشـــــافعةٍ صَـــــواحبَها بنـــــايٍ * أحـنَّ مـن الخليـع إلـي التّصـابي[٣]**

ولا يقف القول بكشاجم عند هذا الحد من وصف القيان وعزفهنَّ ،و إنّما يصور لنا الحياة المجانة الطروب. التي كانت تسيطر علي تلك المجالس ، وداخل هذه المنازل ، وما كان يجري بين المختلفين إليها وبين القيان من مُغازلاتٍ ومُداعباتٍ ومحاوراتٍ غرامية ، من عشقٍ وصدٍّ ووصالٍ وعتاب ، فيقول:

أُوصـــلُ هـــذه فَتغـــارُ هـــذي * وَتَعْتِـــبُ أو تُعـــرِّضُ بالعتـــابِ**
وأُخـــرى بيننـــا بالكُتـــب تســـعي * مُكاتِمـــــةً وترجـــــعُ بـــــالجوابِ**
فمـــا إن رُمتُـــهُ حتـــى تـــولَّى * بـــذات يـــدي و أودي باكتســـابي[٤]**

---

(١) رسائل الجاحظ: د. علي أبو ملحم: ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م، ص٧٢.

(٢) من البسيط . ديوان ابن نباته السعدي ، ج٢ ، ص ٦١٥.

(٣) من الوافر . ديوان كشاجم ، ص ٣٠.

(٤) رمته: من رام يريم ، برح وزال ، من الوافر . ديوان كشاجم ،ص ٣١.

ونري في البيت الأخير كيف كانت هذه المنازل مصائد للشباب وطلاب الهوى، يفقدون فيها أموالهم، وينثرون بها ذهبهم ، حتى إذا ما انتهي الليل أو كاد، خرج الشاب صفر اليدين ، مقفر الجيب خالي الوفاض. وتلك ظاهرة شاعت في مثل هذه المنازل في القرن الرابع. ولم يكن العزف والرقص وقفاً علي النساءِ وحدهنَّ، بل إنّ الرجال أنفسهم شاركوا في الرقص، ووجد بينهم من احترفه وحذقه وبرع فيه.

وهذا شاعرنا السّريّ الرفاء يصف راقصاً اسمه " فارس" فيقول:

أفارسُ أنت أحسنْ من تثّني * علي صنجٍ وأملحُ من تلوَّي**
أُصيبَ العيشُ منك بخير حادٍ * يَحُثَّ ركائبَ الصّهباء حَدْوا**
إذا اختلجت مناكبه لرقصٍ * نزَت طيرُ القلوبِ إليه نَزْوَا[1]**
فمُقتبسٌ من المصباح نوراً * ومُغترفٌ من التَّيار صَفْوا**
ليالٍ بالمعازف منك تُنضي * وأيامٌ بِحثِّ الرَّاح تُطوى**
قعدتَ وكم نهضتَ إلي التَصابي * بنقر الدُّفِّ تُوسعُ فيه خطْوا[2]**

وهكذا سجل لنا شعراء القرن الرابع والدولة الحمدانية علي وجه الخصوص، ما كان عليه الغناء والمغنون، والمغنيات ومستمعيهم، مما يدل علي أن هذه الظاهرة التي ظهرت . علي نطاق ضيق فيما يبدو . وجدت دراسة و متابعة من الشعراء، كظاهرة اجتماعية ظهرت إبان ذلك العهد.

---

(١) نزا: وثب.

(٢) من الوافر . ديوان السّريّ الرفاء ، ص ٤٦٧.

البَابُ الثّالثُ

الدِّراسةُ الفَنّيةُ

الفصل الأول: أبنيةُ القصائدِ.

الفصل الثاني: اللغة والأسلوب.

الفصل الثالث: المعاني والأفكار والصُّور والأخيِّلة.

الفصل الرابع: الموسيقي والأوزان والقوافي.

الفَصْلُ الأوّلُ

أبنيةُ القصَائدِ

لقد نال بناء القصيدة العربية، اهتماماً كبيراً من أهل الأدب والنقد ، فقد وقفوا عند مطلعها ، والانتقال والتخلص، إلي الغرض الذي يرمي إليه الشاعر. كما وقفوا عند خاتمتها ، ونضيف إلي ذلك الوحدة العضوية للقصيدة. وهم بذلك يحددون الطريقة والسبيل الذي ينبغي أن يتبع في بناء القصيدة.

لذلك علينا أن نقف أمام هذه القضايا ونصفها ، ونقسمها إلي:

(أ) مطلع القصيدة:

عني معظم النقاد العرب بمطلع القصيدة العربية عناية بالغة الأهمية ، و ذلك لأن الشعر كما يقول ابن رشيق: ((حسن الافتتاح داعية الانشراح ، و مطية النجاح ، ولطافة الخروج إلي المديح بسب ارتياح الممدوح ، وخاتمة الكلام ابقي في السمع ، وألصق بالنفس ، لقرب العهد بها)) [١].

وكانوا حريصين علي جودة المطلع، لأنه أول ما يطرق السمع من الكلام ، ويكون له أثر في نفس سامعه. (فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعني توافرت الدواعي علي استماعه) [٢].

ويوجه أبو هلال العسكري لتجويد المطلع حتى لا يكون مدعاة لتطيُّر وتشاؤم السامع، فيقول:(ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ، ومُفْتتح أقواله ، مما يُطير منه ويُسْتجْفي من الكلام والمخاطبة والبكاء ، ووصف إقفار الديار ،وتشتيت الأُلاّف ،و نعي الشباب وذم الزمان، لا سيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني) [٣].

---

(١) العمدة في محاسن الشعر ونقده . ابن رشيق القيرواني ، ج ١، ص ٢١٧

(٢) المثل السائر: في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير . تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر : مصطفي البابلي الحلبي ، مصر ، طبعة ١٩٣٩م ،ج٢، ص ٢٣٧.

(٣) الصناعتين: أبو هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر ، عيسي الحلبي ، طبعة ١٩٥٢م. ص ٤٣١.

وللعرب مذهبان في مقدماتهم: الأول هو الابتداء بذكر الغزل والنسيب ، و ذكر الديار والدمن ، وقد أشار إليه ابن قتيبة بقوله: (سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة ، إنما ابتداء فيها بذكر الديار ، والدمن والآثار ، فبكي وشكي وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين فيها) [١]. وأما المذهب الثاني فإن أصحابه (يكافحوا أغراض القول كفاحاً من دون تقديم بين يديهما) [٢].

بناءاً أعلي ما تقدم فقد أمتدح النقاد بعض المطالع، وعدوها نموذجاً يحتذي به الشعراء في مطالعهم. فمن ذلك قول النابغة الذبياني.

كليني لهمٍّ يا أميمة نا صبِ * وليلٍ أقاسية بطئ الكواكبِ**[٣].

وأيضاً مطلع معلقة إمرئ القيس:

قِفا نَبْكِ من ذكري حبيبٍ ومنزلِ* بسِقْطِ اللَّوى بين الدّخولِ فحوملِ**[٤].

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر، لأنه وقف واستوقف، وبكي واستبكي ، وذكر الحبيب والمنزل في مصرع واحد[٥].

وسار شعراء الحمدانيين علي نهج أسلافهم ، وخاصة في المدح ، وبعض الأغراض الأخرى . فمن ذلك قول أبو الطيب المتنبي حيث يمدح سيف الدولة ، ينهج سبيل الأقدمين في استهلال أغلب قصائده ، بذكر الأطلال والوقوف عليها طويلاً ، فمن قوله في إحدى مدائحه:

أجاب دمعي وما الدّاعي سوي طللِ * دعا فلبَّاهُ قبل الرَّكبِ والإبلِ**
ظللتُ المنّوى. بين أصيحابي أكفكفهُ * وظلَّ يسفح بين العُذر والعذلِ**
أشكو ولهم من عبرتي عجبٌ * كذاك كانتْ وما أشكو سوى الكللِ**[٦]

---

(١) الشعر والشعراء: محمد بن مسلم بن قتيبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت: طبعة ١٩٨٤م ، ص ٢٧.

(٢) المرشد إلي فهم أشعار العرب ، د/ عبد الله الطيب ، ج٣ ، ص ٨٦٩.

(٣) كليني: دعيني . أتركيني ، ناصب: منهمك . من الطويل . ديوان النابغة الذبياني . شرح وتقديم: عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان : ط١ ، ١٩٨٤م. ص ٢٩.

(٤) السّقط : المنقطع الرمل . اللّوى : حيث يتلوي ويرق ، الدّخول وحومل: موضعان . من الطويل ، ديوان أمرئ القيس ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف . مصر ، ط٤ / ١٩٦٩م. ص ٨.

(٥) العمدة : ابن رشيق القيرواني ، ج١ ، ص ٢١٨.

(٦) من البسيط . ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج٣ ،ص ٧٤.

يقول المتنبي إنه وقف علي منازل محبوبته ، فشجاه ما شاهد من رسوم دراسة واستدعي ذلك بكاه. ويقول ظللت أكفكف الدموع خوفاً من لوم أصحابي ، ولكن دمعي أبي إلا أن يسيل ، وأصحابي بين عاذر لي وعاذل ، وهم يتعجبون من بكائي للفراق ، ولا عجب في ذلك ، فإني علي مثل ما يرون حين كانت المحبوبة بجواري ، لا يجبها سوى الستر.

ينتقل المتنبي من ذكر الأطلال إلي الحديث عن هذه الحبيبة الممنعة في قومها بالسيف والرماح ، ويقول إن هجرها أقتل له من سلاحهم ، فإذا كان مقتولاً بالهجر لم يبال بعده بالسلاح، خاصة أن محبوبته محبوبة في قومها منيعة فيما بينهم ، وأنه يأس من الوصول إليها ، فيقول:

وما صَبابةُ مُشتاقٍ علي أملٍ * من اللّقاءِ كمشتاقٍ بلا أملِ**
متى تَزُرْ قومَ من تهوى زِيارتها * لا يُتْحِفوكِ بغير البيض والأسلِ**
والهجرُ أقتلُ لي ممّا أُراقبهُ * أنا الغريقُ فما خوفي من البللِ**
ما بالُ كُلِّ فُؤادٍ في عشيرتها * به الذي به وما بي غيرُ مُنتَقِلِ**[1]

ثم يربط الشاعر هذه المقدمة بالمديح، ربطاً جميلاً موفقاً، بحيث لا نشعر أنه انتقل انتقالاً مفاجئاً، إذ يقول:

جادَ الأميرُ به لي في مواهبهِ * فزانها وكساني الدرعَ في الحُللِ**
وَمِنْ عليّ بنِ عبد الله معرفتي * بِحَمْلِهِ مَنْ كعبد الله أو كعَلي** [2]

ينتقل الشاعر لمدح قوة الأمير وحُسن بلائه في الروم، فالزمان يضيق عن فخامة قدره، والأرض كذلك تضيق عما يحمِّلها من جيوشه، و المسلمون في فرح بانتصاره، والروم في خوف منه لغاراته وغزواته، و البر في شغل بجيشه ، والبحر رمز الجود والكرم خجل من ندى كفيه.

حيث يقول المتنبي:

ضاق الزمانُ ووجه الأرض عن مَلِكٍ * مِلْء الزّمانِ ومِلْء السَّهلِ والجَبلِ**
فنحنُ في جَذَلٍ والمرّوحُ في وَجَلٍ * والبرُّ في شُغُلٍ والبحرُ في خَجَلِ** [1]

---

(١) نفسه ،ص ٧٦.

(٢) نفسه ، ص ٧٩.

من شعراء المدح البارزين في البلاط الحمداني ، أبو العباس أحمد بن محمد النامي، وكانت منزلته عند سيف الدولة ، تلو منزلة المتنبي. ولقد استهل بعض قصائد المدح بالنسيب كأبي الطيب ، فقال في قصيدة يمدح بها سيف الدولة:

إلـمـامـةٌ بـمغانـي دارهـ لـممُ * إذ لا أمامـة فـي دارٍ لهـا أمـمُ**
بـأيّ حـكمٍ لأيـام الـفـراق نـأتْ * بناعـبٍ كاعـبٍ والبـين يحـتكمُ**
عـقلت عـيساً كـأنّـي كـنت حـاسدهـا * بـدار سـلمي وتـرب الـدار مسـتلمُ**
إحدى الحسان أساءت بي وقد صرمت * يوم الحمى وهواها ليس ينصرمُ(٢)**

ثم يربط الشاعر هذه المقدمة بالمديح ربطاً جميلاً حسناً. فيقول:

كـأنَّ قـلبي مـعارٌ لـلنوى جـزعـاً * مـن قـلـب قـرن علـيَّ وهـو منهـزمُ**
كـأنّـه أجـلٌ أو طـرفـه وجـلٌ * أو سيفه قدرٌ في الروح يحتكمُ(٣)**

الملاحظ في هذا المقدمات الغزلية، أنها تتفاوت في الطول والقصر ، و يشير ذلك إلي الصلة الوثيقة القائمة ، بين مقدمة القصيدة وغرضها، تلك الصلة التي تستحضرها الحالة النفسية للشاعر(٤).

ونجد أن بعض شعراء ذلك العصر، قد هجموا علي الغرض مباشرة، دون المقدمات الغزلية.

فالمتنبي قد تخلي عن ذكر الغزل والأطلال، في بعض القصائد ومدح سيف الدولة بقوله:

لكُلِّ امرئٍ من دهره ما تعوَّدا * وعاداتُ سيف الدولة الطَّعنُ في العِدا**
وأنْ يُكذب الإرجاف عنهِ بضدِّهِ * ويُمسي بما تنوي أعاديه أسْعد(٥)**

---

(١) الجذَل: الفرح بالتحريك . الوجل: الخوف . من البسيط ديوان أبي الطيب ، ج٣ ، ص ٨٠.

(٢) من البسيط . يتيمة الدهر، ج١ ، ص ٢٨١.

(٣) نفسه

(٤) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، د/ حسن عطوان ، دار المعارف . مصر ، طبعة ١٩٧٠م ، ص ١٧٩.

(٥) الإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس.

وربَّ مُريدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ * وهادٍ إليه الجيشَ أهدي وما هَدي**
ومُستكبرٍ لم يَعرفِ اللهَ ساعةً * رأي سيفهُ في كفِّهِ فَتَشهَّدا** (١)

ومحور الأبيات و مقصدها يدور حول وصف سيف الدولة بالشجاعة الفائقة، و لكن قدرة الشاعر وتمكنه، تلعبان دورهما في الصياغة والتعبير، فهو يجعل من ضرب سيف الدولة لأعاديه عادة من عاداته اللازمة لشخصه، وهو سعيد بنيات أعدائه التي لا تخرج دائماً عن تجهيز الجيوش للنيل منه ، ولكنه دائماً قرير العين بهذا اللقاء لثقته بالنصر، فهو سعيد كلما انتوي أعداؤه ملاقاته لإظهار فتوته وقوته وشجاعته وجبروته، ويفصح المتنبي في هذا المعني فيذكر أن من أراد إيقاع الضرر بسيف الدولة ، لا يضر إلا نفسه ، لأنه غير قادر علي هزيمته ، بل إن قائد الجيش كثيراً ما يحرم شرف القيادة المظفرة ، لأنه يقدم جيشه هدية سهلة ، ولقمة سائغة لذلك البطل المغوار. ويمعن المتنبي في إظهار قوة سيف الدولة وشجاعته ، فيصور المتصدي له رجلاً فظَّاً غليظاً لا يعرف الله لكثرة ما يسفح من دماء ، فإذا ما رأي السيف في قبضة سيف الدولة عاد إلي صوابه وذكر الموت المحتم ، فنطق بالشهادتين.

وأيضاً من الذين أهملوا الأطلال في بعض قصائدهم، أبو فراس الحمداني، فتراه في قصيدته التي تحدث فيها عن الخلاف بينه وبين قومه ، وكيف رأي نفسه غريباً بينهم. و قد دعاه هذا الموقف إلي الحديث عن الصداقة والأصدقاء ، وهذا حديث مرتبط بموقفه الذي ألفي نفسه عليه ، ولهذا نجده يستهل قصيدته بالحديث عن ذاك الخلاف مباشرة ، تاركاً المقدمات جانباً . فيقول:

أراني وقومي فرّقتنا مذاهبُ * وإنْ جمعتنا في الأصُول المناسبُ**
فأقصاهُمُ أقصاهمُ من مساءَتي * وأقربُهم ممّا كرهْتُ الأقاربُ**
غريبٌ وأهلي حيثُ ما كرَّ ناظري * وحيدٌ وحولي من رجالي عَصائبُ** (٢)

وخلاصة القول نري أن الشعراء من بني حمدان ، كانت المقدمات الغزلية لديهم في بعض قصائد المديح ، علي نهج أسلافهم. أما أغراضهم الأخرى ، فنراهم يدخلون مباشرة في الموضوع دون المقدمات الطللية.

---

(١) من الطويل . شرح ديوان المتنبي ،ج٢ ، ص ٣.

(٢) من الطويل . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٤٤

(ب) التَّخْلُّص والخُروج:

عندما كانت القصيدة العربية تحتوي علي موضوعات مختلفة، فقد اشترط النقاد علي الشعراء حسن الخروج، وذلك لكي تتماسك أجزاء القصيدة. وإن بعض النقاد القدامى ، قد رأوا أن القصيدة لا تكون عملاًُ أدبياً متكاملاً ، إلا إذا ترابطت أفكارها. فالشاعر القديم أنشد شعراً محدوداً بحدود وحدة البيت. وأنشد شعراً آخر غير محدود بوحدة البيت. ولكنه محدود بوحدة القصيدة من حيث موضوعها ، فلقد كانت الأبيات فيها مترابطة، بأخذ بعضها بحجز بعض، لأن التجربة والفكرة، كأن ماؤها يجري في ثنايا القصيدة[١].

وفرّق ابن رشيق القيرواني بين الخروج والاستطراد بقوله: (وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد ، وليس به ، لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلي مدح أو غيره بلطف تحيل ، ثم تتمادي فيما خرجت إليه) [٢].

وعند الوقوف علي شعر عصر الحمدانيين ، نجد أنهم قد أجادوا في التخلص والخروج ، كما برعوا في قوة المطالع وبراعة الاستهلال. فلقد استطاع الأمير أبو فراس الحمداني أن يحسن التخلص في الانتقال من الغزل إلي الفخر في تلك القصيدة الرائية الرائعة ، التي منحها ذوب نفسه ، وصبَّ فيها حرَّ عاطفته ، فمزج فيها بين الغزل والفخر . فيقول:

أراكِ عصيَّ الدّمع شيمتُكَ الصّبرُ * أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ** [٣]

بلي أنا مُشتاقٌ وعندي لوعةٌ * ولكنَّ مثلي لا يذاعُ لهُ سِرُّ** [٤]

إذا اللّيلُ أضواني بسطتُ يد الهدي * وأذ للتُ دمعاً من خلائقهِ الكِبْرُ** [٥]

تكادُ تُفي النَّارُ بين جوانحي * إذا هي أذكتها الصّبابةُ والفِكْرُ** [٦]

---

(١) النقد التطبيقي والموازنات، محمد الصادق عفيفي، مؤسسة الخانجي ، مصر ، طبعة١٩٧٨م. ص ٢٣٩.

(٢) العمدة: ابن رشيق القيرواني ، ج١ ، ص ٢٣٤.

(٣) عصي الدمع: ممتنعه

(٤) من الطويل ديوان أبي فراس ، ص١٦٢.

(٥) أضواني: أضعفني

(٦) الجوانح: الضلوع ، أذكتها: أشعلتها . من الطويل . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ١٦٢

ويصنع الشاعر بعد ذلك حواراً جميلاً بينه وبين حبيبته ، وقد صور نفسه في رداء جميل من العزة والصبابة معاً ، وصور حبيبته حسناء مدلّة بحبها ، غير عابئة بعشاقها ومغرورة بجمالها لكثرة الواقفين علي باب قلبها ، إذ يقول:

تُسائلُني مَنْ أنتَ وهي عليمةٌ * وهلْ بفتيً مثلي علي حاله نكْرُ**
فقلتُ كما شاءتْ وشاء لها الهوى * قتيلك قالتْ أيَّهُمْ فهُمُ كُثْرُ**
فقلتُ لها لو شئت لم تتعنَّتي * ولم تسإلي عَنّي وعندك بي خُبْرُ[١]**
فقالتْ لقد أزري بِكَ الدهرُ بعدنا * فقلتُ معاذ الله بل أنتِ لا الدّهْرُ[٢]**

وهكذا في الوقت الذي يذوب فيه الشاعر صبابة ، لا يتخلي عن عزته ، بل يفخر بنفسه وشخصيته حيث يقول: وهل بفتي مثلي علي حاله نكر. وهو في الوقت الذي يقبل منها الإمعان في الدلال الذي هوى به إلي مرتبة الإزراء ، يرفض أن يكون الدهر قد أزري به وحطَّ قدره ، وتلك هي شخصية أبي فراس التي تتحكم في كل ما يقول، وعزته التي تسيطر علي أغلب شعره ، ولو كان شعر العشق والغزل والهيام[٣].

ومن حسن التخلص وصف الشاعر كشاجم ((الطنبور)) [٤] وهو يمزج بين دقة الوصف ورقة النغم ، ويلائم بين طرافة الموضوع ، ومعاني الشعر . إذ يقول:

مُخطَفُ اللخَصْر أجوفٌ * جِيْدُهُ ضِعْفُ سائرِهْ**
لفظُهُ لفظُ عاشقٍ * يشتكي هجر هاجرهْ**
ذو لِسَانين فوقهُ * عَدّلا مِنْ مَقَادِرهْ**
أنطقتهُ يدُ امرئٍ * فاترِ اللّحْظِ ساحرهْ**
فحكي عن ضميرهِ * ما جري في خواطِرهْ[٥]**

---

(١) تتعنّتي: تطلبين أمراً فيه مشقَة

(٢) من الطويل . ديوان أبي فراس الحمداني ،ص ١٦٣.

(٣) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، د/ مصطفي الشكعة ،ص ٢٦٠.

(٤) الطنبور: آلة طرب ذات عنق طويل لها أوتار من نحاس.

(٥) من مجزوء الخفيف: ديوان كشاجم ، ص٢٠٠

وقد جمع كشاجم في وصفه الرائع للطنبور بين المادية والشاعرية ، فبينما هو يصف الطنبور وصفاً دقيقاً يعطي عنه صورة حسية ورسماً بارعاً ، إذبه يتغزل بعازفه الذي يضرب علي أوتاره غزلاً هادئاً لطيفاً ، وهو قبل ذلك كله يصف الطنبور بطول الجيد وبأنه حديث العشاق.

وقد أحسن الشاعر التخلص إذ أنه وصف آلة الطنبور، ويعتبر صاحب مدرسة في هذا المذهب،إذ أن هذا اللون من الشعر الذي تناول الأدوات والأجهزة، يعتبر فناً مستحدثاً في الأدب ، وقد جمع بين الطنبور وتغزله بعازفه.

ويلاحظ أيضاً في قصيدة كشاجم أنّ الأبيات ملتحمة، يرتبط سابقها بلاحقها وإنّ شعره يلتزم بوحدة الفكرة في قصيدته.

من ذلك أيضاً قول السري الرّفاء، في حسن الخروج والتخلص، وهو زخرف جري فيه علي عادة شعراء المديح. فقد رأيناه في أثناء المدح ينتقل بعد الوصف أو الغزل أو ما يشبه ذلك، إلي غرضه الرئيس. فمن قوله يمدح سيف الدولة:

وبِكْرٍ إذا جنَّبتها الجنوبُ * حسبتَ العِشارَ تؤمُّ العِشارا[1]**

تري البرقَ يبسمُ سِرّاً بها * إذا انتحبَ الرّعدُ فيها جهارا**

إذا ما تنمَّرَ وَ سميُّها * تعصفرَ بارِقُها فاستطارا**

يُعارضُها في الهواء النّسيمُ * فينثُرُ في الرّوض دُرّاً صِغارا**

فطوراً تَشُقُ جيوب الحياءِ * وطوراً تَسُحُّ الدُّموعَ الغزارا**

كأنَّ الأميرَ أعار الرُّبا * شمائلَه فاشتملنَ المُعارا[2]**

والناظر إلي حسن التخلص لدي شعراء العصر الحمداني ، يجد أنهم أحسنوا التخلص من الغزل إلي المدح أو غيره من الأغراض ، في شيء من التجانس والتسلسل ، دون أن يحدث نوع من الاضطراب أو الانقطاع ، فامتازت القصيدة . فيما نري . بوحدة الفكرة ، وسلامة النسج.

(ج) خاتمة القصيدة :

---

(١) البكر : أراد السحابة البكر ، أي الغزيرة ، العشار: النياق التي مضي علي حملها عشرة أو ثمانية أشهر.

(٢) من المتقارب ، ديوان السري الرّفاء ، ص ١٨٢.

اهتم الشعراء بخاتمة القصيدة مثل اهتمامهم بالابتداء والتخلص، وكل شاعر يبذل ما في وسعه لتكون خاتمة قصيدته جيدة حسنة. وينبغي أن تكون أواخر الأبيات في القصيدة حلوة المقاطع، توقن النفس بأنه آخر القصيدة، لئلا يكون كالنثر [١].

الانتهاء هو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقي منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكماً ، لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه. وإذا كان أو الشعر مفتاحاً له، وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه[٢].

ومن خاتمة القصائد الموقفة ، ما قاله كشاجم في قصيدته التي مدح بها علي حمزة الهاشمي[٣]. والتي يقول في مطلعها:

أُلــقي في حُبِّك القناعُ * وصــار كالرُّؤْية السَّماعُ[٤].**

حيث يختمها كشاجم بقوله:

جُـودُك ما إنْ لهُ انقطاعٌ* ومدحُـنَا مالهُ انقطاعُ[٥].**

ونري الشاعر يفتخر بكرم ممدوحه ، وافتخاره بمدحه.

لقد اهتم الشاعران الخالديان بخاتمة القصيدة إهتماماً بالغاً ، فقصائدهما محكمة جيدة ، وكثيراً ما يختماها بالحكمة ، كقول أبي عثمان الخالدي:

لا عار يلحقني أنّي بلا نَشَبٍ * وأيّ عار علي عينٍ بلا حَوَرِ**
فإن بَلَغتُ الذي أهوى فعن قدرٍ* وإنْ حُرمتُ الذي أهوي فعنْ عُذُرِ[٦].**

---

(١) البديع في نقد الشعر . أسامة بن منقذ . تحقيق: د/ أحمد أحمد بدوي و د/ حامد عبد الحميد ، الناشر: مصطفي البابلي الحلبي ، مصر، طبعة ١٩٦٠م، ص٢٨٧

(٢) العمدة: ابن رشيق القيرواني ، ج١ ، ص ٢٣٩.

(٣) لم اعثر له علي ترجمة

(٤) من مخلع البسيط ، ديوان كشاجم ، ص ٢٥٥.

(٥) نفسه، ص٢٦١.

(٦) من البسيط: ديوان الخالدين ، ص١٣٠.

ونجد القصائد أيضاً تختتم بصور تسع مدارك الخيال الخصب، لكنها تسد كل ما يجيش بهذا الخيال ، كقصيدة أبي عثمان الخالدي ، التي عدد فيها صفات غلامه " رشأ" وختمها بقوله:

ذا بعضُ أوصافه وقد بقيتْ * له صفاتٌ لم يحوها العددُ**[1].

ومن الملاحظ أن هذه الخواتيم تضمنت حِكماً و ثقافة ومعرفة ودراية جيدة بالسِّير والأخبار ، مما يدل علي أنها لم تخرج عن مقاييس الجودة والسبك.

(د) الوحدة العضوية:

إن القصيدة العربية شكلاً وهيكلاً ذات وحدة تامة مصدرها إطار موسيقي النسخ، ونفس حار ينبعث منه الإطار الموسيقي ، حتى يكون مفتاح التعبير له وسيلة تأتيه البيان[2].

يقول الجاحظ:(أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ أفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري علي اللسان كما يجري الدهان. وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشِّعر، تراها متَّفقة مُلْساً ، وليِّنة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفةً متباينة ، ومتنافرة مستكرةً ، تشقُّ علي اللسان وتكُدُّه ،والأخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة متواتية سلسة النظام ، خفيفة علي اللسان ، حتى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة ،وحتى كأن الكلمة بأسرها حرفٌ واحد[3].

ولنا وقفة مع بعض قصائد الحمدانيين في وحدة الموضوع. فالقصيدة عندما تتحدث عن أجزاء متحدة. ينتمي بعضها إلي بعض فتكتمل الصورة، كقصائد الطبيعة التي تتحدث عن الورد والنسيم والعبير، فتعدد هذه الأجزاء هو الباعث الرئيس لجمال الصورة ولطافتها ، كقول أبي بكر الخالدي في الطبيعة:

---

(١) من المنسرح: ديوان الخالديين ،ص ١٢٣

(٢) المرشد إلي فهم أشعار العرب . د/ عبد الله الطيب ، ج٣ ، ص ٨٣٥.

(٣) البيان والتبين . أبي عثمان بن بحر الجاحظ . تحقيق: عبد السلام هارون ، الناشر : مكتبة الخانجي . القاهرة ، طبعة ١٩٨٥م ،ج١، ص٦٧.

بِـقاعٍ ـ أشرقتْ فكأنَّ ـ فيها * ومـيضَ البـرقِ مـن فـرط البريـقِ**
و.أودية كأنَّ ـ الزهر فيها * يواقيـــتٌ تُفَصَّـــلُ بـــالعَقيقِ**
لها حصباءُ ـ كالكافورِ ـ بُثَّتْ * علـي تُربٍ خُلِقَنَ مـن الخلُـوقِ[1]**

وكذلك اتسمت قصائد الخمريات بالوحدة الموضوعية ، وأسلوب الحوار الذي ينتقل من الساقي إلي الخمر نفسها وحبابها ، وندمانها ، وكؤوسها ، كقول أبي بكر الخالدي:

ألا فاسْقني واللّيلْ قد غاب نُورهُ * لغَيْبـةِ بـدرٍ فـي الغمـام غريـقِ**
وقد فضح المظّلماءَ برقٌ ـ كأنّه * فُـؤادُ مشـوق مولـعٌ بخـفوقِ**
تُعاينُها نور.لً جَلاهُ تجسُّدٌ * ونشـربُها نـاراً بغيـر حـريقِ**
كأنَّ ـ حباب ـ المكأس ـ في جَنباتها * كواكـبُ دُرٍّ فـي سـماءٍ عَقيـقِ [2]**

وخلاصة القول أن هذه القصائد متماسكة ملتئمة الأجزاء ، وذات وحدة معنوية ، وأبيات مرتبطة بعضها ببعض ، مما يبيّن صدق وبراعة الشاعر.

---

(١) الخلوق: ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران . من الوافر ، ديوان الخالديين ، ص٧٣.

(٢) من الطويل . ديوان الخالديين ، ص ٧٤.

الفَصْلُ الثّانـي

اللُّغةُ والأُسلوبُ

اللغـة والأسـلوب همـا المكـون الأساسـي لعناصـر القصـيدة ومعمارهـا الفنـي ، فاللغـة وسيلة التعبير الطبيعية عن الأفكار والمعاني [١].

الأسـلوب يقصـد بـه الصـورة اللفظيـة التـي يُعبـر بهـا عـن المعـاني ، أو نظـم الكـلام ، أو تأليفه لأداة الأفكار ، وعرض الخيال. أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني[٢].

فاللغة هي الظاهرة الأولي التي ينبغي التوقف عندها طويلاً ، ونحن نتحدث عن الأدب ، لأن الأدب لا يمكن أن يتحقق إلا فيها ، فهي مادته الأساسية ، وعندما يفـرغ الأديـب مـن أداء كلماتـه يكـون فـي الواقـع قـد حقـق عملـه الفنـي فـي صـورته المستوية الكاملة[٣].

والأسلوب لا يبتعد كثيراً عن الأصل اللغوي، فهو ما يزال الطريقة والوجهة و المـذهب، ولكنـه انحصـر هـذه المـرة فـي الفـن بصـورة عامـة، فأصـبح يعنـي طريقـة التعبير ،ومنحـي الرجـل فـي صـياغة أدواتـه ووسـائله التعبيريـة. فالوسـائل تختلـف بـين الأديب والموسيقي والرسام، فأدوات الموسيقي هي اللحن، والنغم، وأدوا الرسام الألوان والأشكال والظلال، وأدوات الكاتب الألفاظ والعبارات والتراكيب. وبالتالي فإن أسلوب الكاتب . هو ما نهتم به في هذا المقام . يعني طريقة الصياغة وشكل التعبير، ووجه نظم الألفاظ و الجمل علي نسق معين ، فهو

---

(١) النقد الأدبي– أحمد أمين . الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت . طبعة ١٩٦٧م، ص ٧٤.

(٢) الأسلوب" دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية" أحمد الشايب . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . طبعة ١٩٦٦م. ص ٤٦.

(٣) الأسس الجمالية في النقد الأدبي: د/ عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ،ط١ ، ١٩٥٥م ، ص ٢٥.

إذن يتعامل مع الألفاظ والعبارات ، و يتعامل مع اللغة[١].

لقد جاءت لغة الشعراء الحمدانيين متناسبة مع الموضوع الذي يطرقونه ، وقد انقسم الشعراء علي فرقتين ، فرقة تتبع طريقة العرب الجاهلية والإسلامية أي تقول الشعر كما يقول أمراء الشعر المقدمون، في حماسة ورثاء وغزل ومدح، وفرقة انصرفت إلي نفسها وآثرت أن تلتفت إلي عيشها فجالت في موضوعات جديدة ، فتغنت بالفصول كلها ، والنَّور والزهر ، والثلج والمطر ، وبالحيوان ، وآلات الطرب[٢].

فحينما يتحدث الشعراء عن شعر الحرب والقتال و الجهاد ، تجد لغتهم قوية تتلاءم ألفاظها وحماسة الحرب ، وقوة أبطالها ، وصلابة كماتها ، وهي ألفاظ دالة علي المعني المراد ، كاشفة له دون التواء أو تعقيد. فهي لغة متلائمة وطبيعة الموضوع الذي ينشد فيه الشاعر، فنجد السيف والحديد والرمح والبيض والقنا والحرب والدخان والنقع والخيل والموت والأعداء والرجال والشجاعة والجبن ، وغيرها ، من الألفاظ الدالة علي جوِّ المعركة ونضال المعتركين[٣].

فمن ذلك أبيات أبي الطيب المتنبي التي قالها حين عزم الأمير سيف الدولة الحمداني علي لقاء الروم في " السبنوس" سنة ٣٤٠هـ وقد بلغه أن عدد أعدائه أربعون ألفاً من الرجال فتهيبهم أصحابه، فأنشد المتنبي أمام الجند هذه القصيدة محرضاً إياهم علي القتال، فردَّ إليهم الثقة وأثار فيهم الحماس، مما كان له الأثر الفاعل في اندفاعهم نحو الأعداء بقيادة سيف الدولة وتمكنهم من الإيقاع بهم والفوز بالظفر والنصر. فمن قوله يخاطب الجيش:

---

(١) دراسات في النقد الأدبي . د/ وليد قصاب ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٩٨٣م ، ص ٣٧.

(٢) قدماء ومعاصرون . سامي الدهان . دار المعارف . مصر ، طبعة ١٩٦١م ، ص١٤.

(٣) مع المتنبي في شعره الحربي: د/ هادي نهر- مطابع الجامعة المستنصرية، بغداد: ط١، ١٩٧٩م، ص٢٤٨.

نـزورُـ دـيـارـلَـ مـا نُـحِبُ لـها مَـغْنَي * ونسـألُ فيهـا غيـر سُـكانِها الإذْنـا**[1]

تـقودُـ إـلـيها اـلاَـخِـذَاـتِـ لـنا الـمدى * عليها الكُماةُ المحسنون بها الظَّنا**[2]

ونُصْفي الذ ي يُكني ا.با ا.لحسن الـهوى * ونُرضـي الـذي يُسْـمَي الإلّـه ولا يُكْنَـي**

وـقـد عـلم الـلـرُّوـمُـ الـشّقيُّونَـ أـنَّـنا * إذا مـــا تركنـــا أرضـــهُمْ خلفنـــا عُـدنا**

وأنَّأ إذا.ـ مـا الـموت. صرح. فـي الـوغى * لبسـنا إلـي حاجاتنـا الضّـرب والطعنـا**

قـصدنـا لـه قـصد الـلـحبيب لـقاؤُـه * إلينـــا وقلنـــا للسُّـــيوف هَلُمِّنَّـــا**

وإن. كنتَ سيف المدولـة المـعَصْبَ فـيهم * فدعنا نكُنْ قبلِ الضِّراب القنا اللُّدْنا**[3]

فـنحن اـلإـلـي لاـ نـأتـلي لـك نُـصـرةٌ * وأنـت الـذي لـو أنّـه وحـدَه أغنـي** [4]

يـقيك المـرّدـي. مـن يـبتغي عـندك. المـعُلا * من قال لا ارضي من العيش بالأدنى**

ومـا الـخوفُـ إـلاّـ مـا تـخوَّفـهُ الـفتي * ولا الأمنُ إلاّ ما رآه الفتي أمْنا** [5]

قد ظهر عند شعراء القرن الرابع، نوع من شعر الشكوى والأسى والتحسر ، وهي شكوى نتيجة للحياة الاجتماعية القاسية في ذلك العصر. ونجد من ذلك أشعار "الروميات" ،والتي تعد من أجود شعر أبي فراس الحمداني ، وعي لبابه وصفوته ، وقد تحدث فيها عن نكبته في مختلف مراحلها ، ولهذا جاءت ((متسمة بالشعور الأليم والحنين إلي الوطن ، وقد لا يستطيع ناثر أن يشرح ما فيها من العواطف ، فهي من أرق أشعار أبي فراس، وقد مهرت الأدب نوعاً طريفاً من الشعر والوجداني))[6].

وتظهر عبارات الأسى والشكوى والتحسر ، في شكوي أبي فراس بما يعانيه الأسير ويشعر به من حالة سيئة يشكو منها ، فهو قريح الجفن ، يذرف الدموع السخينة ، ولا

---

(١) المغني: واحد المغاني: وهي المواضع التي كان بها أهلوها.

(٢) المدى: البعد... الكُماة: جمع كميَّ ، وهو المستتر في السلاح.

(٣) العضب: القاطع: القنا: الرماح ، اللدن: اللينة.

(٤) الإلي: الذين ، لا نألي :لا نقصر ، نصرة: تمييز.

(٥) من الطويل: ديوان أبي الطيب المتنبي ج٤ ، ص ١٦٩.

(٦) أبو فراس الحمداني حياته وشعره: د/ عبد الجليل حسن عبد المهدي ، الناشر: مكتبة الاقصي ، عمان ، الأردن: ط١ ، ١٩٨١م، ص ٢٧٦.

تطيف به سنة من النوم ، ويحيط به الحزن من كان جانب ، وقد بدت هذه الحالة السيئة واضحة المعالم في قصيدته التي بعث إلي أمه يشكو إليها من ثقل جراحه ، وهي جراح جسدية ونفسية ظاهرة وباطنة ، تجعل ليله طويلاً يناجي فيه السماء ونجومها. ويدعو أبو فراس أمه إلي الصبر والتأسي ، ويسلّم أمره إلي الله. فيقول:

مُصابي جليلٌ والعزاءُ جميلُ * وظني بأنّ الله سوفَ يُدِيلُ [١]**
جِراحٌ وأسرٌ واشتياقٌ وغُربةٌ * أحَمَّلُ إنِّي بعدها لحَمولُ**
وأسرٌ أُقاسيهِ وليلٌ نْجُومهُ * أري كُلَّ شيءٍ غيرهُنَّ يزولُ**
تطولُ بي الساعاتُ وهي قصيرةٌ * وفي كلِّ دَهْر لا يَسُرُّك طُولُ**
تناساني الأصحابُ إلاّ عُصبةً * ستلحقُ بالأُخرى غداً وتحولُ**
أُقلِّبُ طرفي لا أري غير صاحبٍ * يميلُ من النعماء حيثُ تميلُ[٢]**
فكلُّ خليلٍ هكذا غير مُنصفٍ * وكُلُّ زمانٍ بالكرام بخيلُ**
ويا أُمَّتَا صبراً فكُلُّ مُلمَّةٍ * تَجَلِّيَ علي عِلاّتها وتزولُ[٣]**
أمَالكِ في " ذاتِ النطاقين" أسوةٌ * بـ"مكة" والحربُ العوانُ تجولُ[٤]**
تأسّيْ كفاكِ اللهُ ما تحذرينهُ * فقد غال هذا الناسَ قبلك غُولُ[٥]**
ومن لم يُرِدْهُ اللهُ في الأمر كُلّهِ * فليس لمخلوقٍ إليه سبيلُ**
وإن هو لم يَدْلُلْك في كُلَّ مَسْلكٍ * ضللتْ ولو أن السِماك دليلُ[٦]**

---

(١) جليل: عظيم ، يُديل : يبدِّل الأحوال.

(٢) النَّعماء: العطاء ، والإحسان

(٣) الملِمَّة : المصيبة

(٤) ذات النطاقين: هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ،والدة عبد الله بن الزبير . الأسوة: ما يُتعزّي أو يُقتدي به ، العوان: الشديدة

(٥) غال: هلك

(٦) السماكان: نجمان نيِّران، أحدهما في الشمال ويعرف بـ" الرامح" والثاني في الجنوب ويعرف بـ " الأعزل" من الطويل . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ٢٥٤.

وعندما يتناول شعراء الحمدانيين الرثاء ، نجد أن لغتهم تميل إلي السلوى وطلب العزاء ، وذكر مآثر ومحاسن الفقيد ، ولكشاجم قصيدة في رثاء أمه ، حيث استخدم من الألفاظ ما يدل علي الحزن والأسى ، من نحو المصاب والفجيعة والدموع والموت والنواح والحسرة ، ومن مثل تلك الألفاظ الحزينة . يقول كشاجم:

أبعد مُصابِ الأُمِّ آلف مضجعاً * وآوي إلي خفض من العيش أوْ ظِلِّ**
سترْضعُ عيني قبرها من دُمُوعها * بما كُلِّفتُهُ من رَضاعي ومن حمْلي**
فأقسمُ لو ابصرتني عند موتها * وعيني تَسُحُ الدّمعَ سَجْلا علي سَجلِ**
رثيتٌ لنصْل يأخُذُ الموتُ جَفنهُ * وأعجبتَ من فرعٍ ينوحُ علي أصلِ**
يُهَوِّنُ من وجدي وليس بهيِّنٍ * سلامتها بالموتِ من جُرعةِ الثُّكْلِ**
وكان عليها أن أُقدَّمَ قبلها * أشَدَّ وأدهي من تقدُّمِها قبلي**
فقد فُديَتْ من غَمِّها بي بحسرتي * عليها وفيها بين ذلك ما يُسْلي(١)**

وسمات الحزن واضحة في القصيدة، فقد أحس الشاعر بفضل أمه، فبكاها وحرّم علي نفسه العيش السعيد بعدها. ومن الصور الجميلة هي: إرضاع عينه لقبر أمه بالدموع، وهي سقيا حزينة عميقة وصادقة.

وهكذا نري أن هذه الأغراض الشعرية حافظت علي جزالتها وقوة عباراتها، وذلك بتأثرها بالفحول من القدماء.

أمّا اللغة والأساليب التي تمثل الحياة الجديدة ، والبيئة المتحضرة ، و تتميز بالوضوح والسهولة والدقة. فنجدها في شعر الغزل والوصف و الخمريات. ففي شعر الغزل تستخدم الألفاظ الدالة علي الرقة والحنين واللطافة والذوق . ومن ذلك ما ذكره الوأواء الدمشقي من أبيات، غاية في الرقة والسلاسة والعذوبة، فهو عبد طائع للمحبوب ، ذليل شقي في عشقه وحبه. حيث يقول:

وغزلئرٍ راعَ وجهَ المبينِ منظرهُ * أحلي من الأمنِ عند المخائف الموجلِ**
المقي علي المليّل ليلاً من ذوائبهُ * فهابَهُ الصّبحُ أنْ يبدو من المخجلِ**
أرلد بالهجرِ قتلي فاستجرتُ بهِ * فاسْتلَّ بالوصل رُوحي من يدي أجلي(٢)**

---

(١) من الطويل: ديوان كشاجم ، ص٣٢٩.

(٢) من البسيط: ديوان الوأواء الدمشقي ، ص ١٨١.

والصنوبري يروي لنا أبياتاً في وصف الربيع، وما أنعمت به الأرض وطيرها وحيواناتها من خيرات فوصف الرياض التي تحولت إلي جنات تهتزُ بالزهر من كل صنف ولون . إذ يقول:

أما الرياضُ فعشقُها عِشقُ * لم يُبْقِ فيَّ لغيرها طُرقُ**
أنظر إلي حِذقِ المربيع فما * إن كاد يعدلُ حذقه حذقُ**
نسَخُ الرياض أتتك تقرأ من * بُعدِ كأن سطورَها مَشْقُ**
نُشرت علي تلك الرُّوبي حُلَلٌ * مما يحوكُ الرعدُ والبرقُ**
قمصانُ خيريٍّ ملوّنةٌ * وغلائلٌ من سوسنٍ زُرْقُ**
زهرُ الرياض إذا هي ابتسمتْ * تدعو فيسرعُ نحوها الخلقُ**
فتظلُ تنطقُ وهي ساكتةٌ * إنّ الرياضَ سكوتها نُطقُ** (١)

ومجمل القول أن لغة الشعر في العصر الحمداني، كانت تجري علي أمرين لا ثالث لهما ، فالأول لغة يحتذي فيها الشعراء نهج أسلافهم ، ونجدها في المدائح والرثاء والفخر وغيرها، ولغة أخري سهلة عذبة جميلة ، في الغزل والوصف وغيرها من الأغراض المستحدثة. وقد أبدع الشعراء في اللغتين معاً.

أمّا الأسلوب كما يعرفه الجرجاني فهو" الضرب من النظم والطريقة فيه" (٢)و الناظر لأسلوب الشعر في عصر الحمدانيين ، يلحظ أن الشعراء قد امتازوا بتعدد الأساليب وتنوعها ، وقد أثرت الثقافة الدينية والأدبية واللغوية التي أمتاز بها العصر ، في إثراء الأسلوب عند هؤلاء الشعراء فنجد من هذه الأساليب:

أولاً: الاقتباس والتضمين:

وجري فريق من شعراء الحمدانيين علي اقتباس أبيات من شعر غيرهم، أو تضمين أشعارهم الأحاديث النبوية والآيات القرآنية. فنجد أبا فراس الحمداني يهجو

---

(١) من الكامل: ديوان الصنوبري ، ص٤٣٠

(٢) دلائل الأعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٩م، ص٤٦٩

بني العباس ، فيقول وقد ضمن قصيدته أبيات من الشعر تتفق مع الغرض الذي أنشأ من أجله قصيدته. فيقول:

وهلْ يزيدُكُمُ من مَفخرٍ عَلمٌ * وفي الخلافِ عيكُم يَخفقُ العَلمُ**
يا باعة الخمرِ كُفُّوا عن مَفاخركم * عن فِتيتةٍ بيعُهُمْ يوم الهياج دَمٌ**
خلُّوا المَفَخارَ لعلاَّمينَ إنْ سئلو * يوم السُّؤالِ و عَمَّإلين إنْ عَلموا**
إذا تلوا سُورةً غنَّي إمامُكُمُ * "قفْ بالدِّيار التي لم يعفُها القِدمُ" (١)**

وكان الخباز البلدي أميّاً ولكنه كان يحفظ القرآن الكريم، ولذلك فإن أكثر اقتباسه منه، لصعوبة اقتباسه من الشعر الذي لا يتمكن من استظهاره لعدم معرفته بالقراءة والكتابة. وكان الخباز حينما يقتبس الآيات الكريمة، يمسخها ويجري بها بعض التحوير حتى تتمشي مع النظم، فمن ذلك قوله:

ألا إنّ إخواني المذين عهدتهم * أفعي رمال لا تقصر في لسعي**
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم * نزلت بوادٍ منهم غير ذي زرعِ (٢)**

فالمصراع الأخير من البيت الثاني مقتبس من الآية الكريمة: ((**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**)) (٣).

ومن قول الصنوبري في الاقتباس:

تعالي اللهُ خالقُ كلَّ شيءٍ * بقدرتهِ وبارئ كلِّ نفسِ**
لقد أضحى جميعُ الأرضِ تجري * كواكبُه بسعدٍ لا بنحسِ**
ألم ترّ كيف قد لبستْ رُباها * من الثلج المضَاعَفِ أيَّ لبسِ (٤)**

فقد اقتبس البيت الأخير من قوله تعالي: ((**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**)) (٥).

---

(١) عجز البيت لزهير بن أبي سلمي في مطلع قصيدته:

قف بالدّيار التي لم يعفها القِدم*** بلي وغيّرها الأرواحُ والدِّيمُ

من البسيط ، ديوان أبي فراس الحمداني، ص٣٠٤.

(٢) من الطويل . شعر الخباز البلدي . تحقيق: صبيح رديف ، ص ٣٤

(٣) سورة إبراهيم: الآية: ٣٧.

(٤) من الوافر ، ديوان الصنوبري ، ص ١٧٩

(٥) سورة الفيل: الآية: ١

وتأثر أسلوب السري الرّفاء بالقرآن الكريم ، فقد ضمن شعره بعض الآيات القرآنية بعد أن حور طائفة منها ، كقوله:

قائلٌ إنْ نُذُرُ الشّيب بدت* في عِذاريه وما تُغني النُذُرْ**[1].

فقوله: وما تغني النذر، أخذه من قوله تعالي**((حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ))** [2].

هكذا نري شعراء بني حمدان، قد ضمنوا واقتبسوا ، بمهارة فنية تشهد بتفوقهم في هذا الميدان.

ثانياً: التكرار:

وهو ما قال فيه العلامة الدكتور: عبد الله الطيب رحمة الله: (وسيلة قوية التأثير لاقتراح اللون العاطفي الحزين أو الهائم أو الطرب الذي يراد إشاعته في الاسماع والقلوب، قبل البلوغ إلي الغرض)[3].

ومن أمثلة التكرار اللفظي، ما ذكره أبو فراس الحمداني في رثاء أمه . إذ يقول:

أيا أُمَّ الأسير سقاك غيثٌ * بِكُرْهٍ مِنكِ ما لقي الأسيرُ**
أيا أُمَّ الأسير سقاك غيثٌ * تَحيَّر لا يُقيمُ ولا يَسيرُ**
أيا أُمَّ الأسير سقاك غيثٌ * إلي مَنْ بالفدا يأتي المبشيرُ**
أيا أُمَّ الأسير لمن تُرَبَّي * وقدْ مِتِّ الذَوائبُ والشعورُ**[4]

فنجد الشاعر صادقاً في تكراره كل الصدق، منفعلاً ومتأثراً بالحدث الجلل الذي أصابه، فافقده أعز الناس في دنياه، وحرمه من عطفها وحنانها ورعايتها ، فإلي من يفضي بما في سريرته بعد أن قضت أمه نحبها ، وودعت دنياها إلي دار القرار. فنجد التكرار في إظهار تأثره الشديد بهذا الفقد، وهو تكرار يبدو ملائماً لحالته الحزينة والظروف الصعبة التي مرّ بها.

ومن تكراره أيضاً يخاطب بني عمه، فدعاهم ألا ينكروا ما كان بينهم من ودٍّ، وألا يتخلى كل واحد منهم عن الآخر، إذ يقول:

---

(١) من الرمل . ديوان السري الرّفاء ،ص ١٩٩.

(٢) سورة القمر ، الآية: ٥.

(٣) المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها، د/ عبد الله الطيب،ج٢، ص ٩٠

(٤) الذوائب: هنا الأطراف ، من الوافر، ديوان أبي فراس الحمداني ص ١٦١.

بَني عَمِنّا ما يصنعُ المسّيفُ في الموغى * إذا فلَّ منه مَضْربٌ وذُبابُ[١]**

بَني عَمِنّا لا تُنكروا الوُدَّ إنَّنا * شِدادٌ على غير الهوانِ صِلابُ**

بَني عَمِنّا نحنُ السّواعدُ واللظُّبا * ويوشكُ يوماً أنْ يكون ضِرابُ[٢]**

فقد كرر الشاعر لفظة " بني عمنّا" لينبه علي هذه الأخوة الصادق والود العظيم لبني عمه.

ثالثاً: الأسلوب القصصي:

نجد أن من الخصائص الموضوعية الجديدة في الشعر الحمداني ، تلك النزعة القصصية التي عالجها أكثر من شاعر. فالواساني يصف مأدبة أقامها في قرية "جمرايا" فيحكي لنا قصة طريفة فكهة، مسجلاً كثيراً من التفاصيل التي لم يكن يهتم بها الشعر قبل ذلك. فيقول الواساني في مطلع قصيدته:

من لعينٍ تجود بالهملان * ولقلبٍ مدلَّهٍ حيرانِ[٣]**

ثم يمضي الشاعر إلي الشكوى من شؤم هذا الدعوة، ويدعو الناس أن يرثوا لحاله، ثم يقول شاكياً من كثرة المدعوين:

ضرب البوق في دمشق ونادوا * لشقائي في سائر البلدانِ**

النفير النفير بالخيل والرجـ * ـل إلي فقر ذا الفتي الواساني**

جمعوا لي الجموع من خيل جيلا * نٍ وفرغانةٍ إلي ديلمان**

ومن الرّوم و المصاقلب و التّرّ * ك وخلقاً من بلغرٍ واللاّنِ**

ومن الهند واللطاطم والبر * بر والكيلجوح والبيلقانِ**

لم يبقّوا ممن عددت من الآ * فاق من مسلمٍ ولا نصراني[٤]**

ويستطرد الشاعر الواساني واصفاً الآكلين ، وعلي رأسهم ورجل هاشمي نهم ، ينقض علي اللحوم والطيور كأنه العقاب ، هذا فضلاً عن الكُتاب والأدباء ، من

---

(١) فُلَّ: انكسر من حدّه ، المضرب: ما يضرب به كالسيف ونحوه ، الذباب: الحدَ.

(٢) الظُّبا: جمع ظبة ، وهو حدّ السّيف ونحوه ، ضراب: قتال ، يذكره بأنه ربما سيضطر إلي قتال قوم ، فهو عندئذ ، الساعد والسيف ، من الطويل ،ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٤٧.

(٣) من الخفيف . يتيمة الدهر . الثعالبي ،ج١، ص ٤١٤.

(٤) نفسه ، ص٤١٥.

أصدقائه الذين فجعوه في طعامه وشرابه ، وهو لفرط غيظه يشق جيوبه من هؤلاء الذين لم تعرف قلوبهم الرحمة لشدة نهمهم ، وخلو قلوبهم من الشفقة. كل ذلك في أسلوب طريف ساخر ضاحك ، فيقول:

يقدم الـقوم هاشميٌ هريت الـشـ * دق رجب المعيِّ طويل اللسانِ[1]**
هو نمسُ الدّجاج والبطّ والأو * زَّ وذئب النعاج والخرفانِ[2]**
لست أنساه جاثياً جاحظ العيـ * ـن عبوساً في صورة الغضبانِ**
كالعقاب الغرثان يقتنص اللحـ * ـم ويهوى إلي طيور الخوانِ**
والأديب الذي به كنت أعتـ * ـدُّ غزاني للحين فيمن غزاني**
وكذا الكاتب الذي كان جاري * وصديقي ومُشتكي أحزاني**
وصديق الأشراف أخني علي خمـ * ـري وأفني بالكرع ما في دناني[3] .**
كلّما شقَّق الفراريج شقق * ت لغيطي من فعله قمصاني**
وهو في أمره مجدٌّ رخيٌّ الـ * ـبال لم يعنه الذي قد عناني[4] .**

ولما كان قاصدو المأدبة بهذه الكثرة والعدد ، كان لابد أن تكون هذه محنة علي الشاعر ، فتجعله فقيراً معدماً. فيقول:

تركوني يا قوم أفقر من فـ * ـخٍ وأعري ظهراً من الأفعوانِ**
أفقرني وغادروني بلادا * ـرٍ ولا ضيعةٍ ولا بستانِ[5]**

ونخلص إلي أن وصف المأكولات والمآدب، يعتبر بدوره لوناً جديداً من ألوان الاتجاه في فنون الشعر الحمداني، والذي صور الحياة في أخص حالاتها ودقائق أمرها.

ومجمل القول أن الثقافة الواسعة لدى شعراء الحمدانيين ، أثرت الأساليب في ذلك العصر ، فاقتبسوا وضمنوا ، وكرروا الألفاظ ، ثم كان الأسلوب القصصي ، الذي

---

(١) الهريت: الواسع.

(٢) النمس : حيوان قصير اليدين الرجلين.

(٣) أخني: جثم وأفحش في الشراب

(٤) من الخفيف . يتيمة الدهر . الثعالبي ، ج١، ص٤١٨.

(٥) نفسه ، ص٤١٩.

يحكي ويصور وصف المآدب ، وشعر المعارك ، الذي يحكي تفاصيل المعركة ، وكأنه ينقلك إلي ساحاتها ، حتى تري الواقعة أمامك من طعن وضرب وأشلاء ودماء.

الفَصْلُ الثَالِث

المَعاني والأَفْكار والصُّور والأخيِّلة

نجد أنّ المعاني والأفكار تمثل الدفقة الشعورية لدى الكاتب في تجربته الشعرية، لأن الشعر هو الأفكار التي تتراءى من خلال الصور[١].

ويروي الجاحظ " إن الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير[٢]. لقد برع الشعراء الحمدانيون في التصوير والخلق والإبداع ، وكانت أدواتهم في هذا الإبداع ، ما تقوم عليه لغة الشعر من بيان ومعانٍ وبديع.

أولاً: الصور البيانية:

يعتبر علم البيان وسيلة أكيدة من وسائل التصوير الأدبي " بل الخلق الجمالي عن طريق التشبيهات والاستعارات والمجازات"[٣].

(أ) التشبيه: التشبيه هو "الدلالة علي مشاركة أمرٍ لآخر في معني"[٤]. وعند ابن رشيق :(صنعة الشيء بما قاربه أو شاكله من جهة واحدة ، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته) [٥]. واستخدم الشعراء في عصر بني حمدان التشبيه كثيراً في التعبير عن بعض الصور والمعاني والأفكار الجميلة ، من حيث اتساقها مع الغرض الذي قيلت فيه.

وتأتي تشبيهات الطبيعة في مقدمة التشبيهات الحمدانية، لأصالة الشعر الحمداني في وصف الطبيعة ، بما فيها من رياض وأزهار وأطيار وأثمار ، فالوأواء الدمشقي يصف مجلس شراب في ظلال دوحة ، فيشبه أزهارها الحمراء بالجوهر ،

---

(١) شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث ، د/ عبد الحي دياب ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة: طبعة ١٩٦٩، ص ١٦٤.

(٢) الحيوان . الجاحظ . تحقيق: عبد السلام هارون ، مطبعة الحلبي، ط٢ ، بيروت، بدون تاريخ ،ص ٣٢

(٣) فن البديع . د/ عبد القادر حسين ، دار الشروق . القاهرة: ط١ ، ١٩٨٣م. ص ٢٩.

(٤) الايضاح في علوم البلاغة " مختصر تلخيص المفتاح" جلال الدين بن عبد الله القزويني ، دار الجيل ، بدون تاريخ ، ص ٢٢١.

(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،. ابن رشيق القيرواني ، ج١ ، ص ٢٨٦.

والأطيار بالقيان المغنيات ، والأغصان بالستائر التي كانت القيان تحتجب وراءها ، ثم يشبه حبب الخمر بالدرر ، فيقول:

ذُرِّي شجرٍ للطّير فيه تشاجرُ * كأنَّ صُنوف المنَّور فيه جَواهرُ**
كأنّ القماري والبلابل بيننا * قِيانٌ وأورِاقُ المغُصونِ ستائرُ**
شربنا علي ذاك التّرنُّم قهوةً * كأنَّ علي حافاتها الدُّرَّ دائرُ** (١)

ومن الأزهار التي حُظيت بعناية الشعراء في الشام زهرة " الشقيق" وأنها سُميت بالشقائق لحمرتها تشبيهاً لها بشقية البرق، والنعمان اسم الدم ، وشقائقه قطعه ، فشبهت حمرتها بحمرة الدم . ويقال: إنما أُضيفت للنعمان (٢).لأنه حمى أرضاً كثُر بها هذا الزهر (٣).ولفرط جمالها وروعة منظرها اهتم بها الشعراء، وهي تزاحمت أمام الأنظار ، علي مرمي البصر كاسية الروابي والسهول والقمم والسفوح والمروج والوديان ، مما يذهب بالألباب حقاً. فتشبهوها بإلياقوت ، وبالخدود وقد احمرّت من فعل الراح ، وبالكؤوس المليئة بالخمر ، كما شبهوها وقد كثرت وتزاحمت ، بالدماء التي تكسو أرض المعركة بعد القتال. وفي ذلك يقول أبو بكر الخالدي:

وصبغ شقائق النُّعمان تحكي * يواقيتاً نظمن علي اقترانِ**
وأحياناً تشبّهها خدوداً * كستها المرّاح ثواب الأُرجونِ** (٤)
شقائق من أقداحٍ مِلاءٍ * وخشخاش كفارغة القناني** (٥)
ولمّا غازلَتْها الرّيحُ خِلْنا * بها جَيْشَيْ وغىً يتقاتلانِ**
تخالُ به ثُغورلً باسماتٍ * إذا ما افترّ نورُ الاقحوانِ** (٦)

في هذا البيت الأخير يتلاعب الشاعر بالتشبيه تلاعباً يخلب الألباب، إذ المعروف أن الأرض تكتسي في فجر الربيع بأزهار الأقحوان الناصعة البياض، فإذا

---

(١) من الطويل . ديوان الوأواء الدمشق ، ص١١٤.

(٢) النعمان بن المنذر أبو قابوس من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية.

(٣)نهاية الأرب في فنون الأدب:النويري،مطبعة دارالكتاب المصرية، القاهرة، ط١٩٣٥،١م،ج١١،ص ٢٨١

(٤) الأرجواني : الأحمر القاني

(٥) الخشخاش: نبات يحمل أكوازاً بيضاً ، وهو منوّم مخدّر

(٦) الأقحوان: نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء ، وأوراق زهره مفلّجة يشبهون بها الأسنان ، من الوافر ، ديوان الخالدين ، ص٩٩.

ما انتصف الربيع بدأت الشقائق تشرئب وقد خلت الأرض من الأقحوان إلا قليلاً، فشبه الشاعر هذه الأزهار القليلة من الأقحوان بين الأزهار المتكاثرة من الشقائق، بثغور باسمات في وسط معركة الدماء.

وزهرة " النيلوفر" تحظى في شعر السري الرّفاء بعناية خاصة من الوصف و هو جنس نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية ، فيه أنواع تنبت في الأنهار والمناقع ، وأنواع تزرع في الأحواض لورقها وزهرها(١). والنيلوفر اسم فارسي معناه " النيلي الأجنحة أو النيلي الأرياش"(٢). فعمد الشعراء حين شبهوها ، إلي المجانسة بين شكلها والماء الذي تعيش عليه ، ولذلك شبهها السرى الرّفاء بالعاشق الظمآن ، الذي توهم الماء ريق حبيبه ، فقال:

يـــا حُـــسنَ نـــيلوفـــرٍ شُغِفْتُ بـــهِ * يـمنحهُ الـمـاءُ صفو مـشروبِـهْ**
كـــأنّـــه عـــاشقٌ بـــه ظـــمأٌ * تـوهَّم الـمـاءَ ريقَ مـحبوبـةْ (٣)**

وكذلك اهتم الشعراء في خلق تشبيهات خمرية بديعة ، تناولوا فيها الخمرة تارة ، والكأس تارة أخرى، والساقي تارة ثالثة ، فهذا أبو الفرج الببغاء بجمع بين التشبيه والخمر، حين يشبه صفاء الخمر بخلقه ، وعتقها بكرمه . إذ يقول:

واشتُقَّ مـعني اسم الـسلاف لـها * من كونـها في سالف الأمـمِ(٤)**
فـكأنّـها فـي صفوهـا خُـلُقي * وكـأنّـها فـي عِـتْقها كـرمـي(٥)**

---

(١) المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، ج٢ ، ص ٩٦٧.

(٢) نهاية الأرب ، النويري ، ج١ ، ص ٢١٩.

(٣) من المنسرح ، ديوان السري الرّفاء ، ص ١٠٧.

(٤) السلاف: ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر، وتسمي الخمر سُلافاً ، وسلافة كل شيء عصرته: أوله

(٥) من الكامل . شعر الببغاء ، ص١٦٠

والوأواء الدمشقي يشبه الخمر بشمس الضحى، والحباب بكواكب الجوزاء، والساقي ببدر الدجى، حيث يقول:

وكأنّها وكأنَّ حامل كأسها * إذ قام يجلوها علي النُّدماء**
شمسُ الضُّحى رقصتْ فنقَّط وجهها * بدرُ الدُجىّ بكواكب الجوزاء[١]**

ومن تشبيه التمثيل الذي تتداخل فيه عدة صور، قول المتنبي:

يهزُّ الجيشُ حولك جانبيه * كما نفضتْ جناحيها العُقابُ[٢]**

فهو يشبه صورة جانبي الجيش وسيف الدولة بينهما وما فيهما من حركة و اضطراب، بصورة عقاب تنفض جناحيها وتحركها. ووجه الشبه هنا ليس مفرداً، ولكنها عملية إدراك لعلاقات تشكلية منتزعة من أمور متعددة كامنة بين الأشياء.

ومن أبلغ التشبيهات، تشبيه أبو فراس الحمداني نفسه بالقمر. فيقول في ذلك:

سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ * وفي اللَّيلةِ الظّلماءِ يُفتقدُ البدرُ[٣]**

ومن أبلغ التشبيهات الغزلية ، قول أبو بكر الخالدي:

كمْ فتاةٍ مثل المهاةِ سَلَبنا * ها صَلِيباً من بين نحرٍ وجيدِ**
وغريرٍ مثل الغزالِ حللنا * عَقد زُنَّارِ خصره المعقُودِ**
وَحَططنا رِحالنا بفناء الـ * هيكل المُونَقِ المبعيد المشيدِ**
واللّوابي مُشهَّراتٌ كغلما * نٍ لنا في مُحبَّرات البُرُدِ[٤]**

ونجد أن التشبيهات عند الحمدانيين، قد لعبت فيها أخيلة الشعراء ما شاء لهم خيالهم الخصيب، من جودة في السبك، و انطلاق في الفكرة ، و جمال في التصوير.

---

(١) من الكامل . ديوان الوأواء الدمشقي ،ص٦.

(٢) من الوافر . شرح ديوان المتنبي ج١ ، ص ٢٠٥.

(٣) من الطويل . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ١٦٥

(٤) من الخفيف . ديوان الخالديين ، ص٤٩.

(ب) الاستعارة: الاستعارة أن يستعمل الشاعر اللفظ في غير معناه الأصلي " ثم ينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية"[١].

وقال السيد أحمد الهاشمي عن الاستعارة :(استعمال اللفظ في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة بين المعني المنقول عنه والمعني المستعمل فيه ، مع قرينه صارفة عن إرادة المعني الأصلي. و الاستعارة ما هي إلا تشبيهاً مختصراً، لكنها أبلغ منه) [٢]

وعند السكاكي الاستعارة: (أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً علي ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به) [٣]. وقد استخدم شعراء الحمدانيين الاستعارة، وقالوا فيها، وذلك لإثراء صورهم الشعرية.

وهذا كشاجم يصف يوم خلاعة وشراب قضاه في روضة ناضرة ، وقد شحن قصيدته بالتشبيهات والاستعارات ، فيجعل الغيث باكياً ، والبرق ضاحكاً ، ويشبه النَّور بالحليّ ، والورد بالوجنات ، والأترج بالنهود المتكئة . فيقول:

يا طيبَ يومِ خلاعةٍ وبِطالةٍ * قصرتهُ بتمتُّعٍ ولذاذةِ**
في روضةٍ جُليتْ علي أبصارنا * فيما أكتسته من الحُليِّ المنَّابتِ**
والغيثُ يبكي في خلال نباتها * والبرقُ يضحك منهُ ضحك الشّامتِ**
والوردُ كالوجنات والأنفاس من * ظبيٍ غريرٍ عن صَبٍّ بائتِ**
وتعلَّق الأُترُجُّ في أغصانه * مثل النُّهود قد أتكت أو كادتِ**
وتجاوبتْ نغمُ الحمائمِ بالضُّحى * يسجعنَ بين بلابلٍ وفواختِ**
يوم حَمدتُ به الزَمانَ وحُكِّمتْ * فيه الشّمُولُ من العُقول فجارتِ[٤]**

---

(١) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، دار المعارف بيروت: طبعة ١٩٧٨م، ص ٢٢

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية : بيروت ، بدون تاريخ.

(٣) مفتاح العلوم: أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر ، السكاسي ، تحقيق: نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧م. ص ٣٦٩.

(٤) من الكامل: ديوان كشاجم ،ص٥٣.

فنلاحظ في شهر الطبيعة تزاحم الاستعارات ، لأن الطبيعة هي الجمال المتدفق لدى الشاعر ، وهي وصف حسي ومادي لسعة خياله.

والسري الرّفاء أولع بالاستعارة ، فنراه يلبس الجو والأرض أبراداً قشيبة ممسكة ، ويمسك البرق حساماً ويجعل من الرعد خطيباً . فيقول:

أتاك ـ والجوُّ يُجلي في مُمسَّكةٍ * والأرضُ ـ تختالُ ـ في أبرادها القُشُبِ**

إذا ألحَّ حسامُ البرقِ ـ مُؤتلقاً * في الرّوض جدَّ خطيبُ الرّعدِ في الخُطبِ[1]**

ولعلّ أحسن ما جاء من هذا النوع قوله يذكر الموصل ويتشوق إليها:

أقول ـ لحنّانِ ـ العشي المُقرَّدِ * يهزُّ صفيح البارقِ المتوقِّدِ**

تبسّم عن رِيِّ البلادِ حبيُّه * ولم يبتسمْ إلا لإنجاز موعدِ**

ويا ديرُها المشرقيَّ لا زال رائحٌ * يَحُلُّ عقود المُزن فيك ويغتدي[2]**

عليلةُ أنفاسِ الرّياح كأنّما * يُعلُّ بماء الورد نرجسها النّدى**

يَشُقُّ جيوبَ الورد في شجراتِها * نسيمٌ متى ينظرْ إلي الماء يبردِ[3]**

فجمع في هذه الأبيات عدة استعارات مختارة طريفة أعجب بها القدماء، حتى قال عنها الجرجاني في كتاب الوساطة: (فإذا جاءتك الاستعارة كقول السري، فقد جاءك الحسن والإحسان، وقد أصبت ما أردت من أحكام الصنعة و عذوبة اللفظ[4]

ويعقد أبو بكر الصنوبري مجلساً للأزهار، ويجعل لها حركات وانفعالات كأنها من بني الإنسان، فيجعل الورد يخجل، والبهار يغار ، والنرجس يحار ، و الأقحوان يضحك ، والنمام ينم ، والسوسن يستمع ، والشقيق يلطم ، إلي غير ذلك من هذه الأفعال التي لا تصدر إلا عن إنسان عاقل ، ولكن الصنوبري يستعير لهذه الأزهار أفعال العقلاء محتفظاً بالقرائن . حيث يقول:

---

(١) من البسيط ، ديوان السرى الرّفاء ، ص ٦٤.

(٢) الرائح : المطر أو السحاب الذي يجئ رواحاً ، أي عند العشى.

(٣) نسيم متى ينظر : استعار حاسة النظر لحاسة اللمس، من الطويل ، ديوان السري الرّفاء. ص ١٦٨.

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسي الحلبي ، بدون تاريخ ، ص ٣٩.

يا نديمي رأيت أحسن من ذا الز * هـر بـعضٌ يـهوى وبـعضٌ يـغارُ**
يخجلُ الوردُ حيث عارضه النر * جسُ من حُسنه وغـار البهارُ**
فعلتْ ذاك حمرةٌ وعلتْ ذا * حيرةٌ و اعترى البهار أصفرارُ**
وغدا الأقحوانُ يضحكُ عجباً * عن ثنايا لِثاتُهنَّ نضارُ**
نمَّ عنه النمّامُ فاستمع السَّو * سنُ لمّا أُذيعتِ الأسرارُ[1]**

وتناول الخالديان الاستعارة ، فمن قول أبي بكر الخالدي فيها:

رقَّ ثوبُ الدُّجى وطاب الهواءُ * وتدلَّتْ للمغربِ الجوزاءُ[2]**

استعارة رائعة، حيث صور الشاعر الدجى كإنسان ، ثم استعار له الثوب علي سبيل الاستعارة المكنية.

ومن قول أبي عثمان الخالدي:

والصُّبح قد جُردتْ صوارمهُ * واللَّيلُ قد همَّ منه بالهربِ**
والجوّ في حلّة مُمَسّكه * قد كتبتها البروقُ بالذهّبِ[3]**

فجعل للصبح سيوفاً يطارد بها الليل، ويلبس الجوّ حلّة ممسكة تغشاها البروق بالذهب.

ومن الاستعارة التصريحية ، وهي التي يصرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبة ، قول الوأواء الدمشقي الذي يضم خمس استعارات. والذي يقول فيه:

وأمطرتْ لُؤلُؤاً من نرجسٍ وسَقَتْ * ورداً وعضّتْ علي العُنّابِ بالبردِ[4]**

فقد شبه الدموع باللؤلؤ، والعين كالنرجس، والخد كالورد ، والأنامل بالعناب ، والأسنان بالبرد ، فقد حذف المشبهات علي سبيل الاستعارة التصريحية.

وأبو فراس الحمداني يصور لنا الحيرة التي أصابته في صورة رومانسية، متخيلاً أن نجوم السماء حائرة حزينة مثله، ومع حزنها الشديد تبدو شغوفة عطوفة عليه تبكي علي حاله. فنراه يستعير الحيرة والعطف والبكاء للنجوم، مشبها لها

---

(١) من الخفيف : ديوان الصنوبري ، ص ٧٨.

(٢) الجوزاء : برج من بروج السماء ، من الخفيف: ديوان الخالدين ، ص٩.

(٣) من المنسرح . ديوان الخالدين ، ص ١١١

(٤) من البسيط . ديوان الوأواء الدمشقي ،ص٨٤.

بإنسان، ثم يحذف المشبه به ويرمز له بشيء من لوازمه علي سبيل الاستعارة المكنية. وذلك في قوله:

ما لنجُوم الـسّماء حائرةً * أحالُها في بُرُوجها حَإلي**
أبيتُ حتىّ الصّباح أرقُبُها * مُهتدياتٍ في حالِ ضُلاَّلِ**
أما تراها عليَّ عاطفةً * تكادُ من رِقَّةٍ تُبكَّي لي**[1]

وتناول المتنبي الاستعارة في قالب جميل مبدع، إذ يقول:

ولمّا قَلَّتِ الإبلُ امتطينا * إلي ابن أبي سُليمان الخُطُوبا**[2]

في هذا البيت صورة شعرية، تنم عن ريشة فنان مبدع ، استطاع أن يتخذ من الخطوب مركباً صعباً فامتطاها. ثم حذف المشبه به الإبل، وأكتفي بذكر شيء من لوازمه علي سبيل الاستعارة المكنية.

هذا ما كان من أمر الاستعارة في العصر الحمداني، فنراها تبلورت فيها الجزالة في الألفاظ، والفحولة في الصياغة، والرقة في المعاني والألفاظ.

(ج) الكناية: الكناية مصدر كني، وكنيت عن الشيء، إذا عبرت عنه بعبارة أخرى ، تفهم معناه. والكناية من الإكتنان وهو التستر[3].

وهي أيضاً لفظ أريد به لازم معناه،مع جواز إرادة معناه حقا[4].

وعند عبد القاهر الجرجاني تعني ((أن يريد المتكلم إثبات معني من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجئ إلي معني هو تإليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه)) [5].

ومن أنواع الكناية في عصر الحمدانيين ، قول الشاعر أبو بكر الخالدي، يكني عن بلوغه حدّ السكر ، وهي كناية عن صفة الضعف وقلة المقاومة ، بقوله:

مَّنْ رآنا ونحنُ في الأرض صرعى * قال قومٌ موتى بغير لُحُودِ**[1]

---

(١) من المنسرح . ديوان أبي فراس الحمداني ،ص ٢٧٥.

(٢) من الوافر . شرح ديوان المتنبي ، ج١ ، ص ٢٦٨.

(٣) جواهر الكنز . نجم الدين أحمد بن الأثير، تحقيق: د/ محمد زغلول سلامة ، الناشر :منشأة المعارف ، الإسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ١٠٠

(٤) الإيضاح في مختصر تلخيص المفتاح ، القزويني ، ص ٢٣١.

(٥) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٩م ، ص ٦٦.

ويكني عن كرم سيف الدولة ، وعزه وحبه للعلم ، بقوله:

تُعطيهمُ الأمُوال في بِدرٍ إذا * حَملُوا الكلام إليك في قِرطاسِ**[٢]

ومن قول الصنوبري في الكناية:

طِرفٌ نأتْ سماؤُه عن أرضهِ* وما نأى كاهلُهُ عن الكَفَلْ**[٣]

ففي هذا البيت كناية عن سرعة الفرس وانطلاقه.

فمن قول أبو الطيب المتنبي في الكناية، قوله بعد أن رحل سيف الدولة و بقي الشعور بالأسى علي ما كان من روابط وشيجة ، بين القلب والأماكن التي تترك فيها القلوب خفقاتها ، ثم تسكبها في شريط رائع من الكلمات النابضة ، لقد طوى الشاعر خيامه وبدأ الرحيل ،فقال:

رحلتُ فكمْ باكٍ بأجفانِ شادنٍ * عليَّ وكم باكٍ بأجفانِ ضَيغَمِ**[٤]

فلو كان ما بي من حبيب مُقَنعٍ * عذرتُ ولكن من حبيبٍ مُعَمَّمِ**

رمي واتقي رَمْي من دون ما اتقي * هوىً كاسرٌ كفي وقوسي وأسهُمي**[٥]

فقد كني عن سيف الدولة بالحبيب المعمم، ثم وصفه بالغدر، ولعله لم يكن راضياً في نفسه عن ذاك التعريض، لأنه لا يبادله نفس الشر والعداء، لأنه يحمل بين جوانحه هوىً قديماً يكسر قوسه وكفه وأسهمه.

لقد استطاع المتنبي في عرض فني رائع، أن يصور اللوم والعتاب ، فجعل تعبيره عن عدم رضاه من لوازم معناه ، ونلمح من الأبيات توتراً بين الألم واليأس، وفتور في مودة ، لا يعلم سيكتب لها الصفاء من جديد ، أو تنتهي بغير لقاء.

وقال المتنبي في وقيعة سيف الدولة ببني كلاب:

فمَسّاهمْ وبُسْطُهُمُ حريرُ * وصَبَّحهُمْ وبُسْطهُمُ تُرابُ**

ومن في كفِّه منهم قَناةُ * كمنْ في كَفِّه منهُمْ خِضابُ** [٦]

---

(١) من الخفيف . ديوان الخالديين ، ص ٤٩.

(٢) البدرة: عشرة آلاف درهم ، جمعها بِدَر (بكسر ففتح) ، من الكامل، ديوان الخالديين، ص ٦٤.

(٣) من الرجز . ديوان الصنوبري ، ص٤٨٤.

(٤) الضيغم: من أسماء الأسد

(٥) من الطويل . ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج٤، ص ١٣٥

(٦) من الوافر ، شرح ديوان المتنبي ، ج١ ، ص ٢١٣.

فقد كني بكون بسطهم حريراً، عن سيادتهم وعزتهم، وبكون بسطهم تراباً ، عن حاجتهم وذلهم ، فالكناية في التركيبين عن صفة.

والصنعة الفنية تتجاوز مداً بعيداً عند السري الرّفاء، فتصبح في بعض الأحيان تنميقاً أولوناً يعتمد علي الكناية، فقد كني عن الصفح بنفض العمائم وإزالتها عن الرؤوس، وكني في البيت الثاني عن الإهانة بنتف الشوارب فيقول:

قومٌ إذا قصدُوا المملوك لمطلبٍ * نُفِضَتْ عمائمُهُم علي الأبوابِ**

من كلِّ كهلٍ يستطيرُ سبالُه * لونين بين أنامل البوَّابِ** (١)

هذا مما كان عن بعض الصور البيانية، عند شعراء العصر الحمداني، فتبيّن لنا جمال صورهم الشعرية، ونضوج تجربتهم الشعرية وعبقريتهم.

ثانياً: لقد عني الشعراء في هذا العصر بالبديع، وذلك إلي ما للبديع من دور كبير في التشكيل الجمالي للشعر، ويؤكد هذا الدور الدكتور: عبد القادر حسين بقوله: (أبرز ما ينبئك عن جمال اللغة العربية وموسيقتها، ما فيها من ألوان بديعية، عن طريق الكلمة وأختها، أو الكلمة وضدها في سياق واحد) (٢)

و فنون البديع كثيرة جداً، منها الجناس ، والطباق، والمقابلة ، والتورية ، وحسن التقسيم ، الترصيع ، وغيرها من الفنون المتعددة. وسنقف علي جناس(٣)، و طباق(٤) ، ومقابلة(٥) ، شعراء الحمدانيين ، لأن استخدامها كان كثيراً في شعرهم.

فالسري الرّفاء يستخدم الجناس والطباق استخداماً متجانساً رائعاً، وهما لونان ينتشران في شعره انتشاراً واسعاً بعيد المدى. فحين ننظر إلي قصيدته التي يقول فيها:

---

(١) من الكامل . ديوان السري الرفاء ، ص٦٩.

(٢) فن البديع: د/ عبد القادر حسين ، ص٩.

(٣) هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعني ، فهو تام وغير تام.

(٤) هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام. فهو طباق ، إيجاب وسلب.

(٥) هي أن يؤتي بمعنيين أو أكثر في صدر الكلام ، ثم يؤتي بما يقابل ذلك علي الترتيب في عجزه.

أبـا الـعُمْرِ خـيّم أم- بـالـحشاءِ *** قريـــبٌ إذا هجـــعَ الركـــبُ نـــائي
أَلـمَّ وثـوبُـ الـدُّجـى مُـخلِقٌ *** وثـــوبُ الصّـــباح جديـــدُ الضِّـــياءِ
يُـضيءُـ لـنا الـخيْفَ إيـماضُه *** ولـيس ببـرقٍ خفـي مـن خفـاءِ [1]
وفـاءٌـ تـصـرَّمـ عـن يَـقظةٍ *** وكـــم يقظـــةٍ عصـــفتْ بالوفـــاءِ
تـولَّـتْ عـهـودُـكـ مـحمودـة *** بقُـــربِ الوصـــال وبُعـــد الجَـــفاءِ
وأبـقت أسىً لـيس يـقضي الأُسى *** عـــــليه وداءٌ بعيـــدُ الـــدّواءِ[2]
وشـوقـاً أكـافـحُهُ بـالـلَّوى *** مكافحـــةَ القِـــرن تحـــت اللّـــواءِ
ومـن غـرَّـهـ الـدهرُ ألـفيته *** ذليـــلَ الـــدموعِ عزيـــز العَـــزاء[3]

فإننا نجده قد ملأ هذه القصيدة بهذين اللونين ، ففي البيت الأول منها طابق بين لفظتي قريب ونائي ، أما البيت الثاني ، فطابق فيه بين الدجى والضياء ، وبين مخلق وجديد ،ولكنه في البيت الثالث أتي بالجناس ، فجانس بين خيف وخفي و خفاء ، وكذلك في البيت الخامس منها ، فقد طابق بين قرب وبعد ، وبين وصال وجفاء. أما البيت السادس فقد زخرفه بالطباق والجناس معاً، إذ جانس بين أسى و أُسى، وطابق بين داء ودواء، وجاء البيت السابع بلفظتي اللوى واللواء، وهما من الجناس أيضاً، والطباق بيّن واضح في البيت الأخير بين لفظتي ذليل وعزيز.

ويعمد الصنوبري إلي المجانسة بين الأسماء والأفعال، فيقول في جارية اسمها منثور:

نَـثْرُ الـربـيعِ عـلي الـصحراءِ مـنثُورُ *** ومسـكُ آذارَ فـوقَ الأرض مـذرورُ
قمْ عَصْفرِ الكأس من قبل الأذان فأن *** يَقُـــمْ يُؤذّننـــا بالصـــبحِ عصـــفورُ
تـواتـر الـصِّرف- والأوتـارُ- تـوتـرنـي *** وتصـرفُ الغـمَّ عنـى وهـو موتـورُ
وفـي الـنثار- وفـي الـمنثورِ- لـي أربٌ *** إذا دعـتنا علـي المنثـورِ منثـورُ [4]

فهو يجانس بين عصفر وعصفور، وبين تواتر والأوتار، وبين توترني و موتور، ثم يجانس مجانسة تامة بين منثور الزهر المعروف، وبين منثور الجارية.

---

(١) الخيف: كل هبوط وارتفاع في سفح الجبل . خفا البرق: لمع.

(٢) الأسى: الحزن . الأُسى : ما يُتعَزي به.

(٣) من المتقارب ، ديوان السريّ الرّفاء ، ص ١٣.

(٤) من البسيط . ديوان الصنوبري ، ص٩٢.

ومن قول أبو فراس الحمداني مطابقاً بين الباطن والظاهر، والوصل والهجر، والوجود والعدم، والغيبة والحضور:

وأنّني مَنْ صفتْ منه سرائرُهُ * وصحَّ باطنُهُ منه وظاهرهُ**
وأنّني واصلٌ من أنت واصله * وأنّني هاجرٌ من أنت هاجرهُ**
ولست واجِدَ شيءٍ أنت عادِمهُ * ولستُ غائب شيءٍ أنت حاضرُهُ[١]**

فمن قول الشاعر أبو بكر الخالدي في الجناس غير التام:

وتعامي عن الشَّوى * واهتدي للشَّواكلِ[٢]**
ثُمَّ أنثني جذلانَ بين * القنا والقنابل[٣]**

فنجد الجناس بين الشوى والشواكل ، والقنا والقنابل.

أمّا المقابلة فقد أغرم الشعراء بها، وهي في القواقع طباق مركب ، فالطباق بين لفظ وآخر ، والمقابلة بين جملة وجملة ، أو شبه جملة وأخري. فمن المقابلات اللطيفة قول السري الرّفاء:

والليلُ فيّ مُمسّكٍ * طِرازُه قوسُ قُزحْ**
يبكي بلا حُزنٍ كما * يضحك من غير فرح[٤]**

فقد قابل في البيت الثاني بين يبكي بلا حزن ، ويضحك من غير فرح.

ومن قول أبو بكر الخالدي في المقابلة:

كخلَيٍّ منافقٍ للّذي يهوا* هُ يبكي جهراً ويضحكُ سراً[٥]**

والمقابلة متقنة في عجز البيت بين معنيين ، يبكي جهراً ويضحك سراً.

---

(١) عادمة: تفتقر إليه . من البسيط . ديوان أبي فراس الحمداني ،ص١٧٣.

(٢) الشوي: إليدان والرجلان والأطراف وقحفة الرأس وجلدته ، وما كان غير مقتل من الأعضاء . الشواكل : جميع شاكلة ، وهي الخاصرة.

(٣)القنابل: جمع قَنْبَلة وقنبل، وهي طائفة من الناس والخيل ،من مجزوء الخفيف ديوان الخالدين، ص ٩٠.

(٤) من مجزوء الرجز . ديوان السري الرّفاء ، ص ١٢٧.

(٥) من الخفيف . ديوان الخالديين ، ص٥٤.

ولعل بيتاً في من أبيات الشعر لم يشغل النقاد والدارسين ، كما شغلهم بيت المتنبي المشهور الذي قاله في كافور ، وقابل فيه بين الشطرين حتى اشتمل طرفا المقابلة علي أربعة ألفاظ. حيث قال:

أزورُهُمْ وسوادُ اللّيلِ يشفعُ لي * وأنْثَني وبياضُ الصُّبح يُغري بي**[1]

وعلي هذا كله فأننا لا نكاد نشعر، في الفنون البديعية، عن شعراء بني حمدان، بالصنعة وعدم ترابط المعاني، بل جاء البديع لديهم في خفة ورشاقة وتناغم وامتزاج.

أما الأخيلة والصور في عصر بني حمدان، فقد كانت ممهورة بريشة فنانين وشعراء، أضافوا للحياة الأدبية، صوراً ناطقة بالحياة، من ذاكرة تشرّبت كل معطيات القرن الرابع الهجري الثقافية والحضارية.

والخيال الخصيب لا يرتبط بواقع بعينه، بل يصنع واقعه من الإمكانيات المتاحة في الحاضر و الماضي، ليخرج بنسيج جديد فيه شيء واضح من الابتكار والاختراع والتطوير[2].

وفي هذا الإطار قد لا يتسني لأي شاعر أو أديب أو فنان، الجزم بمعني لنفسه، إذ لابد من وجود صلة بين معانية ومعاني الشعراء [3].

وأبلغ تعبير نراه ما أورده الدكتور شوقي ضيف بقوله: (مهما يبلغ الشاعر من الجودة والبراعة في إختبار ألفاظه، والملاءمة بينهما وبين معانيه، فإنه يشعر بأن تعبيره لا يزال قاصراً، ولذلك يلجأ إلي وسيلة تعبيرية أخرى، وهي رسم الصور المتخيلة التي تساعد علي إبراز معالم ما يريده الشاعر بوضوح تام. فالخيال عنصر مهم في رسم هذه الصور، وهو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء، إنما يؤلفونها من أحساسات سابقة لا حصر لها، تختزنها

---

(١) أنثني: أي أعود . أغراه به: ضراه به وحضه عليه ، من البسيط ، شرح ديوان ، ج٢ ، ص ٢٩٠

(٢) القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري زايد ، مكتبة دار العلوم . القاهرة ، طبعة ١٩٧٩م.

(٣) مشكلة السرقات في النقد الأدبي. د/ محمد مصطفي هدارة، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ١٩٥٨م، ص٢٣.

عقولهم، وتظل كامنة في مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها[1].

في هذا العصر استخدم الشعراء البراهين العقلية والأفكار الفلسفية، والأدلة المنطقية، وتأثر شعرهم تأثراً شديداً بالأفكار العلمية، والآراء الفلسفية، وأصبح ميداناً فسيحاً لها، فظهر فيه العقل المثقف، إلي جانب الخيال الخصيب. وبالإضافة إلي ذلك فإن المجتمع العباسي بما فيه من حوار وجدال في الدين. وفي غير الدين ، نما هذا الجانب من الشعر، وأكسب الشعراء القدرة علي التعليل وضرب البراهين العقلية، والأدلة المنطقية. ومن ذلك قول الشاعر أبو بكر الصنوبري معللاً ومبرهناً لصفرة النرجس، بأنها مرض اليرقان الذي يصبغ المريض بلونه الأصفر، فيقول:

زعم المورد أنه هو أبهي * من جميع الأنوارِ والريحانِ**
فأجابتهُ أعينُ المنرجسِ المغضّ * بذلٍّ من قولها وهوانِ**
أيما أحسنُ المتورد أم مق * لةُ ريمٍ مريضةُ الأجفانِ**
أم فماذا يرجو بحمرته المخ * دُّ إذا لم يكنْ له عينانِ**
فزهي المورد ثم قال مجيباً * بقياسٍ مستحسنٍ وبيانِ**
إنّ ورد الخدود أحسنُ من * عينٍ بها صُفرةُ من اليرقانِ[2]**

وأبو فراس الحمداني يعطينا صورة متخيلة جميلة عن الوصال، فالصورة عنده حديثه تنم عن المحبة، فصور اللقاء حيث بدأه من بداية الليل حتى طلوع الشمس، حيث شبه بداية الليل بطفل رضيع إلي أن يصبح شيخاً مبيض الرأس، فالطفل الرضيع كناية عن أول الليل، كما أن الطفولة هي بداية للحياة، وشروق الشمس في الصباح نهاية الليل، كما يغطي رأس الإنسان في كبره ونهاية حياته بالشيب، فهي صورة جميلة للحياة، فحياته هي ليلته. إذ يقول:

لبسنا رِداءَ اللّيلِ والليلُ رضعٌ * إلي أن تَردَّى رأسُهُ بمشيبِ[3]**
وبتنا كَغُصني بأنةٍ عابثتهما * إلي الصُّبح رِيحا شَمْألٍ وجنوبِ**

---

(١) في النقد الأدبي: د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٧، بدون تاريخ، ص ١٦٧.

(٢) من الخفيف . ديوان الصنوبري ، ص ٤٩٨.

(٣) تردِّي: لبس ، وأتَّصف.

بحالٍ تَرُدُّ الحاسدين بغيظهم * وتَطْرفُ عنّا عين كُلِّ رقيبِ**
إلي أن بدا ضوءُ الصَّباح كأنّهُ * مبادِئ نُصُولٍ في غِذارِ خضِيبِ** (١)

ومن صور الطبيعة الجميلة التي رسمها أبو فراس، صورة يوم من أيام الربيع ، إزدانت الأرض فيه بثياب خضراء مطرزة بألوان شتي من الزهور ، وكأنها سموط من الحُلي، ومن ذلك ما بدا من ذيول الجُلّنار(٢). فيقول:

ويومٍ جلافيه الرَّبيعُ بَيَاضَهُ * بأنواع حلْيٍ فوق أثوابهِ الخُضُرِ**
كأنَّ ذُيُول الجُلَّنار مُطِلّةً * فُضُول ذُيُول الغانياتِ من الأزرِ** (٣)

ولنا وقفة مع فارس الكلمة، ومطيّع البيان والمعاني والصور المتخيلة، أبو الطيب المتنبي، فنري قوله في إحدى صوره:

والشَّمسُ يعنونَ إلا أنَّهُمْ جَهِلُوا * والموتُ يدعون إلا أنَّهمْ وَهَمُوا**
والنَّفعُ يأخذُ حرَّاناً وبقْعَتها * والشمسُ تسفرُ أحياناً و تلْتثِمُ** (٤)
سُحْبٌ تمرُّ بحصنِ الرّانِ مُمْسِكةً * وما بها البخلُ لو لا أنّها نقمُ** (٥)
جيشٌ كأنكَ في أرضٍ تُطاولُهُ * فالأرضُ لا أمَمٌ والجيشُ لا أُمَمُ** (٦)

نجد أن المعني العام الذي أراده المتنبي من هذه الصورة، هو أن سيف الدولة يعم بضيائه الأماكن التي ينزل بها، وربما كان هذا الضياء من تأثير انعكاس لمعان الأسلحة التي يحملها هو وجيشه. ثم ننظر إليه و قد جعل جيش سيف الدولة من كثافته، قد شغل الأرض قريبها وبعيدها، ثم جعله سحباً تصب علي الأعداء، ولكنها عندما مرّت بحصن الرّان ، كانت سحباً ممسكة ولم يكن هذا بخلاً منه وإنما إشفاقاً علي بلاده.

---

(١) النصول: جمع النصل ، وهو شفرة السيف ونحوه . العذار: الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية، وهنا يعني شفرتي النصل ، من الطويل . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ٥٢.

(٢) الجلَّنار: زهر الرُّمّان

(٣) الغانيات: الحسناوات . الأزر: جمع الإزار ،وهو الثوب ، من الطويل ، يدوان الحمداني ، ص١٨٩.

(٤) النقع: الغبار . حران: موضع يعدُّ من الجزيرة والبقعة.

(٥) حصن الران: موضع من بلاد سيف الدولة . النقم: جمع نقمة ، كنعمة ونعم.

(٦) الأمم: بين القريب والبعيد، وهو من المقاربة . والأمم: الشيء إليسير ، من البسيط . ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج٤ ، ص١٨.

ومن أجمل صور المتنبي التي نراها، وصفه للحُمي ، فنراه في هذه الصورة يتجه إلي تصويرِ حيّ لمرضه ،فيراها زائرة تتقدم كأنّ بها حياءاً ، فهي تأتيه ليلاً فيبذل لها المطارف فترفضها حماه وتفضل المبين في عظامه. إنها زائرة غير محبوبة، فأنفاسه لا تسعها، وهي مصدر ضيق وألم لجلده ونفسه. ونراه يتابع ويوالي تكملة صورته بعد مفارقته للحمي، فهي تخرج مسرعة بعد أن طردها ضوء الصباح، ونراه يتصيب عرقاً، فيصاب برعشة وقشعريرة تهد أوصاله، وتضعف جسمه. بعدها تهدأ أنفاسه ويتنسم عبير الحياة من جديد. حيث يقول:

وـ زلئرتي كأنّـ بها حياءاً * فليس تزورُ إلاّ في الظّلامِ** [1]
بذلتُ لها المطارفـ والحشَايا * فعافتها وباتتْ في عظامي** [2]
يضيقُ الجِلدُ عن نفسي وعنها * فتُوسعُهُ بأنواع السِّقامِ**
إذاـ ما فارقتني غسَّلتني * كأنَّا عاكفان علي حرامِ**
كأنَّـ الصُّبح يطرُدُها فتجري * مدامِعُهَا بأربعةٍ سِجامِ** [3]
أُراقبُ وقتها من غير شوقٍ * مُراقبةَ المشُوقِ المُستهامِ**
ويصدُقُ وعدُهَا من غير شرٍّ * إذا ألقاكَ في الكُرَبِ العِظامِ**[4]

وخلاصة القول أن الخيال هو التجسيم ، والشاعر يستمد خياله من الأرصدة المختزنة في عقله، والأرصدة تختلف باختلاف نوع الحياة والبيئة، وعمق الثقافة، وغزارة المعرفة، وكان للحياة العباسية دورٌ في فتح الآفاق العلمية، والأفكار الرحبة التي ولدتها الحياة العقلية، فتطورت الأذواق وأصبحت تعتني بالترف والزينة، وشملت مداركها التخيل والتصوير والتمثيل، وفتحت آفاقاً جديدة لم يسق إليها.

---

(١) وزائرتي : أي ورب زائرة لي ، يريد الحمي وكانت تأتيه ليلاً.

(٢) الطارف: جمع مطرف ، وهو رداء من خزٍّ في جنبه علمان . الحشايا: جمع حشية ، وهي ما حشي من الفراش مما يجلس عليه . عافتها : كرهتها وأبتها.

(٣) سجع الدمع: سال وانسكب.

(٤) من الوافر . شرح ديوان المتنبي ، ج٤، ص ٢٧٧.

الفَصْلُ الرّابِعُ

المُوسِيقَي والأوْزانُ والقَوافي

(أ) الموسيقي:

لقد فطن الإنسان إلي الإحساس بالجمال في مجالاته المختلفة، سواء تجسد في صورة محسه أو مدركه بالعقل أو متخيلة، أو تشكل في مقاطع صوتية ذات نغم وإيقاع يبثها الشاعر في كلماته، فتنشأ عن حسن علاقاتها ما أصطلح عليه بموسيقي الشعر. (ولا يوجد شعر بدون موسيقي يتجلى فيها جوهره الزاخر بالنغم) [١]

وللشعر خصائص موسيقية تأتيه من أوزانه وقوافيه، التي تسبب نوعاً من الوحدة الموسيقية في القصيدة ، كما تأتيه من بعض الألوان البديعية ، كالجناس وحسن التقسيم والتصريح وغيرها من ألوان البديع.

وإلي جانب هذه الموسيقي الخارجية أو الظاهرة ، توجد موسيقي داخلية أو خفية ، تنبع من اختيار الشاعر لكلماته وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات، وكأنّ للشاعر أذناً داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع شكله ، وكل حرف وحركة بوضوح تام ، وبهذه الموسيقي الخفية يتفاضل الشعراء. [٢]

وأبدع الشعراء الحمدانيون في موسيقي شعرهم وصاغوا لنا أنغاماً معبرة ، في قوالب موسيقية ، ذات جرس ورنين عذب ، مما يشعر بسلاسة الألفاظ والمعاني.

وهناك نوع من الموسيقي يراها العروضيون، أنه إذا بدأ الشاعر قصيدته بنظام الدوائر، أو استخدمه في بيت، عليه أن يلتزم به إلي نهاية أبيات القصيدة، فالحرف الذي يكون في نهاية الشطر، يكون للحرف الذي في نهاية البيت. فذلك شائع في شعر المتنبي. فيقول:

---

(١) موسيقي الشعر العربي ، محمد شكري عياد ، دار المعارف ، القاهرة: ط١ ، ١٩٦٨م ، ص٥٤.

(٢) في النقد الأدبي الدكتور شوقي ضيف . ص ٩٧.

تُقبِّلُ أفواهَ المُلوكِ بِساطَهُ *** ويَكْبُرُ عنها كُمُّهُ وبَراجِمُهْ [١]
قياماً لمن يَشْفي من المدّاءِ كيُّهُ *** وَمَنْ بين أُذْنَيْ كلِّ قدمٍ مواسمُهْ [٢]
قبائعُها تحت المرافق هيبةً *** وأنفذ ممّا في الجُفونِ عزائمُهْ[٣]
أجِلَّتُها من كلِّ طاغٍ ثيابُهُ *** وموطئُهَا من كلِّ باغٍ ملاغِمُهْ[٤]
فقد ملَّ ضوءُ المصُّبح مما تُغيرهُ *** ومَلَّ سوادُ اللّيل مما تُزاحمُهْ
سلكتُ صُرُوف الدَّهر حتى لقيتهُ *** علي ظهر عزمٍ مؤيداتٍ قوائمُهْ [٥]

وتستمر القصيدة علي هذا المنوال، وكيف لا فإن لحظات الزمن المتعاقبة، تتيح للمتنبي ما لا تتيح لغيره، فقد جعل لنفسه الحرية في اختيار قالبه الموسيقي الذي خطّاه لنفسه، وصب فيه تجارب أيامه، وبدأ يعزف علي أوتار ثابتة. فقد تتوالي إليه عشرات الأبيات من نوع القافية الثنائية، يتحد فيها الشطر الأول بالثاني، وهذا جهد لا يستطيعه كل الشعراء، لذلك نجده قد بث فيه تيار الموسيقي روحاً جديداً، جعلها تسري في أعطافه، في نشوة وإبداع.

ومن هذا اللون من التوافق الصوتي، ولع السري الرّفاء بتصريع الأبيات داخل القصيدة، واستخدامه لألفاظ تعطي جرساً موسيقياً واحداً، وهو أشبه ما يدعي بالقوافي الداخلية، علي نحو ما نري في قوله يمدح سيف الدولة:

فتحٌ أعزَّ به الإسلامُ صاحبه *** وردَّ ثاقبَ نُورِ المُلْكِ ثاقِبُهْ
عاد الأميرُ به خُضراً مكارِمهً *** حمراً صوارمهُ بيضاً مناقبُهْ
يومٌ من النّصر مذكورٌ فواضلُه *** إلي التَّنادِ ومشكورٌ مواهبُهْ[٦]
إن لم يكنْ يومَه بدرٌ فمن ظَفَرٍ *** أُعطيتَ فيه ومن نصرٍ مَنَاسِبُهْ
لمَّا رأي منك مغلوباً مغالبه *** يوم اللّقاء ومحروباً محاربُهْ
ولن يري البُعد قرباً وهو طالبه *** ويحسِبَ الحزْنَ سهلاً وهو راكبُهْ
تركتهم بين مضبوغٍ ترائبُهْ *** من الدّماء ومخضوبٍ ذوائِبُهْ

---

(١) البراجم: مفاصل الأصابع، وأحدتها برجمة

(٢)القرم: السيد . المواسم: جمع ميسم، وهو ما يوسم به، المكواة . ويقال أيضاً المياسم ، علي لفظ الميسم.

(٣) القبائع جمع قبيعة ، وهو ما علي طرف مقبض السيف من فضة أو حديد . الجفون: جمع جفن ، الغمد.

(٤) الأجلة: جمع جُلَ ، ما يجعل علي ظهر الدابة . الملاغم: ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه ، وهي جمع ملغم.

(٥) صروف الدهر: نوبه وحوادثه . المؤيد: القوى ، من الطويل . شرح ديوان المتنبي ، ج٤ ، ٥٨.

(٦) يوم التناد : يوم القيامة؛ من البسيط . ديوان السري الرّفاء ، ص٣١.

حتَّام سيفُكَ لا تُروى مضاربُه * من الدّماء ولا تُفضي مآربُهْ[١]**

فالتصريع واضح في الأبيات الأربعة الأخيرة، وأنك ستجد الألفاظ الأخرى وهي: خضراً و حمراً، مكارم وصوارم، ومذكور ،ومشكور، وبدر ونصر، ومغلوب و محروب ، وكذلك تروى وتقضي. وهذا كله نوع من التناسق الداخلي في القصيدة لدي السري الرّفاء.

وأبو بكر الخالدي يشد انتباه السامع بموسيقاه الداخلية المتجانسة ، فحسة الموسيقي أكبر دليل علي ذوقه الذي كان يتمتع به. ومن ذلك تجانس حرف الجيم في قوله:

لو شرقتْ لك شمسُ ذاك الهودج * لأرتكَ سالفتي غَزالٍ أدْعَجِ [٢]**
أرعي المنجومَ كأنّها في أُفقها * زهرُ الأقاحي في رياضِ بنفسجِ**
والمُشتري وسط السّماء تخالُهُ * وسَنَاهُ مثل الزِّئبقِ المُترجْرجِ [٣]**

ومن قول أبي عثمان في تكرار حرف " الباء".

فتراهُ يبلُغُ ما أراد برِفقِهِ * كالفجر يبلغُ ما ابتغي بدبيبهِ[٤]**

فالتكرار عنصرٌ موسيقي مهم، فهو من العناصر التي يقوم عليها رنين البيت بعد الوزن والقافية، ويستفاد منه في زيادة النغم وتقوية الجرس[٥]

فتكرار بعض الألفاظ ذات النغمة الجميلة، تكسب بأصواتها المتجانسة، لوناً جميلاً من الموسيقي إلي موسيقي الشاعر. كما في قول أبي فراس الحمداني:

---

(١) من البسيط . ديوان السري الرّفاء ، ص٣١.

(٢) دعجت العين: صارت شديدة السواد مع سعتها ، فصاحبها أدعج.

(٣) من الكامل . ديوان الخالديين ، ص٣٣.

(٤) نفسه ،ص١١٢.

(٥) المرشد إلي فهم أشعار العرب . د/ عبد الله الطيب ، ج٢، ص ١٤٧.

تـبسّم إـذـ تـبسّمَ عـن أـقـاحِ * واسفرَ حين اسفرَ عن صَباحِ** [1]

وـاـتـحفني بـكأسٍـ مـن رُضابٍ * وكـأسٍ مـن جَنَـى خـدٍّ وراحِ**

فـمن لاـ لاـءِـ غُـرّتـه صـباحـي * ومـن صـهباء ريقَتـهِ اصْطباحي** [2]

ولاـ تـعجلْ إلـي تـسريـح روـحـي * فموتي فيك أيسرُ من سَرَاحي** [3]

ومما يلاحظ في هذه الأبيات، تكرار بعض الألفاظ مثل: تبسم وأسفر ،وهي ذات أصوات موسيقية عذبة ، من مثل السين والصاد ، ونجد مثل هذه الحروف في كثير من ألفاظ هذه الأبيات.

هذا ما كان من موسيقي شعر الحمدانيين ، فكانت عذبة الأنغام، رقيقة الموازين ، سهلة علقة بالقلوب.

(ب) الأوزان:

الوزن من الأركان الأساسية في الشعر العربي ولا يقوم إلاّ به ، وقد وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي علم العروض ، وحدد فيه البحور الشعرية التي يجئ بها الشعر العربي ، وهي خمسة عشر بحراً ، وأضاف الأخفش الأوسط سعيد ابن مسعدة إليها وزناً سادس عشر[4]

والوزن اخص ميزات الشعر وأبينها في أسلوبه، ويقوم علي ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتاد والفواصل، وعن ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها[5]

وللوزن قيمة كبيرة في إثارة الشعور، وتوصيل المعاني التي يرمي إليها الشاعر وذلك لأن الإيقاع الشعري يتحقق منذ بداية القصيدة ويرافقها حتى نهايتها، فقد نهج الشعراء في عصر الحمدانيين ، في بحور القصيدة العربية منذ جاهليتها ، أي أنهم حافظوا علي ما ورثوه من أوزان الشعر ، كما حافظوا علي القافية وعلي سبيل المثال لا الحصر ،لنا وقفات علي بعض بحور الشعر العربي المشهورة ،

---

(١) الأقاح: أزهار الأقحوان البيضاء، شبّه أسنان الحبيب بها. أسفر: كشف عن وجهه.

(٢) لألاء: ضوء ، وتوهُّج.

(٣) من الوافر . ديوان أبي فراس الحمداني ،ص ٧٧.

(٤) المرشد إلي فهم أشعار العرب . د/ عبد الله لطيب ، ج١ ، ص ١٥-١٦

(٥) الأسلوب: أحمد الشائب ، ص٦٥.

والتي قال فيها شعراء العصر الحمداني. فنجد بحر الطويل، والعرب كانت تسمي بحر الطويل: (الركوب لكثرة ما كانوا يركبونه في أشعارهم) [١]

فمن أمثلة ذلك قول الوأواء الدمشقي، وهو من ملحه في الخدِّ:

وشمسٍ بأعلاهُ وليلينِ أُسْبلا * بخدّيه إلاّ أنَّها ليس تغربُ**

ولمّا حوى نصف الدُّجى نصفُ خدَّهِ* تحيَّر حتى ما دري أينَ يذهبُ[٢]**

ومن قول ابن نباتة السعدي في بحر الطويل أيضاَ:

أيا دمعُ هلْ للحُزن عندك مطمعُ * فما كلُّ محزونٍ إلي الدّمع يفزعُ[٣]**

وبحر البسيط، والذي سمي بسيطاً، لانبساط أسبابه ، أي تواليها في أوائل أجزائه السباعية، لأن في كل جزء سباعي سببين متوالين. وقيل لانبساط الحركات في عروضه وضربه[٤] قال الشعراء فيه وأبدعوا. فمن ذلك قول أبي بكر الصنوبري مادحاً:

أبعدَ أنْ صنعَ البينُ الذي صنعا * وقطَّع الهجرُ حبلَ الوصلِ فأنقطعا**

هذا أبو القاسم الميمونُ طائرهُ * علا بجدٍّ علي العلياء وارتفعا[٥]**

ومن جميل غزل أبي الفرج الببغاء، قوله من بحر البسيط:

علَّمت طيفك أسعافي فما هجَعتْ * عيناي إلا وطيفٌ منك يطرقني**

فكيف أشكرُ من إنْ نمتُ واصلني* بالطيفِ منه وإن لم أغف قاطعني[٦]**

ويعد بحر الوافر من البحور ذات النفس الطويل، وسماه الخليل بذلك لوفور أجزائه وتداً بوتد[٧]. ويستعمل هذا البحر في الغالب للأداء العاطفي. ومن ذلك قول السري الرّفاء:

عفتْ عني الخطوبُ به ولولا * أياديه لصرتُ إلي العَفاءِ[١]**

---

(١) الفصول والغايات: أبو العلاء المعري، تحقيق: محمد حسن زناتي ، الهيئة المصرية العامة ، طبعة ١٩٧٧م ، ص ٢٦٧.

(٢) من الطويل .، ديوان الوأواء الدمشقي ، ص ٤٠.

(٣) من الطويل . ديوان ابن نباتة السعدي ، ج٢ ، ص ١٧٠.

(٤) العروض العملي ، نهاد التكريتي ، دار دمشق للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، ص٣٣.

(٥) من البسيط . ديوان الصنوبري ، ص٣٢٠

(٦) من البسيط . شعر الببغاء ، ص ١٤٧

(٧) العمدة: ابن رشيق القيرواني ، ج١ ، ص ١٣٦

ومن قول ابن نباته السعدي متغزلاً من الوافر:

وطـيفٌ منكِ علل بالتلاقي * فعـانقني مُعانقَةَ الوداعِ**[٢]

والكامـل مـن أكثـر بحـور الشـعر جلجلـة وحركـات، وفيـه لـون خـاص مـن الموسيقي يجعله إن أريد به إلي الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرقة. حلواً مع صلصلة كصلصلة الأجراس ، وهو بحر كأنّما خلق للتغني المحض ، سواءٌ أريد به جدّ أم هزل[٣] . ومن قول الشاعر الخليع الشامي[٤] ، متغزلاً من الكامل:

خذ يا غلام عنان طرفك فأثنه * عنّي فقد ملك الشمول عناني**

سكران سكر هوىً وسكر مدامةٍ* أنّي يفيق فتي به سُأكْرانِ**[٥]

ومما قيل في هذا البحر أيضاً، قول الوأواء الدمشقي متغزلاً:

لا تُنكـري ما بي فليس بمنكرِ * عند التّفرُّقِ حـيرةُ المتحـيِّرِ**

ها هـذه رُوحي إليك هدّيةٌ * فتجملي في أخذها أو فأعْذري**[٦]

و بحر الرمل، بحر الرقة، يجود نظمه في الأحزان والأفراح والزهريات[٧]

ومن ذلك قول كشاجم:

حبذا المزّائرُ في وقتِ المسّحرْ * أسـفر الصُّـبح بـه حـينَ سَـفَرْ**

قـادهُ المسُكْر إلـي أحـبابـهِ * فشـكرنا ذاك مـن فِعْـلِ السُّـكُرْ**

وتـعـتنقنا مـنه غُـصناً نـاعـماً * يتثنـي بـين دِعْـصٍ وقمـرْ**

وتـغنَّي لـي صوتـاً مُـطربـاً * لـو تغنّـاهُ لميـتٍ لنُشِـرْ** [٨]

---

(١) من الوافر . ديوان السري الرّفاء ، ص ٢٤.

(٢) من الوافر . ديوان ابن نباته السعدي ، ج٢ ، ص ١٨١.

(٣) المرشد إلي فهم أشعار العرب ، د/ عبد الله الطيب ، ج١ ، ص ٣٠٢.

(٤) أما الخليع فكنيته أبو عبد الله، وقد ذهب عني اسمه، وكان شاعراً مفلقاً قد أدرك زمان البحتري، وبقي إلي أيام سيف الدولة ، فانخرط في سلك شعرائه؛ يتيمة الدهر . الثعالبي ، ج١ ، ص ٣٣٣.

(٥) من الكامل . يتيمة الدهر . الثعالبي ، ج٢ ، ص ٣٣٣.

(٦) من الكامل . ديوان الوأواء الدمشقي ، ص١٠٧

(٧) بحور الشعر العربي "عروض الخليل"، غازي يموت، دار الفكر اللبناني . بيروت، ط٢، ١٩٩٢م،ص ١٣١.

(٨) من الرمل . ديوان كشاجم ، ص ١٥٤.

والمجتث روى عنه أنه أحلي البحور[١] ومن قول الأمير أبي فراس الحمداني متغزلاً في هذا البحر:

يـا مـعشر الـلـنّاسِ هـلْ لـي * مِمّـــا لقيـــتُ مُجيـــرُ**

أصابَـــ غـــرَّةـــ قـــلـبي * هـــذا الغـــزالُ الغريـــرُ[٢]**

فـــعُمرُ لـــيلي طـــويـــلٌ * وعمـــرُ نومـــي قصـــيرُ**

أسـرتَـــ مـــني فُـــؤادـــي * يَفْـــدِيك ذاك الأســـيرُ [٣]**

وبحر المتقارب، يعتبر من البحور القصار، ولا يصلح فيه النظم إلا لمجرد الدندنة والترويح عن النفس[٤]. ومن قول كشاجم في "آل البيت" من هذا البحر:

بكـاءٌ وقَّل غناءُ البُكاءِ * عـلي رُزْءِ ذُرّيَّةِ الأنبياءِ[٥]**

ومن المتقارب قول أبو بكر الصنوبري واصفاً نهر " قويق":

قويقُ إذا اشتمَّ ريحَ الشتاءِ * أظـهر تيهاً وكبراً عجيبا[٦]**

وخلاصة القول أن هذه نماذج من البحور الكثيرة التي قال فيها شعراء العصر الحمداني، ونري أنهم حافظوا علي الوزن والقافية ولم يخرجوا عنهما.

(ج) القوافي:

يقوم الشعر علي أربعة أشياء، وهي اللفظ والوزن والمعني و والقافية هي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمي شعراً حتى يكون له وزن وقافية[٧] وهي بمثابة الفواصل الموسيقية، إذ يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذن في فترات زمنية منتظمة، وبعدد معين من مقاطع ذات نظام خاص[٨].

---

(١) المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها ، ج١ ، ١١١.

(٢) الغرير: الذي لا تجربة له.

(٣) من المجتث . ديوان أبي فراس الحمداني ،ص ١٦٩.

(٤) المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها ، ج١ ، ١٢٠.

(٥) من المتقارب . ديوان كشاجم ، ص ٣.

(٦) من المتقارب . ديوان الصنوبري ، ص٤٥١.

(٧) العمدة . ابن رشيق القيرواني ، ج١ ، ص ١١٩.

(٨) موسيقي الشعر . د/ إبراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت: ط٤ ، ١٩٧٠م ، ص ٢٤٦.

وللقافية تعاريف مختلفة ، أشهرها اثنان ، الأول أنها حرف الروى، أي الحرف الذي يتكرر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة. وهذا لم يأخذ به علماء العروض.

أمّا التعريف الثاني، فهو تعريف الخليل بن أحمد، فهو تعريف كتب العروض. فهي " أنها من آخر حرف في البيت إلي أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله [١] .

وتحدث النقاد عن القوافي، فجعلوها ثلاثة أقسام وهي:

(١) القوافي الذُّلل:

وهي الباء ،والتاء ،و الدال ، والراء ،و العين ،و الياء المتبوعة بألف الأطلاق ، والنون في غير تشديد ، أسهلها جميعاً[٢] . وهي ما كثُر علي الألسن ، وهي عليه في القديم والحديث.

فمن مثال " التاء " قول الشاعر أبي عثمان الخالدي:

يا حُسننا نحنُ في لهوٍ وليلتُنا * بزُهرِ أنجُمها تُرمي العفاريتُ**

وقد تضايق في السُكر العناقُ بنا * كما تضايق في النَّظم اليواقيتُ[٣]**

وقول أبي فراس الحمداني في " العين":

وما تعرَّض لي يأسٌ سلوتُ به * إلاّ تجدَّدَ لي في إثرِهِ طمعُ[٤]**

ولا تناهيتْ في شكوى مَحَبَّتِهِ * إلاّ وأكثرُ ممَّا قلتُ ما أدَعُ**

لا أحْمِلُ الهجرَ منه والغرام بهِ * "وما كلَّفَ اللهُ نفساً فوق ما تسعُ"[٥]**

وقال الصنوبري في قافية "النون":

أنَّ شوقاً وللمحبِّ أنينُ * حين فاضتْ علي الخدودِ الجفونُ**

آهِ من زفرةٍ يُنشّئها الشو* ق وداءٌ بين الضلوع دفينُ[٦]**

(٢) القوافي النُّفَّر:

---

(١) موسيقي الشعر العربي . د/ شكري محمد عياد ، دار المعرفة ، ط١ ، ١٩٦٨م، ص ٨٩.

(٢) المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها ، ج١ ، ص ٥٨.

(٣) من البسيط . ديوان الخالديين ، ص ١١٣.

(٤) سلوت: نسيت

(٥) في البيت إشارة إلي الآية الكريمة ((لا يُكْلِفُ اللهُ نَفْسَاً إلاّ وُسْعُهَا)) سورة البقرة: الآية:٢٨٦. من البسيط . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٢٠١.

(٦) من الخفيف . ديوان الصنوبري ، ص ٤٩٤.

وهي الصاد، والزاي ، والضاد ، و الطاء ،والهاء الأصلية، و الواو[١] .

قال أبي فراس الحمداني في قافية "الزاي":

تجفُو وأمنحُكَ الصُّدُود لترعوى * فتقيمُ أنتَ علي الصُّدود فأعجزُ**

وأصدُّ عنك إذا صددتَ تعزُّزاً * ومن العجائبِ عاجزٌ يتعزَّزُ[٢]**

وفي " الضاد" قول كشاجم:

ما اعـتادَ عيني غَمْضُ * مُذْ أنتَ عنِّي مُعـرِضُ**

لــمْ يبقَ إلاّ كَـبِدٌ * حَـرَّى وقلبٌ مُرمَضُ[٣]**

ومن قافية " الواو " قول السري الرّفاء:

سـألتَ الله ممّا كان عفواً * وعُدتْ بتوبةٍ تركتك نِضْوا[٤]**

محوتَ صحائف اللَّذَّاتِ لمَا * محوتَ بها سطورالزّفنِ مَحوا[٥]**

(٣) القوافي الحُوش:

وهي القوافي اللواتي تهجر فلا تستعمل. قال عنها الدكتور عبد الله الطيب: (هي الثاء، والخاء،والذال ، والشين ، والظاء ، والغين ، وكلها قد ركبها الشعراء ، فلم يجيئوا إلا بالغث) [٦] .

ومن قافية " الثاء" قول أبي عثمان الخالدي:

وشادنٍ قلتُ له ما اسـمه * فقال لي بالغـنْجِ عَبّاثُ**

فصرتُ من لثغتهِ ألثـغاً * فقلتُ أين الكـاثُ والطاثُ[٧]**

ومن " الشين" قول أبي بكر الصنوبري يستسقي نبيذاً:

---

(١) المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها ،ج١ ، ص ٧٥.

(٢) من الكامل . ديوان أبي فراس الحمداني ص ١٩٥.

(٣) من الرجز . ديوان كشاجم ، ص ٢٣٢.

(٤) نِضْوَاً : مهزولاً.

(٥) الزفن: الرقص . من والوافر ديوان السري الرفاء ، ص ٤٦٧.

(٦) المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها ،ج١ ، ص ٧٩.

(٧) من السريع . ديوان الخالديين ، ص ١١٤.

صـحتُ من شدَّةِ الدَّهَشْ * يا أبا بكـر العطـشْ**
اسـقني وابلاً هطـو* لاً فان لـم يكـن فَطشْ[١]**
مـن عُقـارٍ كأنّـها * ألسُنُ البرقِ لـم تُغَشْ[٢]**

ويقول كشاجم في قافية " الغين" واصفاً النرجس:

وروضةٍ مُسْبغةِ الأصداغِ * أحكمَها تأنُّـقُ الصُّبَّاغِ**
فبلغتْ نهـاية البَلاغِ * باغٍ من الحُسنِ إزاءَ باغِ[٣]**

وتحدث النقاد أيضاً عن القافية باعتبار روّيها، فقسموها إلي قسمين هما:

١/ القوافي المطلقة: وهي القوافي غير الساكنة، وهي كثيرة في شعر ذلك العصر. فمن ذلك قول ابن نباتة السعدي:

في كـلَّ يومٍ لنا يا دهرُ معركةٌ * هامُ الحوادثِ في أرجـائها فِلقُ[٤]**
حظّي من العيش أكلٌ كلُّه غَصَصٌ * مرُّ المذاقِ وشربٌ كلُّه شَرقُ[٥]**
مـا للزمان يُجاري في تمهَلِهِ * بذَّ العيونَ فلم تعلق بهِ الحَدَقُ[٦]**

وأيضاً قول أبي الفرج الببغاء:

من كـلِّ مُختالةٍ تنقب بالـ * عثيرِ في وجه الضحى من الخجلِ [٧]**
تضم أحشـاءها علي أُسْدٍ * تزأرُ في غـابةٍ من الأسلِ[٨]**

---

(١) الطش: المطر الضعيف.
(٢) من مجزوء الخفيف . ديوان الصنوبري ، ص٢١٢.
(٣) من الرجز . ديوان كشاجم ، ص ٢٧٠.
(٤) الفلق: الداهية و الأمر العجيب.
(٥) الشرق: الغصيص بالماء والريق.
(٦) بذَّ: فاق ، وغلب . من البسيط . ديوان ابن نباتة السعدي ، ج١ ، ص ٢٣٤.
(٧) العثير: الغبار
(٨) الأسل: الرماح ، من المنسرح . شعر الببغاء ، ص ١٤٥.

٢/ *القوافي المقيدة*: وهي ما كان فيها حرف الروي ساكناً. وأيضاً قال فيها شعراء ذلك العصر ومن ذلك قول كشاجم في الغزل:

يا منْ لروحٍ كَلفتْ * وَمَنْ لعينٍ ذرفتْ**
مُنهلة عبرتُها * كأنَّها قد طُرفتْ**
إنْ أمِنتْ فاضتْ و إنْ* خافتْ رقيباً وقفتْ**
وإنَّما بُكاؤَها * علي ليالٍ سَلَفتْ**[١]

ومن قول أبي فراس الحمداني في القافية المقيدة:

قد عذُبَ الموتُ بأفواهنا * والموتُ خيرٌ من مقامِ الذَليلْ**
إنّا إلي الله لِمـا نَابنا* وفي سبيل الله خيرِ السّبيلْ**[٢]

والناظر في شعر عصر الحمدانيين، يجد أنهم حافظوا علي وحدة القافية في قصائدهم ، وإن ظهر نوع من التفنن جعل بعضهم أن يجعل للقصيدة الواحدة عدة قوافٍ. ولا شك أنها صنعة متكلفة، كما فعل أبو فراس الحمداني في مزدوجته الطردية. حيث يقول فيها:

ما العمرُ ما طالتْ به الدُّهورُ * العمرُ ما تمَّ به السُّرورُ**
أيامُ عِزّى ونفاذِ أمري * هي التي أحسبها من عُمري**
ما أجْوَرَ الدَّهرَ علي بنيهِ * وأغدرَ الدّهر بمن يُصفيه**
لو شئتُ ممّا قد قَلَلنْ جِدًّا * عَدَدْتُ أيامِ السُّرورِ عدّا**
أنعمتُ يوماً مرَّ لي بالشامِ * ألذَّ ما مـرَّ من الأيّامِ**[٣]

تستمر القصيدة علي المنوال حتى تبلغ مائة وسبعة وثلاثين بيتاً ،وكل قافية بيت تختلف عن الأخرى.

---

(١) من مجزوء الرجز . ديوان كشاجم ، ص ٤٧.

(٢) من السريع . ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ٢٤٠.

(٣) من الرجز . ديوان أبي فراس الحمداني ،ص ٣٥٩.

الخَاتِمَةُ والنّتَائجْ

يعتبر العصر العباسي من أخصب العصور التي مرّت علي العرب والمسلمين في تاريخهم القريب والبعيد. فالانقلاب الحضاري والسياسي والثقافي والعلمي الذي حدث فيه ، أدي إلي خلق مجتمع عربي جديد تفوق في كل شيء ، أنتج أدباً هو أرقي ما جادت به قريحة الذوق العربي علي الإطلاق ،ولا شك أن في دارسة الأدب العباسي مجالاً خصباً ، ومعيناً لا ينضب للبحث والدرس، والتعرف علي اتجاهات الأدب والنقد المختلفة ، وإيراد المظاهر الاجتماعية والسياسية والفكرية.

وبعد التجوال في ربوع الدولة الحمدانية، والتي تعد من أرفع الدول عماداً، وأثبتها أوتاداً، وبيت أربابها من أنبه بيوت العرب ذكراً، و أعلاها قدراً. وهنا نورد ما تناولناه في هذا البحث في شكل خلاصة وخاتمة، تتضمن النتائج التي توصلت إليها. وهي:

١- إن من أبرز خصائص الشعر الحمداني في هذه الفترة، التأثر بالبيئة الجميلة التي خص الله بها حلب، من حدائق غنٍّ، ورياض فيح،و محاسن فينانة، و أزاهير فتانة. فلقد ترك هذا الجمال الطبيعي الساحر أثراً كبيراً في نفوس الشعراء فتغنوا بصور الطبيعة وصدحوا بآيات حسنها وشدوا بروائع جمالها.

٢- لقد تفنن الحمدانيون في فن البناء والعمارة، حيث بنوا القصور الشامخة والمدن المتميزة، والتي حملت مظاهر الفن المعماري الإسلامي العربي.

٣- تأثر الشعراء أيضاً بالبيئة الاجتماعية التي عاشوا فيها، فوصفوها وصفاً دقيقاً بارعاً، وتحدثوا عن مظاهرها الحضارية. فوصفوا أدوات الكتابة و الموسيقي والطرب والغناء والشموع، وموائد الطعام ،وما شابهها من ملامح الحياة الاجتماعية آنذاك.

٤- لقد اتسم شعر الجهاد بالطابع القصصي، فالمتنبي في وصفه لوقائع ومعارك سيف الدولة، يحكي تفاصيل المعركة وكأنه ينقلنا إلي ساحاتها، لنشهد ما

يحدث بها من هامات متطايرة، ودماء جارية، وطعن وضرب وكرٍّ، وفرٍّ، وأقدام وإحجام.

٥- وللحمدانيين اهتمام ببنائهم العقلي والبدني، فقد عرفوا ألواناً من الألعاب الرياضية التي تعتمد علي العقل والقوة كالصولجان والشطرنج ، والفروسية .

٦- بالنسبة للأساليب فلقد تباينت في شعر شعراء الندوة السيفية بين السهولة والسلاسة في الألفاظ حيناً ، والجزالة والفحولة حيناً آخر، وذلك تبعاً للموضوعات الشعرية التي طرقها الشعراء.

٧- استفاد الشعراء من ثقافتهم الدينية، فتوجوا ألفاظهم ومعانيهم بالاقتباس من القرآن الكريم.

٨- من الخصائص الظاهرة في الشعر الحمداني، كثرة استخدام الصور والأخيلة، إذ أن الشعراء قد أكثروا من استخدام الاستعارات الجميلة والتشبيهات المركبة، والجناس والطباق، وإلي ما شابهها من فنون البديع.

٩- كانت الموسيقي لدى الشعراء، عذبة الأنغام رقيقة الموازين، سهلة علقة بالقلوب.

١٠- لقد حافظ الشعراء الحمدانيون علي الوزن والقافية ولم يخرجوا عنهما.

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأعلام.

ثالثاً: فهرس الأشعار.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الرقم	اسم السورة	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	إبراهيم	((رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ))	٣٧	١٠٢
٢	الحجرات	((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))	١٣	٢
٣	القمر	((حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ))	٥	١٠٣
٤	الفيل	((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ))	١	١٠٢

ثانياً: فهرس الأعلام

الرقم	العلم	رقم الصفحة
١	ابن الأثير	٢٤
٢	الأخفش الأوسط. "سعيد بن مسعدة"	١٢٦
٣	آدم متز	٧٢
٤	أبو اسحق إبراهيم	٨
٥	بابك الخرمي	٣
٦	أبو تغلب بن ناصر الدولة	١٣ ، ٤٤، ٤٨
٧	الجاحظ	٩٤ ، ١٠٧
٨	الجرجاني " القاضي"	١١٢
٩	جساس	٩
١٠	جميلة "الأميرة"	١٤
١١	الحرون	٨
١٢	أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي الأرمني	١٣
١٣	حمدان بن حمدون	٧، ٨
١٤	الخالديان	١١، ٤٦
١٥	ابن خالويه " أبو عبد الله الحسين بن أحمد"	١٣ ، ٤٣
١٦	الخباز البلدي	١٢
١٧	ابن خلكان	١٢
١٨	الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٢٦، ١٢٧
١٩	خولة أخت سيف الدولة	٨
٢٠	دثار	٩
٢١	الدمست	٢٣
٢٢	الرشيد	١٧
٢٣	زبيدة زوجة الرشيد	٥٨

٢٤	أبو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان	٤٤
٢٥	السّرّي الرّفاء	١١
٢٦	أبو السرايا نصر	٨
٢٧	أبو سليمان داؤود	٨
٢٨	سليمان بن فهد الأزدي	١٢
٢٩	السكاكي	١١١
٣٠	السيد أحمد الهاشمي	١١١
٣١	سيف الدولة الحمداني	٦ ، ٨ ، ١١، ١٤ ،١٩ ، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٤١، ٩٧، ١١٥، ١٢١
٣٢	الشاباشتي	٦٦
٣٣	شوقي ضيف	٤٥، ١١٩
٣٤	الصنوبري	١٢
٣٥	طه حسين	٣٠
٣٦	عبد الرحمن الناصر الأموي	٥
٣٧	أبو العباس النامي	١٢
٣٨	العباس بن عمرو الغنوي	٤٤
٣٩	عبد الكريم	٦٣
٤٠	ابن العديم	٢٣
٤١	عبد القاهر الجرجاني	١١٤
٤٢	عبد القادر حسين	١١٦
٤٣	أبو العشائر	٤٤
٤٤	عضد الدولة	٥٨
٤٥	العكبري	٣٨

٤٦	أبو علي الحسين	٨
٤٧	أبو العلاء سعيد	٨
٤٨	أبي علي الفارسي	١٢
٤٩	سيدنا الأمام علي كرم الله وجهة	٣١، ٣٣
٥٠	علي حمزة الهاشمي	٩٣
٥١	أبو الفتح عثمان بن جنى	١٢
٥٢	أبو الفرج الببغاء	١٢
٥٣	ابن قتيبية " محمد بن مسلم"	٨٦
٥٤	قسطنطين برداس فوكاس	٢٠، ٢٢
٥٥	القلقشندي " أحمد بن علي"	٦٠
٥٦	كُليب	٩
٥٧	المأمون	١٠، ١٧
٥٨	محمد بن طغج الأخشيدي	٥
٥٩	المسعودي	٥٨
٦٠	أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة	٤٥
٦١	المعتصم	٣ ، ١٧
٦٢	معز الدولة	١٩
٦٣	أبي المعالي شريف بن سعيد الدولة الحمداني	٧
٦٤	المنصور	١٧
٦٥	ناصر الدولة الحمداني	٨، ١٣ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٩
٦٦	ابن نباتة السعدي	١٢
٦٧	نصر بن أحمد الساماني	٤
٦٨	النعمان بن المنذر	١٠٨
٦٩	أبو هلال العسكري	٨٥

٧٠	أبو الهيجاء عبد الله	٨
٧١	هيرودوت	١٧
٧٢	أبو وائل تغلب بن داوؤد بن حمدان	٤٤
٧٣	ياقوت الحموي	٦٦

ثالثاً: فهرس الأشعار

الرقم	البيت	الشاعر	الصفحة
	(**قافية الهمزة**)		
١	**وشاحب اللَّبسة والأعضاءِ** **أشعثَ نائي العهد بالرخاءِ**	السري الرفاء	٦١
٢	**رقَّ ثوبُ الدُّجي وطاب الهواءُ** **وتدلَّت للمغرب الجوزاءُ**	أبوبكر الخالدي	٦٧، ١١٣
٣	**وكأنّها وكأنَّ حامل كأسها** **إذ قام يجلوها علي النُّدماءِ**	الوأواء الدمشقي	١١٠
٤	**عفتْ عني الخطوبُ به ولو لا** **أياديه لصرتُ إلي العفاءِ**	السري الرفاء	١٢٨
٥	**بكاءٌ وقلَّ غناءُ البكاءِ** **علي رُزْءِ ذُرّيّةِ الأنبياءِ**	كشاجم	١٢٩
	(**قافية الألف**)		
١	**أما يردع الموتُ أهل النُّهي** **ويمنعُ عن غيّة من غَوى**	أبو فراس الحمداني	٣٧
	(**قافية الباء**)		
١	**قد ضاع أمرُ النّاس حين يسوسهم** **وصيفٌ وأشناسٌ وقد عظم الخطبُ**	دُعبل الخزاعي	٤
٢	**وإن تكنْ تغلب الغلباءُ عنصرها** **فإنّ في الخمر معنيً ليس في العنبِ**	المتنبي	٩
٣	**وقد علمتْ ربيعة بل نزارٌ** **بأنّا الرأس والناسُ الذنابي**	أبو فراس الحمداني	٩
٤	**وحُلْو شمائل الأدبِ** **مُنيفِ مراتب الحسبِ**	أبو الفتح عثمان بن جنى	١٢
٥	**ألا إنما الدنيا مطية راكبٍ** **علا راكبوها ظهر أعوج أحدبا**	أبو فراس الحمداني	٤٠

٦	تبلَّد هذا الدهر فيما نرومهُ علي أنّه فيما نحـاذرُه ندبُ	السري الرفاء	٤٠
٧	أنشأتَه منزلاً في قلب دجلة لا تمتاحُ جنته الغُدران والقُلُبا	السري الرفاء	٤٨
٨	وآمنةٍ لا الوحشُ تذعر سربها ولا الطيرُ منها دامياتُ المخالبِ	السري الرفاء	٥٠
٩	جُدْ لي ببركارك الذي صَنَعتْ فيه يداً قينةِ الأعـاجيبا	كشاجم	٥٠
١٠	لله بردٌ ما أشـــ ـدَّ ومنظرٌ ما كان أعجبْ	أبو فراس الحمداني	٥٢
١١	عندي إذا ما ارتاحتِ القلوبُ وحنَّ للصّيدِ الفتي الطَّروبُ	السري الرفاء	٦٢
١٢	دارت نجوم السرور في فلكِ منه لـه من فتوتي قطبُ	أبو الفرج الببغاء	٦٩
١٣	ما كلُّ ذاتِ مخـلبٍ وناب من سائر الجارح والكلابِ	أبو الفرج الببغاء	٧٦
١٤	ومنزل قينةٍ سـهل الجنابِ تضـمّنَ كلَّ آنسةٍ كَعابِ	كشاجم	٨٢
١٥	كليني لهمٍّ يا أُميمة ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطئ الكواكبِ	النابغة الذبياني	٨٦
١٦	أراني وقومي فرّقتنا مذاهبُ وإنْ جمعتنا في الأصول المناسبُ	أبو فراس الحمداني	٩٠
١٧	بني عمِنّا ما يصنعُ السّيفُ في الوغى إذا فلَّ منه مضـربٌ وذُبابُ	أبو فراس الحمداني	١٠٤
١٨	يا حُسنَ نيلوفرٍ شُغِفتُ به يمنحه الماءُ ويصفو مشروبهْ	السري الرفاء	١٠٩
١٩	يهزُّ الجيشُ حولك جانبيه كما نفضتْ جناحيها العُقابُ	المتنبي	١١٠

٢٠	أتاك والجوُّ يُجلي في مُمسّكةٍ والأرضُ تختالُ في أبرادها القُشُبِ	السري الرفاء	١١٢
٢١	والصُّبح قد جُردت صوارمهُ واللّيلُ قد همَّ منه بالهـربِ	أبو عثمان الخالدي	١١٣
٢٢	فمسّاهمْ وبُسطهُمُ حريرُ وصَبَّحهمْ وبُســطهم ترابُ	المتنبي	١١٦
٢٣	قومٌ إذا قصدوا الملوك لمطلبٍ نُفِضتْ عمائمهُمْ علي الأبوابِ	السري الرفاء	١١٦
٢٤	أزورُهُم وسواد اللّيل يشفع لي وأنثني وبياضُ الصُّبح يُغرى بي	المتنبي	١١٩
٢٥	لبسنا رداء اللّيل والليلُ راضعٌ إلي أن تردّي رأسهُ بمشيبِ	أبو فراس الحمداني	١٢١
٢٦	فتحٌ أعزَّ به الإسلامُ صاحبه وردَّ ثاقب نور المُلك ثاقبُهْ	السري الرفاء	١٢٤
٢٧	فتراه يبلغُ ما أراد برفقهِ كالفجر يبلغُ ما ابتغي بدبيبهِ	أبو عثمان الخالدي	١٢٥
٢٨	وشمسٍ بأعلاهُ وليلين أُسبلا بخدّيه إلا أنّها ليس تغربُ	الوأواء الدمشقي	١٢٧
٢٩	قويقُ إذا اشتمَّ ريح الشتاءِ أظهر تيهاً وكبراً عجيباً	الصنوبري	١٢٩
	(**القافية التاء**)		
١	أطيب ما نلتُ من اللّذات ومن سُرورٍ مُعْجبِ الأوقاتِ	كشاجم	٥٤
٢	مرقومة الجنبات بالبدع التي لم يهدها قط الربيع لروضةِ	السلامي	٥٩
٣	يا طيبَ يوم خلاعةٍ وبطالةٍ قصــرتهُ بتمتُّع ولذاذةِ	كشاجم	١١١
٤	يا حُسننا نحن في لهوٍ وليلتُنا بزُهرٌ أنجُمها تُرمي العفاريتُ	أبو عثمان الخالدي	١٣٠

٥	**يا منْ لــروحٍ كَلِفتْ** **وَمَــنْ لعينٍ ذرفــتْ**	كشاجم	١٣٣
	(قافية الثاء)		
١	**وشادنٍ قالتُ له ما اسمه** **فقال لي بالغُنجِ عــباثُ**	أبو بكر الخالدي	١٣١
	(قافية الجيم)		
٢	**لو أشرقتْ لك شمسُ ذاك الهودج** **لأرتك سالفتي غزالٍ أدعجِ**	أبو بكر الخالدي	١٢٥
	(قافية الحاء)		
١	**وتأخذُ من جوانبنا الليالي** **كما أخذَ المساءُ من الصّباحِ**	ابن نباتة السعدي	٣٦
٢	**قد طفح القلب بالهمومِ فإن** **طفت بكأسٍ فــهاتها تطفحْ**	أبو بكر الخالدي	٦٧
٣	**لم ألقَ ريحانةً ولا راحا** **إلاّ ثنتني إليك مُــرتاحا**	السري الرفاء	٦٨
٤	**قامت تثَّني بين أترابها** **وفائحُ العنبر منها يَفــوحْ**	السري الرفاء	٨١
٥	**والجــوٌّ في مُمسّك** **طِرازُه قوسُ قُـــزحْ**	السري الرفاء	١١٨
٦	**تبسّم إذ تبسمَ عن أقــاحِ** **واسفرَ حين أسفر عن صباحِ**	أبو فراس الحمداني	١٢٦
	(قافية الدال)		
١	**فأصبحَ يجتابُ المسموحَ مخالفةً** **وقد كان يجتابُ الدّلاص المُسَرّدا**	المتنبي	٢٣
٢	**يا معجباً بنجــومه** **لا النحس منك ولا الســعادهْ**	أبو فراس الحمداني	٣٩
٣	**لا والذي جــعل ، الموا** **لي في الهــوى خدم العبيدِ**	أبو تغلب بن ناصر الدولة	٤٤

٤	**دجاجةٌ في شَـبَةِ السَّمندِ** **نبيلةٌ وفخــرها بالهندِ**	كشاجم	٥٣
٥	**وباقلاءٍ حسن المُجـرّد** **بباغِ مسعـود الأغرِّ الأسعدِ**	كشاجم	٥٦
٦	**الحمدُ لله قد وجـدتُ أخاً** **لسـتُ مدى الدهر مثلهُ واجدْ**	كشاجم	٦٣
٧	**لكلَّ امرئٍ من دهره ما تعوّدا** **وعاداتُ سيف الدولة الطَّعنُ في العِدا**	المتنبي	٨٩
٨	**ذا بعضُ أوصافه وقد بقيتْ** **له صــفاتٌ لم يحوها العددُ**	أبو عثمان الخالدي	٩٤
٩	**كم فتاةٍ مثل المهاة سلبنا** **ها صـليبا من بين نحرٍ وجيدِ**	أبو بكر الخالدي	١١٠
١٠	**وأمطرتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ** **ورداً وعضّتْ علي العُنابِ بالبردِ**	الوأواء الدمشقي	١١٣
١١	**مَنْ رآنا ونحنْ في الأرض صرعى** **قال قومٌ موتى بغير لُحُـودِ**	أبو بكر الخالدي	١١٥
	(قافية الراء)		
١	**أنا الحارثُ المختار من نسل حارثٍ** **إذا لم يَسُدُ في القوم إلا خايرُ**	أبو فراس الحمداني	٧
٢	**تبوأتُ من فرعي معدٍّ كليهما** **مكاناً أراني كيف تُبني المفاخرُ**	أبو فراس الحمداني	٩
٣	**من مبلغ الأعراب أنّي بعدها** **شاهدتُ أرسطاليس والاسكندرا**	المتنبي	١١
٤	**أبحتُ حريم الكأس إذ كنتُ مُثريا** **وأقصرت عنها ما صرتُ مُعسرا**	أبو نواس	١٧
٥	**نال منا يوم الفراق كما نا** **ل من الناكثين سـيفُ الأمير**	النامي	٢٨
٦	**أعاد الله عيدك بالسُّرور** **وفي الحـالِ الجليلةِ والحبورِ**	السري الرفاء	٢٩

٧	والمـنطوين بطـونا والمنحـــنين ظهورا	الصنوبري	٣٣
٨	ألم ترَ كيف تنذرُ كلَّ يومٍ وتغدُر في الرواح وفي البكورِ	الصنوبري	٣٦
٩	وصُفْرٍ كأطراف العوالي قدُودُها قيامٌ علي أعلي كراسي من الصِّفْرِ	أبو الفرج الببغاء	٥١
١٠	حسناء صافية بيضاء ضافية كـأنّ رونقها في صارمٍ ذكر	السلامي	٥٧
١١	جملة أمرى أنيّ ركبت إلي دارك . لما أتيتها . الخطرا	السلامي	٥٧
١٢	ومخطفاتٌ كالعذاري الحُورِ مشمّراتُ القُمصِ كالمـنثورِ	السري الرفاء	٥٩
١٣	يُنبيك عن صحّةِ أخباري عُسري من العشق وايساري	السري الرفاء	٦٢
١٤	قمْ يا غلامُ أسقني مشعشعةً تسيرُ في الكأسِ بالتباشـيرِ	الوأواء الدمشقي	٦٨
١٥	ما ساعةٌ تمضي بلا وِزرِ بسـاعةٍ تُحسبُ من عمري	الصنوبري	٧٠
١٦	قمرٌ دون حُسنه الأقمارُ وكثيبٌ من النقا مســتعارُ	أبو فراس الحمداني	٨٠
١٧	غنّي علي العود شادٍ سهم ناظرهِ أمسي به قلبي المُضني علي خطرِ	أبن نباتة السعدي	٨٢
١٨	أراك عصيَّ الدمع شيمتُك الصّبرُ أما للهوى نـهيٌ عليك ولا أمـرُ	أبو فراس الحمداني	٩١
١٩	مُخطفُ الخصرِ أجـوفٌ جِيدُهُ ضِـعف ســائرهْ	كشاجم	٩٢
٢٠	وبِكْرٍ إذا جنَّبتها الجنوبُ حسبتَ العِشار توُمَّ العِشـارا	السري الرفاء	٩٣

٢١	لا عار يلحقني أنّي بلا نَشَبٍ وأيّ عـار علي عينٍ بلا حَورِ	أبو عثمان الخالدي	٩٤
٢٢	ذُري شجرٍ للطّير فيه تشاجرُ كأنّ صنوف النَّورِ فيه جـواهرُ	الوأواء الدمشقي	١٠٨
٢٣	سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدَّهمْ وفي اللّيلة الظلمـاء يفتقدُ البدرُ	أبو فراس الحمداني	١١٠
٢٤	يا نديمي رأيتُ أحسن من ذا الز هر بعضٌ يهوى وبعضٌ يغارُ	الصنوبري	١١٣
٢٥	نشرُ الربيعِ علي الصحراء منثورْ ومسكُ آذار فوق الأرض مذرورُ	الصنوبري	١١٧
٢٦	وأنّني من صَفتْ منه سرائرُهُ وصـحَّ باطنهُ منه وظاهرهُ	أبو فراس الحمداني	١١٨
٢٧	كخليٍّ منافقٍ للذي يهـوا هـ يبكي جهراً ويضحك سراً	أبوبكر الخالدي	١١٨
٢٨	ويومٍ جلا فيه الربيعُ بياضهُ بأنواع حُلي فوق أثوابه الخُضرِ	أبو فراس الحمداني	١٢١
٢٩	حبذا الزائرُ في وقتِ السَّحَرْ أسفر الصُّبح به حين سَـفَرْ	كشاجم	١٢٨
٣٠	يا معشر الناس هل لي مما لقيتُ مـــجيرُ	أبو فراس الحمداني	١٢٩
	(**قافية الزاي**)		
١	تجفُو وأمنحك الصُّدُود لترعوي فتقيم أنت علي الصُّدود فأعجزُ	أبو فراس الحمداني	١٣١
	(**قافية السين**)		
١	تعالي الله خالقُ كـلَّ شيءٍ بقـدرته وباري كلِّ نفسِ	الصنوبري	١٠٢
٢	تعطيهُمْ الأموال في بِـدَرٍ إذا حملوا الكلام إليك في قِرطاسِ	أبو بكر الخالدي	١١٥

	(**قافية الشين**)		
١	**صِحْتُ من شـدَّة الدّهشْ** **يا أبا بكرٍ العـــطشْ**	الصنوبري	١٣٢
	(**قافية الضاد**)		
١	**خُذا من العيش فالأعمارُ فانيةٌ** **والدّهرُ مُنصرفٌ والعيشُ منقرضُ**	السري الرفاء	٤٠
٢	**ما اعـتادَ عيني غَمْضُ** **مُذْ أنتَ عنِّي مُعـرِضُ**	كشاجم	١٣١
	(**قافية العين**)		
١	**غيري بأكثر هذا النّاس ينخدعُ** **إنْ قاتلوا جَـبُنوا أو حدَّثوا شَجعُوا**	المتنبي	٢٥
٢	**رأيتُ تتابع الأعمال أجدى** **علي العُمَالِ من فضلِ الصّناعةْ**	كشاجم	٦٤
٣	**أُلقي في حُبِّك القـناعُ** **وصـار كالرُّؤية السّمَاعُ**	كشاجم	٩٤
٤	**أيا دمعُ هل للحزن عندك مطمعُ** **فما كلُّ مُحزنٍ إلي الدمع يفزعُ**	ابن نباتة السعدي	١٢٧
٥	**أبعد أنْ صنع البينُ الذي صنعا** **وقطَّع الهجرُ حبل الوصل فأنقطعا**	الصنوبري	١٢٧
٦	**وطيفٌ منكِ علل بالتلاقي** **فعانقني مُعــانقة الوداعِ**	ابن نباتة السعدي	١٢٨
٧	**وما تعرّض لي يأسٌ سلوتُ بهِ** **إلاّ تجدَّد لي في إثره طــمعُ**	أبو فراس الحمداني	١٣٠
	(**قافية الغين**)		
١	**وروضةٍ مسبغةِ الأصداغ** **أحـكمها تأنُّقُ الصَّبّاغِ**	كشاجم	١٣٢
	(**قافية الفاء**)		
١	**إنّي لأحسد "لا" في أسطر الصحف** **إذا رأيت إعتناق اللام للألفِ**	أبو المطاع ذو القرنين	٤٥

٢	**بالله ربِّكُما عُوجا علي سكني** **وعاتباهُ لعلَّ العتب يعطفهُ**	الوأواء الدمشقي	٨١
	(قافية القاف)		
١	**وإذا عجزتَ عن العدوِّ فدارِه** **وأمـزج له إنّ المزاج وِفاقُ**	ابن نباتة السعدي	٣٨
٢	**راقبتني العيون فيك فأشفقـ** **ـتْ ولم أخلُ قطُّ من إشـفاقِ**	سيف الدولة الحمداني	٤٢
٣	**أهدى إلينا الزمانُ خوخاً** **منظــرهُ منظرٌ أنيقُ**	الصنوبري	٥٥
٤	**كان ردائي أجلَّ أعلاقي** **من جُددٍ كُنَّ لي وأخـلاقِ**	الصنوبري	٥٨
٥	**وربما مِلْنَا عـلي الطَّ** **ـير وقد وافتْ حِـزَقْ**	السري الرفاء	٧٥
٦	**يا ابن الخلائق من ذُؤابة هاشمٍ** **في ذروةِ الحسب المُنيف الشاهِّقِ**	كشاجم	٧٧
٧	**أما الرياضُ فعشقها عِشْقُ** **لم يُبق فيَّ لغـيرها طُرقُ**	الصنوبري	١٠١
٨	**في كلَّ يومٍ لنا يا دهرُ معركة** **هام الحوادث في أرجائها فِلَـقُ**	ابن نباتة السعدي	١٣٢
	(قافية الكاف)		
١	**سقي حلباً سـافكٌ دمعهُ** **بطئُ الرقوءِ إذا ما سـفكْ**	الصنوبري	٤٩
	(قافية اللام)		
١	**ما زالت في قيظ المعيشة جاهداً** **حتى دُعيت مُكــابد المُحْلِ**	لم أ جد قائله	٨
٢	**من تغلب الغالبين الناس منصبه** **ومن عديٍّ أعادي الجُبن والبُخلِ**	المتنبي	٨
٣	**وما الفرارُ إلي الأجبال من أسدٍ** **تمشي النعامُ به في معقل الوَعلِ**	المتنبي	٢٠

٤	وما قبلَ سيف الدولة أثار عاشقٌ ولا طُلبت عند الظـلام ذُحولُ	المتنبي	٢١
٥	كأنما ادَّخر الرحمنُ معظمة دون الملوك لسيف الدولة البطلِ	أبو الفرج الببغاء	٢٩
٦	حبُّ الوصيِّ مبرةٌ وصـله وطهــارةٌ بالأصل كتلفةْ	كشاجم	٣٤
٧	كـأنّي لم أركب جواداً للذّةٍ ولم اتبطنْ كاعباً ذات خلخـالِ	امرئ القيس	٤٣
٨	بغضُّ الغزال جفون الغزل وقد خضح الكحل فيها الكحلْ	السلامي	٥٩
٩	وكتيبتا زنجٍ وروم اذكتا حرباً يسلَّ بها الذكاءُ مناصـلا	السلامي	٧٨
١٠	قفا نبكِ من ذكري حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللّوى بين الدّخولِ فحوملِ	امرئ القيس	٨٦
١١	أجابَ دمعي وما الداعي سوى طللِ دعاة فلبّاهُ قبل الركب والإبـلِ	المتنبي	٨٧
١٢	مُصابي جليلٌ والعذاء جميلُ وظني بأنّ الله ســوف يُدِيلُ	أبو فراس الحمداني	٩٩
١٣	أبعدَ مُصاب الأُمِّ آلف مضجعاً وآوى إلي خفضٍ من العيشِ أوْظلِّ	كشاجم	١٠٠
١٤	وزائرٍ راع وجه البيّن منظرهُ أحلي من الأمن عند الخائف الوجلِ	الوأواء الدمشقي	١٠٠
١٥	ما لنجوم السـماء حائرةً أحالها في بُرُوجها حــالي	أبو فراس الحمداني	١١٤
١٦	طِرفٌ نأت سماؤه عن أرضهِ وما نأي كــاهلهُ عن الكفلْ	الصنوبري	١١٥
١٧	وتعامي عن الشَّــوى واهــتدي للشِّــواكلِ	أبوبكر الخالدي	١١٨

١٨	**من كلِّ مُختالةٍ تنقب بالـ** **عثير في وجه الضحى من الخجلِ**	أبو الفرج الببغاء	١٣٢
١٩	**قد عذُب الموت بأفوهنا** **والموتُ خيرٌ من مقـام الذليلُ**	أبو فراس الحمداني	١٣٣
	(قافية الميم)		
١	**بئس الجزاءُ جزيتم في بني حسن** **أبوهُم العلم الهـادي وأُمـهُمُ**	أبو فراس الحمداني	٣٢
٢	**نحنُ بجود الأمير في حَـرمٍ** **نرتعُ بين السّــعود والنّعمِ**	أبو فرج الببغاء	٤١
٣	**علي قدر أهل العزم تأتي العزائمُ** **وتأتي علي قدر الكرام المكـارمُ**	المتنبي	٤٢
٤	**سوداءُ لم تنسب لحــامِ** **ولم ترُمْ ساحة الكــرامِ**	السري الرفاء	٥٤
٥	**أبيضَ مسودَّ الخِلالِ والشِّيم** **له عـلي الصّحب أيادٍ وكرمْ**	السري الرفاء	٧٥
٦	**إلمامةٌ بمغاني داره لمـمُ** **إذ لا أمامة في دارٍ لها أمـمُ**	النامي	٨٨
٧	**واشتُقَّ معني اسم السلاف لـها** **من كونـها في ســالف الأممِ**	أبو الفرج الببغاء	١٠٩
٨	**رحلتُ فكمْ باكٍ بأجفان شادنٍ** **عليَّ وكم باكٍ بأجفان ضـيغمِ**	المتنبي	١١٥
٩	**والشمسُ يعنون إلا أنّهم جهلُوا** **والموتُ يدعون إلا أنّهم وهمُوا**	المتنبي	١٢١
١٠	**وزائرتي كأنَّ بها حـياءاً** **فليس تزور إلاّ في الظّلامِ**	المتنبي	١٢٢
١١	**تُقبِّل أفواه الملوك بساطَهُ** **ويكبرُ عـنها كُمَّهُ وبراجِمُهْ**	المتنبي	١٢٤

	(**قافية النون**)		
١	**شافِعي أحمدُ النبيُّ ومـولا** **ي عليّ والبنتُ والسِّبطانِ**	أبو فراس الحمداني	٣٢
٢	**ورُبَّ غراء لم تُنظم قلائدها** **إلا ليحمد فيها الفاطمـيونا**	السري الرفاء	٣٣
٣	**وحــمائم نبهنني** **والليل داجـى المشـرقينِ**	الخباز البلدي	٣٤
٤	**الرأيُ قبلَ شجاعة الشُّجعان** **هو أوّلٌ وهي المحَـلُّ الثاني**	المتنبي	٣٩
٥	**غدتْ دار الأمير كما روينا** **من الأخبار عن حسن الجـنانِ**	أبو بكر الخالدي	٤٧
٦	**ومبثوثةٍ في كلِّ شرقٍ ومغربٍ** **لـها أمهات بالعراق قـواطنُ**	السري الرفاء	٥٠
٧	**ونارنجٍ تميل به غصـونٌ** **فيغدو ميلها كالصّولجـانِ**	الوأواء الدمشقي	٥٥
٨	**أيُّها المعجب المفاخرُ بالنَّر** **دِ ليُزهي به علي الأخـوانِ**	كشاجم	٧٩
٩	**نزورُ دياراً ما نحبُ لها مغني** **ونسألُ فيها غير سكانها الإذنا**	المتنبي	٩٨
١٠	**من لعينٍ تجود بالهمـلانِ** **ولقــلبٍ مدلَّهٍ حيرانِ**	الواساني	١٠٤
١١	**وصبغ شقائق النُّعمان تحكي** **يواقيتاً نُظمن عـلي اقترانِ**	أبو بكر الخالدي	١٠٨
١٢	**زعم الوردُ أنه هو أبهـي** **من جـميع الأنوار والريحانِ**	الصنوبري	١٢٠
١٣	**خذ يا غلام عنان طرفك فأثنه** **عنَّي فقد ملك الشّمول عنانـي**	الخليع الشامي	١٢٨
١٤	**أنَّ شوقاً وللمحـبِّ أنينُ** **حين فاضتْ علي الخدود الجفونُ**	الصنوبري	١٣٠

	(**قافية الهاء**)		
١	**إن غاب عنّا شخصُ سيبويه** **وثعلبٍ أو فــاد نفطويهِ**	ياقوت الحموي	٤٤
	(**قافية الواو**)		
١	**أفارسُ أنت أحسن من تثّني** **علي صنـجٍ وأملـحُ من تلـوِّى**	السري الرفاء	٨٣
٢	**سألتَ اللهَ ممّا كان عفواً** **وعُدتَ بتوبـةٍ تركتكَ نِضْـوَا**	السري الرفاء	١٣١
	(**قافية الياء**)		
١	**علَّمتَ طيفك اسعافي فما هجعتْ** **عيناى إلاّ وطيفٌ منك يطـرقنـي**	أبو الفرج الببغاء	١٢٧

رابعاً: فهرس المَصَادِرْ والمَرَاجِع

١- **القرآن الكريم**

٢-**الأحكام السلطانية والولايات الدينية:** أبي الحسن البغدادي الماوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت: ١٩٧٨م .

٣-**أسرار البلاغة** : عبد القاهر الجرجاني ، دار المعارف بيروت: طبعة ١٩٧٨م.

٤-**الأسس الجمالية في النقد الأدبي**:د. عز الدين إسماعيل: ، دار الفكر العربي ،ط١ ، ١٩٥٥م .

٥-**الأسلوب**" **دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**": أحمد الشايب: . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . طبعة ١٩٦٦م.

٦-**الأعلام** :خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت ١٩٨٤م .

٧-**الأغاني**: أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين ، مؤسسة جمل للطباعة والنشر . لبنان ، بيروت: بدون تاريخ.

٨-**الإيضاح في علوم البلاغة** " **مختصر تلخيص المفتاح**": جلال الدين بن عبد الله القزويني: ، دار الجيل ، بدون تاريخ .

٩-**بحور الشعر العربي : "عروض الخليل"**:غازي يموت، دار الفكر اللبناني . بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٢م .

١٠- **البديع في نقد الشعر**: أسامة بن منقذ : . تحقيق: د/ أحمد أحمد بدوي و د/ حامد عبد الحميد ، الناشر: مصطفي البابلي الحلبي ، مصر، طبعة ١٩٦٠م.

١١- **البيان والتبين**: أبي عثمان بن بحر "الجاحظ" ، تحقيق: محمد عبد السلام هارون ، الناشر : مكتبة الخانجي . القاهرة ، طبعة ١٩٨٥م .

١٢- **تاريخ الأدب العربي"مصر والشام"**: د. شوقي ضيف ، ط٢، بدون تاريخ.

١٣- **تاريخ ابن خلدون:** عبد الرحمن بن خلدون: ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، ١٩٥٨م .

١٤- **تاريخ آداب اللغة العربية** : جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٣م.

١٥- **تاريخ الأدب العربي:** د.عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، لبنان ، بيروت: ط٦ ، ١٩٩٧م.

١٦- **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** ، حسن إبراهيم حسن: مكتبة النهضة المصرية ، ط١٣، القاهرة ، ١٩٩١م.

١٧- **تاريخ الرسل والملوك:** أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١م.

١٨- **تاريخ الموصل:** ،سعيد الديوه حي : مطبوعات المجمع العلمي العراقي ،بغداد: ١٩٨٢م.

١٩- **تاريخ بغداد أو مدينة السلام:** الخطيب البغدادي ، تحقيق ، مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت: ط١ ، ١٩٧٧م.

٢٠- **تجارب الأمم:** أبي علي أحمد بن محمد ابن مسكويه ، مطبوعات شركة التمدن الصناعية ، مصر ، ١٩١٥م .

٢١- **التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري:** عثمان موافي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،ط٣ ، ١٩٩٥م .

٢٢- **الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب:**د. صالح آدم بيلو: المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة: ط١ ، ١٩٨٨م.

٢٣- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:** السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية : بيروت ، بدون تاريخ.

٢٤- **جواهر الكنز:** نجم الدين أحمد بن الأثير، تحقيق: د/ محمد زغلول سلامة ، الناشر :منشأة المعارف ، الإسكندرية ، بدون تاريخ .

٢٥- **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**: آدم متز، نقله للعربية: محمد الهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة: ط٣ ، ١٩٥٧م.

٢٦- **الحيوان . الجاحظ:** عبد السلام هارون: ، مطبعة الحلبي ، ط٢ ، بيروت ، بدون تاريخ.

٢٧- **دراسات في النقد الأدبي:د.** وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٩٨٣م.

٢٨- **دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية:** د. عبد الحليم عويس ، ط٤ ، القاهرة ، بدون تاريخ.

٢٩- **دلائل الأعجاز:** عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٩م.

٣٠- **ديوان ابن المعتز**:د. يوسف شكري فرحات : ، ط١ ، دار الجيل . بيروت: ١٩٩٥م.

٣١- **ديوان ابن نباتة السعدي:** عبد الأمير مهدي حبيب الطائي: توزيع الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، بغداد: ١٩٧٧م.

٣٢- **ديوان أبي الطيب المتنبي:** أبي البقاء العكبري: ، ضبطه وصححه مصطفي السقاو إبراهيم الابياري وعبد الحلفيظ شلبي ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت.

٣٣- **ديوان أبي فراس الحمداني:** شرح د.خليل الدويهي، دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان ، ط٤ ، ١٩٩٩م.

٣٤- **ديوان أبي فراس الحمداني:**د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل، لبنان ، بيروت.

٣٥- **ديوان أبي نواس:** دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ.

٣٦- **ديوان الخالديين:** سامي الدهان: مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ،بدون تاريخ.

٣٧- **ديوان السري الرفاء:** شرح كرم البستاني ، دار صادر ،ط٣، بيروت: ١٩٩٥م.

٣٨- **ديوان الصنوبري**:د. إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، بيروت: ١٩٧٠م.

٣٩- **ديوان النابغة الذبياني :** شرح وتقديم: عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٤م.

٤٠- **ديوان الوأواء الدمشقي:** سامي الدهان، دار صادر، بيروت: ١٩٩٣م .

٤١- **ديوان أمري القيس:** تحقيق حنا الفاخوري ، دار الجيل بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م.

٤٢- **ديوان دعبل الخزاعي:** تحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيلي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٩م.

٤٣- **ديوان كشاجم**:د. النبوي عبد الواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة: ط١ ، ١٩٩٧م.

٤٤- **الدولة الحمدانية في الموصل وحلب:د.** فيصل السامر ،مطبعة الإيمان بغداد ط١ ، ١٩٧٠م.

٤٥- **الديارات:** أبي الحسن علي محمد الشاباشتي ، تحقيق: كوركيس عواد ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٦٦م.

٤٦- **رسائل الجاحظ:** علي أبو ملحم ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م.

٤٧- **زبدة الحلب من تاريخ حلب** : ابن العديم ، تحقيق: سامي الدهان،دمشق:١٩٥١م.

٤٨- **شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث:** عبد الحي دياب: ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة: طبعة ١٩٦٩.

٤٩- **شرح ديوان المتنبي:** .عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٨٦م.

٥٠- **شعر البيغاء:** .تحقيق: د.سعود محمود عبد الجابر ، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة ، قطر ، ط١ ، ١٩٨٣م.

٥١- **شعر الحرب في أدب العرب:** زكي المحاسني، دار المعارف ، مصر ،ط٢، ١٩٧٠م.

٥٢- **شعر الخباز البلدي:** تحقيق: صبيح رديف ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٣م.

٥٣- **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني:** د.سعود محمد عبد الجابر، مؤسسة الرسالة.

٥٤- **الشعر والشعراء:** محمد بن مسلم بن قتيبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت: طبعة ١٩٨٤م .

٥٥- **صبح الأعشي في صناعة الإنشا:** أحمد بن علي القلقشندي ، شرح: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت: ط١، ١٩٨٧م.

٥٦- **الصناعتين:** أبو هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر ، عيسي الحلبي ، طبعة ١٩٥٢م.

٥٧- **ضحى الإسلام:** أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية ، ط٩ ، ١٩٧٧م .

٥٨- **العروض العملي:** نهاد التكريتي ، دار دمشق للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

٥٩- **العصر العباسي الثاني:د.** شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ،ط٢، بدون تاريخ.

٦٠- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** : ابن رشيق القيرواني:، تحقيق: محمد مُحِي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت: ط٤ ، ١٩٧٢م.

٦١- **أبو فراس الحمداني حياته وشعره:** عبد الجليل حسن عبد المهدي ، الناشر: مكتبة الاقصي ، عمان ، الأردن: ط١ ، ١٩٨١م.

٦٢- **الفصول والغايات**: أبو العلاء المعري: تحقيق: محمد حسن زناتي، الهيئة المصرية العامة ، طبعة ١٩٧٧م .

٦٣- **الفهرست**: ابن النديم: ، علق عليه الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة . لبنان، بيروت: ط٢، ١٩٩٧م.

٦٤- **فن البديع**: د.عبد القادر حسين: ، دار الشروق . القاهرة: ط١ ، ١٩٨٣م.

٦٥- **فنون الشعر في مجتمع الحمدانين**: مصطفي الشكعة : ، طبعة عالم الكتب . بيروت ، ١٩٨١م.

٦٦- **فوات الوفيات والذيل عليها**: محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق: د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت. بدون تاريخ.

٦٧- **فوات الوفيات:** محمد بن شاكر الكتبي ، حققه : محمد محي الدين الحميد ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة: ط١ ، ١٩٥١م.

٦٨- **في النقد الأدبي**: شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر ، ط٧ ، بدون تاريخ.

٦٩- **القاموس المحيط**: الفيروز أبادي ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ.

٧٠- **قدماء ومعاصرون**: سامي الدهان: دار المعارف، مصر ، طبعة ١٩٦١م .

٧١- **القصيدة العربية الحديثة**:د. علي عشري زايد، مكتبة دار العلوم، القاهرة ، طبعة ١٩٧٩م.

٧٢- **لسان العرب**: ابن منظور ، دار صادر ، بيروت: ط١ ، ٢٠٠٠م.

٧٣- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**: ضياء الدين بن الأثير تحقق:محمد محي الدين عبد المجيد ،الناشر: مصطفي البابلي الحلبي ، مصر ، طبعة ١٩٣٩م .

٧٤- **المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة**: عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي ، مكتبة النهضة ، بغداد: ١٩٧٤م .
٧٥- **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**: د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبوعات دار النهضة العربية القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٢م.
٧٦- **المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها**:د. عبد الله الطيب ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ط٤ ، ١٩٩١م .
٧٧- **المصايد والمطارد**: أبي الفتح محمود كشاجم ، تحقيق:د. محمد أسعد طلس ، دار إليقظة ، بغداد: ١٩٥٤م .
٧٨- **المعجم والوسيط**: إبراهيم وأنيس وآخرون ،ط٣ ،مطبعة مصر ، القاهرة: ١٩٦١م.
٧٩- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: محمد محي الدين عبد الحميد: المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ،ط٤ ، ١٩٦٤م .
٨٠- **مشكلة السرقات في النقد الأدبي**: محمد مصطفي هدارة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعة ١٩٥٨م.
٨١- **مع المتنبي في شعره الحربي**: د. هادي نهر: مطابع الجامعة المستنصرية ، بغداد: ط١ ، ١٩٧٩م .
٨٢- **مع المتنبي**:د. طه حسين: ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٨٣- **معجم الأدباء** : ياقوت الحموي ،تحقيق:د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، بيروت: ط١ ، ١٩٩٣م .
٨٤- **معجم الأدباء**: ياقوت الحموي ، مطبعة دار المأمون ، مصر ، القاهرة، بدون تاريخ.
٨٥- **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**: عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٩٨٥م.
٨٦- **مفتاح العلوم**: أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر: ، السكاسي ، تحقيق: نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧م.

٨٧- **مقدمة ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ابن خلدون): ، دار الشعب ، القاهرة : بدون تاريخ .

٨٨- **مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي:** حسن عطوان: ، دار المعارف . مصر ، طبعة ١٩٧٠م .

٨٩- **موسيقي الشعر العربي:** شكري محمد عياد ، دار المعارف ، القاهرة: ط١ ، ١٩٦٨م.

٩٠- **موسيقي الشعر:** إبراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت: ط٤ ، ١٩٧٠م .

٩١- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:** جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري الأتابكي ، تحقيق د. إبراهيم عي طرخان، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر . القاهرة.

٩٢- **النقد الأدبي:** أحمد أمين: الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ١٩٦٧م.

٩٣- **النقد التطبيقي والموازنات:** محمد الصادق عفيفي ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، طبعة١٩٧٨م.

٩٤- **نهاية الأرب في فنون الأدب:** النويري: مطبعة دار الكتاب المصرية ، القاهرة ، ط١، ١٩٣٥م .

٩٥- **نهاية الأرب في فنون الأدب:** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، القاهرة: ١٩٨٥م.

٩٦- **الوزراء والكتاب:** الجهشياري: ، تحقيق: مصطفي السقا وآخرون ، ط١ ، مصر ، القاهرة.

٩٧- **الوساطة بين المتنبي وخصومه:** القاضي الجرجاني :تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسي الحلبي ، بدون تاريخ .

٩٨- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: ، تحقيق د. أحسان عباس، دار صادر . بيروت ،١٩٦٩م .

٩٩- **وفيات الأعيان:** ابن خلكان ، تحقيق د. يوسف علي الطويل و د. مريم قاسم الطويل ، مشورات دار الكتب العلمية ، بيروت: ط١ ، ١٩٩٨م.

١٠٠- **يتيمة الدهر من محاسن أهل العصر:** أبي منصور الثعالبي النيسابوري: ، شرح وتحقيق:د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣م.

خامساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصحفة
آية قرآنية	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
المقدمة	د
التمهيد	١-١٥
الباب الأول: الحياة الجادة	
الفصل الأول: شعر الحرب والجهاد	١٩-٣٠
الفصل الثاني: التدين والأخلاق ومظاهرهما	٣١-٤٠
الفصل الثالث: العلم والمجالس الأدبية	٤١-٤٥
الفصل الرابع: العمران ومظاهر الحضارة والغذاء والألبسة والأزياء	٤٦-٥٩
الفصل الخامس: المهن والحرف ووسائل كسب العيش وتنوعها	٦٠-٦٤
الباب الثاني : الحياة اللاهية	
الفصل الأول: الخمر والديارات	٦٦-٧١
الفصل الثاني: الطرديات والألعاب البريئة	٧٢-٧٩
الفصل الثالث: اللهو والمجون والغزل والموسيقي	٨٠-٨٣
الباب الثالث: الدراسة الفنية	
الفصل الأول: أبنية القصائد	٨٥-٩٥
الفصل الثاني: اللغة والأسلوب	٩٦-١٠٦
الفصل الثالث: المعاني والأفكار والصور والأخيلة	١٠٧-١٢٢
الفصل الرابع: الموسيقي والأوزان والقوافي	١٢٣-١٣٣
الخاتمة والنتائج	١٣٤

الفهارس	
أولاً: فهرس الآيات القرآنية	١٣٧
ثانياً: فهرس الأعلام	١٣٨
ثالثاً: فهرس الأشعار	١٤٢
رابعاً: فهرس المصادر والمراجع	١٥٥
خامساً: فهرس الموضوعات	١٦٤